أنه كان منهم رجل يقال له ابن سنبر، وهو من خواص أبي سعيد الجنابي المطلعين على
سره، وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك،
فعمد ابن سنبر إلى رجل من
أصفهان، وقال له: إذا ملكتك أمر القرامطة نقتل عدوى، فأجابه إلى ذلك وعاهده عليه،
فأطلعه على أسرار أبي سعيد وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعو إليه، فحضر
إليه أولاد أبي سعيد فذكر لهم العلامات، فقال أبو طاهر: هذا هو الذي ندعو إليه،
فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل منهم بقتل أخيه فيقتله، وكان إذا كره رجل منهم
يقول إنه مريض - يعني قد شك في دينه ويأمر بقتله، وبلغ أبو طاهر أن الأصفهاني يريد قتله
لينفرد بالأمر، فقال لاخوته: قد أخطأنا في هذا الرجل وسأكشف حاله، فقال له: إن لنا
مريضاً فانظر إليه ليبرأ، وأضجعوا والدتهم وغطوها بإزار، فلما رآها قال: إن هذا المريض
لا يبرأ فاقتلوه، فقالوا: كذبت، هذه والدتنا ثم قتلوه، وذلك بعد أن أفنى أكثر أكابرهم
بالقتل.

وفاة أبي طاهر
بن أبي سعيد الجنابي وأخيه وقيام أخويهما بعده

قال: وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأخوه أبو
منصور بجدري أصابهما، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم سعيد وهو أكبرهم، وأبو
العباس، وكانا يتفقان معه على تدبير الأمر، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله
بالشرب واللهو، قال: وشركهما في تدبير الأمر ابن سنبر.

إعادة الحجر الأسود إلى الكعبة
شرفها الله تعالى

قال: وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الإسلام، فحملوا الحجر
الأسود وأتوا به الكوفة، فنصبوه في المسجد الجامع على الأسطوانة السابعة في القبلة مما يلي
صحن المسجد حتى يراه الناس ثم حملوه إلى مكة شرفها الله تعالى، وقالوا: أخذناه بأمر
ورددناه بأمر.

قال ابن الأثير وكان بجكم الرايقي قد بذل لهم فيه خمسين ألف دينار، فلم يردوه وردوه الآن

بغير شيء، وذلك في ذي القعدة من السنة، فكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا
أياما، وحكى ابن الأثير في سبب رده: أن عبيد الله المنعوت بالمهدي القائم ببلاد المغرب
والمستولى عليها كتب إلى القرمطي ينكر فعله ويلومه ويلعنه، ويقول أخفقت علينا سعينا
وأشهرت دولتنا بالكفر والإلحاد بما فعلت، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته وتعيد
الحجر الأسود إلى مكانه وتعيد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة، فلما وصل
هذا الكتاب أعيد الحجر إلى مكة شرفها الله تعالى.
ملك القرامطة دمشق
وسيرهم إلى الديار المصرية ومحاصرة من بها ورجوعهم عنها
قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى: وفي سنة ستين وثلاثمائة سار الحسن بن أحمد بن
أبي سعيد الجنابي، وهو الذي انتهى إليه أمر القرامطة، من بلده إلى الكوفة، وعزم على
قصد الشام وسبب ذلك أنه كان قد تقرر للقرامطة في الدولة الأخشيدية من مال دمشق في
كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، فلما ملك المعز لدين الله العبيدي الديار المصرية، واستولى
جعفر بن فلاح على الشام، علموا أن ذلك يفوتهم، فسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة،
وراسل بختيار الديلمي أحد ملوك الدولة البويهية، في طلب السلاح والمساعدة، فأنفذ إليه
خزانة سلاح من بغداد وسبب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف
درهم، فرحل الحسن من الكوفة حتى أتى الرحبة وعليها أبو تغلب بن حمدان، فحمل إليه
المال المسبب له به عليه وحمل إليه العلوفة، وأرسل إليه يقول: هذا شيء كنت أردت أن
أسير أنا فيه بنفسي، وأنت تقوم مقامي فيه، وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد على
خبرك، فإن احتجت إلى مسيري سرت إليك ونادى في عسكره: من أراد المسير من الجند
الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه، فقد أذنا له في المسير
والعسكران واحد، فخرج إلى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب، وكان فيه
كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين، صاروا إليه لما انهزموا من المغاربة عند

ملكهم الديار المصرية بعد الدولة الإخشيدية؛ قال: وسبب مظاهرة ابن حمدان للقرمطي أنه
كان قد وقع بينه وبين جعفر بن فلاح مراسلات، أغلظ جعفر فيها على أبي تغلب وتهدده
بالمسير إليه، فلما أرسل ابن جعفر إلى الحسن ابن أحمد هذه الرسالة ومكن الجند من
المسير معه سره ذلك وزاد قوة، وسار عن الرحبة وقرب من أرض دمشق ووصل إلى
ضياع المرج فظفرت خيله برجل مغربي يقال له علي بن مولاه، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من
المغاربة فوقعت الذلة على المغاربة، وكان ظالم بن موهوب العقيلى على مقدمة القرامطة في
جمع من بني عقيل وبني كلاب، فلقي المغاربة في صحراء المزة وأقبل شبل بن معروف
العقيلي معينا لظالم، ولم يزل القتال بينهم إلى أن أقبل الحسن بن أحمد القرمطي فقوى
العقيليون، وتشمرت المغاربة ولم يزل القتال إلى العصر، ثم حمل ومن معه فانهزمت المغاربة
وأخذهم السيف وتفرقوا، وقتل جعفر بن فلاح ولم يعرف، واشتغلت العرب بنهب العسكر،
وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة، فلما كان
بعد الوقعة عثر بجعفر بن فلاح من عرفة وهو مقتول مطروح على الطريق، فاشتهر خبره في
الناس، ثم نزل الحسن بن أحمد بعد الوقعة على ظاهر المزة فجنى مالاً من البلد وسار يريد
الرملة، وكان جوهر القائد قد أنفذ من مصر رجلاً من المغاربة يقال له سعادة بن حيان ذكر
أنه في أحد ألفاً، فلما بلغ ابن حيان أن ابن فلاح قد قتل وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين
فأخبروه بخبر الواقعة، تحير وتقطعت به الأسباب، فلم تكن له جهة غير الدخول إلى يافا،
ولم يكن له بها عدة ولا دار، فلما دخل إليها جاءه الحسن بن أحمد فنزل عليها، واجتمعت
عرب الشام فنازلها وناصبها بالقتال، حتى اشتد الحصار وقل ما بها جداً، وكان يدخل
إليها شيء من الطعام يريد الخول به إلى يافا ضربت عنقه، فلما طال بهم الأمر أكلوا دوابهم
وجميع ما عندهم من الحيوان، ثم هلك أكثرهم من الجوع، وكان الحسن بن أحمد قد سار
عن يافا نحو مصر، وخلف على حصارها أبا المنجى وظالما العقيلي ونزل على مصر يوم

الجمعة مستهل شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فقاتل المغاربة على الخندق
الذي لمدينتهم، وقتل كثيراً منهم خارج الخندق وحاصرهم شهوراً، ثم رحل عنها إلى
الأحساء ولم يعلم الناس ما كان السبب في ذلك، فلما تيقنت المغاربة أنه قد رحل إلى بلده
أنفذ جوهر القائد ابن أخته نحو يافا، وبلغ من عليها يحاصرها أن الحسن بن أحمد رحل
عن مصر، وأن إبراهيم ابن أخت جوهر خارج يريد يافا، فساروا القوم عنها وتوجهوا نحو
دمشق، فنزلوا بعسكرهم على ظاهرها، فجرى بين ظالم وأبي المنجي كلام وخلاف ذكر
أنه بسبب أخذ الخراج، وكان كل واحد منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله، وكان أبو المنجي
كبيراً عند القرمطي يستخلفه على تدبير أحواله.
قال: ولما رحل القوم عن يافا إلى دمشق جاءها إبراهيم ابن أخت جوهر القائد، فأخرج
من كان بها وسار بهم إلى مصر، ورجع الحسن ابن أحمد فنزل الرملة، ولقيه أبو المنجي
وظالم فذكر أبو المنجي للحسن ابن أحمد ما جرى من ظالم وما تكلم به، فقبض عليه ولم
يزل محبوساً حتى ضمنه شبل بن معروف فخلى سبيله، فهر إلى شط الفرات إلى حصن
كان له في منزل بني زياد، ثم إن الحسن بن أحمد طرح مراكب في البحر وجعل فيها رجالاً
مقاتلة، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير إلى مصر، وكان الجوهر
يكتب إلى المعتز لدين الله إلى القيروان بما جرى على عسكره، من القتل والحصار والقتل،
أن الحسن بن أحمد يقاتلهم على خندق عسكرهم، وقد أشرف على أخذ مصر فقلق من
ذلك قلقاً شديد، وجمع من يقدر عليه وسار إلى مصر، وظنها أنها تؤخذ قبل أن يصل إليها
فدخلها في يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنة اثنتي وستين وثلاثمائة وكان
شديد الخوف من الحسن بن أحمد، فلما نزل مصر عزم على أن يكتب إلى الحسن بن أحمد
كتاباً يعرفه فيه أن المذهب واحد، وأنهم منهم استمدوا، ولأن ساداتهم في هذا الأمر،
وبهم وصلوا إلى هذه المرتبة وترهب عليه، وكان غرض المعز لدين الله العبيدي في ذلك أن

يعلم من جواب القرمطي ما في نفسه، وهل خافه لما وافى مصر أم لا؟ قال: والحسن بن
أحمد يعرف أن المذهب واحد، لأنه يعلم الظاهر من مذهبه والباطن، لأن الجميع اتفقوا
على تعطيل الخالق وإباحة الأنفس والأموال وبطلان النبوة، فهم متفقون على المذهب، وإذا
تمكن بعضهم من بعض يرى قتله ولا يبقي عليه.
قال الشرف: وكان عنوان الكتاب:
من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن إسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين،
وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد، ونسخة الكتاب:
"بسم الله الرحمن الرحيم" - رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأنبياء ومسالك الرسل
والأوصياء، السلف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولى الأيدي والأبصار في
متقدم الدهور والأكوار وسالف الأزمان والأعصار عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم
لأمر الله، بالابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار، قبل إنفاذ الأقدار في أهل الشقاق والإصرار،
لتكون الحجة على من خالف وعصى، العقوبة على من بان وغوى، حسبما قال الله جل
وعز "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" وقوله سبحانه
"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من
المشركين" "فإن آمنو بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق" ، أما بعد
أيها الناس: فإنا نحمد الله بجميع محامده ونمجده بأحسن مماجدة، حمداً دائماً أبداً ومجداً
عالياً سرمدا، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة، على
طاعته والتسديد في نصرته، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه
إتمام الصلوات وإفاضة البركات وطيب التحيات، على أوليائه الماضين وخلفائه التالين، منا
ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون.
أيها الناس "قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن أعمى فعليها" ليذكر من
تذكر وينذر من أبصر واعتبر. أيها الناس: إن الله جل وعز إذا أراد أمراً قضاه، وإذا قضاه

أمضاه، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً، وأبرز أرواحنا بالقدرة
مالكين، وبالقوة قادرين، حين لا سماء مبينة، ولا أرض مدحية، ولا شمس تضيء، ولا قمر
يسرى، ولا كوكب يجري، ولا ليل يجن، ولا أفق يكن، ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق، ولا
ليل؛ ولا نهار، ولا فلك دوار، ولا كوكب سيار، فنحن أول الفكرة، وآخر العمل بقدر
ومقدور، وأمر في القدوم مبرور، فعندما تكامل الأمر وصح العزم أنشأ الله جل وعز
المنشآت فأبدأ الأمهات من هيولانا، فطبعنا أنواراً وظلمة وحركة، وسكونا، فكان من
حكمة السابق في عمله ما ترون من فلك دوار، وكوكب سيار، وليل ونهار، وما في الآفاق
من آثار معجزات، وأقدار باهرات، وما في الأقطار من الآثار، وما في النفوس من الأجناس
والصور والأنواع، من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن، ومحسوس وملموس،
ودان وشاسع، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا، دلالة علينا وإشارة إلينا، يهدي الله
ما كان له لب سجيح، ورأى صحيح، قد سبقت منا له الحسنى، فدان بالمعنى، ثم إنه جل
وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم آدم وحواء أبوين ذكراً وأنثى، سبباً لإنشاء
البشرية، ودلالة لاظهار القدرة القوية الكونية، وزوج بينهما فتوالدا الأولاد، وتكاثرت
الأعداد، ونحن ننقل في الأنصاب الزكية والأرحام الطاهرة المريضة، كلمنا ضمنا من صلب
ورحم أظهر منا قدرة وعلماً وهلم جرا إلى آخر الجد الأول والأب الأفضل سيد المرسلين
وإمام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد، فحسن آلاؤه وبان
غناؤه، وأباد المشركين وقصم الظالمين، وأظهر واستعمل الصدق، وبان بالأحدية ودان
بالصمدية، فعندها، فعندها سقطت الأصنام وانعقد الإسلام، وظهر الأيمان وبطل السحر
والقربان، وارتفع الكفر والطغيان، وخمدت بيوت النيران وهربت عبدة الأوثان، وأتى بالقرآن
شاهداً بالحق والبرهان فيه خير ما كان وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم، مبيناً عن كتب
تقدمت في صحف قد نزلت، تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ونوراً وسراجاً منيراً، وكل

ذلك دلالات لنا ومقدمات بين أيدينا، وأسباب لإظهار أمرنا، هدايات وشهادات، وسعادات
قدسيات إلا هيات أوليات كائنات، منشآت مبديات معيدات وما من ناطق نطق ولا نبي
بعث ولا وصى ظهر إلا قد أشار إلينا، ولوح بنا ودل علينا في كتابه وخطابه، ومنار
أعلامه ومرموز كلامه، ما هو موجود غير معدوم وظاهر وباطن، يعلمه من سمع الندا أو
شاهد ورأى، من الملأ الأعلى، فمن أغفل منكم أو نسى أو ضل أو غوى فلينظر في
الكتب الأولى والصحف المنزلة، وليتأمل آي القرآن وما فيه من البيان، وليسأل أهل الذكر
إن كان لا يعلم، فقد أمر الله عز وجل "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" .
قال: وهذا الكتاب طويل جداً لا طائل فيه، قطعناه ههنا وسنذكر جملة من هذا الكتاب
في أخبار المعز لدين الله غير ما في هذا الموضع، على ما نقف عليه إن شاء الله تعالى في
موضعه.
قال: والجواب من الحسن بن أحمد القرمطي الأعصم:
وصل إلينا كتابك الذي تفصيله وقل تحصيله، ونحن سائرون على أثره والسلام.
وسار الحسن بن أحمد بعد ذلك إلى مصر، فنزل بعسكره عين شمس، وناشب المغاربة
القتال، وانبثت سراياه في أرض مصر وبعث عمالاً إلى الصعيد تجنى الأموال، وضيق على
المغاربة وداومهم القتال على خندق مدينتهم، يعني الشريف بمدينتهم القاهرة المعزية، قال:
فذكر أنه هزمهم حتى عبر الخندق فامتنعوا منه بالسور، وعظم ذلك على المعز لدين الله
وتحير في أمره، ولم يجسر أن يخرج بعسكره خارج الخندق، وكان ابن الجراح الطائي في جمع
عظيم مع الحسن بن أحمد القرمطي، وكان قوة لعسكره ومنعة ومقدمة، فنظر القوم فإذا
ليس لهم بالحسن بن أحمد طاقة، ففكروا في أمره فلم يجدوا لهم حيلة غير فل عسكره،
وعلموا أنه لا يقدر على فله إلا بابن الجراح، وأن ذلك لا يتم إلا ببذل ما يطلبه من المال،
فراسلوا ابن الجراح وبذلوا له مائة ألف دينار، على أن يفل لهم عسكر القرمطي فأجابهم إلى
ذلك، ثم إنهم فكروا في أمر المال فاستعظموه، فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب

وجعلوها في أكياس، وجعلوا على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب تغطى ما
تحتها وشدوها وحملت لابن الجراح بعد أن استوثقوا منه، وعاهدوه ألا يغدر بهم إذا وصل
إليهم المال، فلما وصل إليه المال عمل على فل عسكره، وتقدم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه
إذا توافق العسكران، وقامت الحرب فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزماً، وتبعه
أصحابه في جمع كثير، فلما نظر إليه القرمطي قد انهزم بعد الاستظهار تحير ولزمه أن يقاتل
هو ومن معه فاجتهد في القتال حتى تخلص، ولم تكن له بهم طاقة وكانوا قد بادروه من كل
جانب، فخشي على نفسه وانهزم واتبعوه قومه ودخل المغاربة معسكره، فظفروا باتباع
وباعة نحو من ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى وانتهبوا العسكر وضربوا أعناقهم،
وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، ثم جردوا خلف الحسن بن أحمد، أبا
محمود إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل من المغاربة، فسار خلفه وتباطأ في السير
خوفاً من أن يعطف عليه، وسار الحسن فنزل أذرعات وأنفذ أبا المنجى في طائفة كثيرة من
الجند إلى دمشق، وكان ابنه قبل ذلك والياً عليها، ثم سار القرمطي في البرية إلى بلده وفي
نيته العود، وكانت المغاربة، لما سمعوا بقصة ظالم، وقبض القرمطي عليه لما جرى بينه وبين
أبي المنجى ما ذكرناه، وهربه إلى حصنه، راسلوه ليأتي القرمطي من خلفه، فسار يريد
بعلبك فلقيه الخبر بهزيمة القرمطي ونزول أبي المنجى على دمشق، فسار ظالم نحو دمشق
ونزل أبو محمود أذرعات، وذكر أنه كان بينه وبين ظالم مراسلة واتفقا على أبي المنجى، وبلغ
أبو المنجى مسير ظالم إليه وكان في شرذمة يسيرة، وأبو المنجى بدمشق في نحو ألفي رجل،
وكان قد ورد إليه الخبر في أن ظالماً يصبح من غد في عقبة دمر، وكان الجند قبل ذلك قد
طلبوا منه الرزق، فقال: ما معي مال، فلما ورد إليه خبر ظالم أعطي الجند على السرج
دينارين لكل رجل، ثم إن ظالماً أصبح من غد ذلك اليوم في عقبة دمر، فخرج أبو المنجى
وابنه بمن معهما إلى الميدان للقتال، فذكر أن ظالماً أنفذ إلى أبي المنجى رسولاً يقول له: إنما

جئت مستأمناً إليكم، وقد كان الجند حقدوا على أبي المنجى من جهة الرزق، فلما صار
ظالم في عقبة دمر مشرفاً على دمشق ذهب قوم من الجند نحو العقبة، فاستأمنوا إلى ظالم
وتبعهم قوم بعد قوم، فقوى طمع ظالم بهم فانحدر من العقبة، ثم سار بمن معه حتى قرب
من أبي المنجى فأحاط به فلم يقدر على الهرب فأخذ هو وابنه من بعد أن وقعت فيه
ضربة، وانقلب عسكره إلى ظالم، وملك ظالم البلد، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من
شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.
فلما تمكن ظالم ونزل البلد أوثق أبا المنجى وابنه ثم حبسهما، وقبض على جماعة من
أصحابه فأخذ أموالهم، ثم قدم أبو محمود بعد ذلك دمشق في يوم الثلاثاء لثمان بقين من
شهر رمضان، فلقيه ظالم وتقرب إليه بأبي المنجي وابنه، فعمل لكل واحد منهما قفصاً من
خشب وحملهما إلى مصر فحبسا، وكان بعد ذلك بين ظالم وأبي محمود وأخبار دمشق ما
ليس ذكره في هذا الموضع من غرضنا، فلنرجع إلى أخبار القرامطة.
وفاة الحسن بن أحمد
قال: وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة كاتب هفتكين التركي وهو بالشام القرامطة، وقد
جرى بينه وبنين المغاربة حروب ووقائع وانتصر بهم، فكاتبوه بأنهم سائرون إلى الشام،
فوافوا دمشق في هذه السنة، وكان الذي وافى منهم إسحاق وكسرى وجعفر، فنزلوا ظاهر
دمشق نحو الشماسية، ووافى معهم كثير من العجم ممن كان من أصحاب هفتكين، فلقي
هفتكين القرامطة وحمل إليهم الأموال وأكرمهم وفرح بهم وأمن، فأقاموا على دمشق أياماً ثم
رحلوا متوجهين إلى الرملة، وكان بها أبو محمود إبراهيم بن جعفر فتحصن منهم بيافا،
ونزلت القرامطة الرمل ونصبوا القتال على يافا، حتى كل الفريقان من القتال وصار بعضهم
يحدث بعضاً، وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال، فندب العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله
- وكان قد ولى الأمر بعد وفاة أبيه - جوهر القائد إلى الخروج إلى الشام في سنة خمس
وستين ، وحمل إليه خزائن السلاح والأموال، فسار يريد الشام في عساكر لم تخرج المغاربة من

مصر بمثلها، وتواترت الأخبار إلى هفتكين بمسيره، وهو على عكا وكان قد ملك صيدا،
فنزل عكا وسار فنزل طبرية، وفارق القرامطة الرملة ونزلها جوهر، وسار إسحاق وكسرى
القرمطيان إلى الأحساء، وبقي جعفر لم يسر معهم وانضم إلى هفتكين بطبرية، وسار جوهر
في طلبهما فسارا إلى دمشق وتبعهما جوهر حتى نزل بالشماسية بظاهر دمشق، والمناوشة
تقع بينهم تارة والموادعة أخرى، فلم يزل الأمر كذلك إلى جمادي الأولى سنة ست وستين
وثلاثمائة، فوردت الأخبار وقويت بقرب الحسن بن أحمد القرمطي من دمشق، وجاء من
بشر ابن عمه جعفر بذلك، فسار إليه وصح ذلك عند جوهر، فنزل دمشق وسار نحو
طبرية وجد في السير، وكان قد هلك من عسكره خلق كثير، فخاف أن يدركه الحسن بن
أحمد القرمطي فأسرع المسير من طبرية، وخرج الحسن ابن أحمد من البرية يريد طبرية
فوجده قد سار عنها، فأنفذ خلفه سرية فلحقته فرجع إليها أصحاب جوهر، فقتلوا جماعة
من العرب وسار جوهر حتى نزل ظاهر الرملة، وأتاه الخبر عن الحسن فدخل جوهر زيتون
الرمل وتحصن به، وسار هفتكين من دمشق في أثر الحسن ابن أحمد فلحقه، وتوفى الحسن
بن أحمد بالرملة، وتولى أمر القرمطة بعده ابن عمه جعفر، واجتمع هو وهفتكين على قتال
جوهر، فقاتلوه بقية سنة ست وستين وثلاثمائة، ثم رجع جعفر إلى بلده، وكان بين هفتكين
وجوهر من الحصار ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار ملوك مصر.

استيلاؤهم على الكوفة وخروجهم عنها

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحاق وجعفر
الهجريان - وهما من القرامطة الذين تلقبوا بالسادة - فملكا الكوفة، قال: وكان للقرامطة
من الهيبة ما إن عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير من الإقطاعات، وكان نائبهم ببغداد
وهو أبو بكر بن شاهوية يحكم حكم الوزراء، فقبض عليه صمصام الدولة بن بويه، فلما
جاء القرامطة إلى الكوفة كتب صمصام الدولة إلى إسحاق وجعفر بالملاطفة ويسألهما عن

سبب حركتهما، فذكرا أن السبب في ذلك ما وقع منه من القبض على صاحبهما، وبثا
أصحابهما في جباية الأموال، ووصل الحسن بن المنذر - وهو من أكابر القرامطة - إلى
الجامعين، فأرسل صمصام الدولة العساكر والعرب فقاتلوه وأسروه وجماعة من القواد وانهزم
من معه، ثم جهز القرامطة جيشاً آخر في عدد كثير فهزمته عساكر صمصام الدولة، وقتل
مقدم القرامطة، وكانت هذه الوقعة بالجامعين، فلما بلغ المنهزمون الكوفة رحل القرامطة
عنها، واتبعهم العساكر إلى القادسية وأخذ أمر القرامطة في الانتقاض، ولم يكن لهم بعد
ذلك بالعراق والشام وقعة بلغنا خبرها.

ظفر الأصغر بالقرامطة

قال ابن الأثير: وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع إنسان يعرف بالأصفر من بني المنتفق
جمعاً كثيراً، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة، قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه
وقتل منهم وأسر خلق كثير، وسار الأصفر إلى الأحساء فتحصن القرامطة منه، فعدل إلى
القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأثقالهم ومواشيهم، وسار بذلك إلى البصرة
وانتقض أمر القرامطة وضعفوا، وكان مدة ظهور مذهبهم إلى هذا التاريخ مائة سنة، ومنذ
ظهر أمرهم واستولوا على البلاد وتجهزت العساكر لقتالهم خمساً وتسعين سنة، وكانت
فتنتهم قد عمت أكثر البلاد والعباد؛ ولم أقف لهم بعد واقعة الأصفر على واقعة أخرى
فأذكرها.

وقد ذكرنا من أخبارهم ما فيه كفاية، فلنذكر أخبار الخوارج ببلاد الموصل.

أخبار الخوارج بالموصل

مساور ومن بعده

كان خروج المساور بن عبد الحميد بن مساور البجلى بالبوازيج من بلاد الوصل في شهر
رجب من شهور سنة اثنتين وخمسين ومائتين في خلافة المعتز بالله، وكان سبب خروجه أن
شرطة الموصل كان يتولاها رجل اسمه حسين بن بكير لبني عمران أمراء الموصل، فأخذ
ابنا لمساور هذا اسمه حوثرة فحبسه بالحديثة، وكان حوثرة جميلاً فكان متولي الشرطة

يخرجه من الحبس ليلاً ويحضره عنده، ويرده إلى الحبس نهاراً، فكتب حوثرة إلى أبيه -
وهو بالبوازيج - يقول: أنا بالنهار محبوس وفي الليل عروس، فغضب لذلك وقلق وخرج
وتابعه جماعة، وقصد الحديثة فاختفى حسين بن بكير، فأخرج ابنه من الحبس وكثر جمعه
من الأعراب والأكراد، فسار إلى الموصل ونزل بالجانب الشرقي، وكان الوالي عليها عقبة بن
محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن اهبان الخزاعي، واهبان يقال إنه مكلم الذئب وله
صحبه، فوافقه من الجانب الغربي وعبر دجلة رجلان من أهل الموصل إلى مساور، فقاتلا
مساورا فقتلا وعاد مساور وكره القتال، وكان حوثرة ابنه معه فكان يقول:

أنا الغلام البجلي الشاري أخرجى جوركم من داري

قتل مساور بندارا
الطبري متولي طريق خراسان
قال: ولما فارق مساور الموصل بلغ بندارا الطبري وهو بالدسكرة أنه يريد كرخ جدان،
وكان بندار الطبري يلي طريق خراسان هو ومظفر بن سيسل، فقال بندار ذلك لمظفر فقال
مظفر: قد أمسينا وغدا عيد، فإذا قضينا العيد سرنا إليه، فسار بندار ليلاً طمعاً في أن
يكون الظفر له، حتى أشرف على عسكر مساور، فأشار عليه بعض أصحابه أن يبيتهم
فأبى، وقال: حتى أراهم ويروني فأحس به الخوارج فركبوا واقتتلوا، وكان مع بندار ثلاثمائة
فارس ومع مساور سبعمائة، فاشتد القتال بينهم وحمل الخوارج حمله، اقتطعوا من أصحاب
بندار أكثر من مائة فصبروا لهم وقاتلهم حتى قتلوا جميعاً، فانهزم بندار وأصحابه وجعل
أصحاب مساور يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فقتلوهم، وأمعن بندار في الهرب فطلبوه حتى
أدركوه فقتلوه ونصبوا رأسه، ونجا من أصحابه نحو خمسين رجلاً، وقيل مائة، وأتى الخبر
إلى المظفر فرحل نحو بغداد، وسار مساور نحو حلوان فقاتله أهلها، فقتل منهم أربعمائة
إنسان، وقتلوا من أصحابه جماعة وقتل مساور عدة من أصحاب خراسان كانوا بحلوان،
فأعانوا أهلها على مساور، ثم انصرف عن حلوان، فقال مساور في ذلك:

فجعت العراق ببندارها وحزت البلاد بأقطارها

وحلوان صبحتها غارة فقتلت أغرار غرارها
وعقبة بالموصل اجحرته وطوقه الذل بي كارها
قال: وكان قتل بندار في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ثم لقي مساور عسكراً للخليفة،
ومقدمهم خطرمش بناحية جلولاء في ذي الحجة من السنة، فهرمهم مساور واستولى على
بلاد الموصل فقوى أمره وكثرت اتباعه.
فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلى - وكان خليفة أبيه على
الموصل - عسكراً كثيراً منهم حمدان بن حمدون جد الأمراء الحمدانية وغيره، وسار إليه
وعبر إليه نهر الزاب، فتأخر مساور عن موضعه ونزل بموضع يقال له وادي الذئاب، وهو
واد عميق، فسار الحسن في طلبه فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الموصل وكثر
القتل فيهم، وسقط كثير منهم في الوادي فهلك فيه أكثر من القتلى، وذلك في جمادي الأولى
سنة أربع وخمسين ومائتين، ونجا الحسن فوصل إلى حرة من أعمال إربل، وهرب محمد بن
علي بن السيد، فظن الخوارج أنه الحسن فتبعوه فقتلوه، وكان فارساً شجاعاً، واشتد أمر
مساور وعظم شأنه وخافه الناس.
استيلاء مساور إلى الموصل
وخروجه منها
قال: ولما انهزم عسكر الموصل من مساور قوى أمره وكثرت أتباعه، فسار من موضعه
وقصد الموصل فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى، فاستتر أمير البلد عبد الله بن سليمان
لضعفه عن مقاتلته ولم يدافعه أهل الموصل، فوجه مساور جمعاً إلى دار عبد الله أمير البلد
فأحرقها، ودخل الموصل بغير حرب فلم يتعرض لأحد، وحضرت الجمعة فدخل المسجد
الجامع، وحضر الناس فصعد مساور المنبر، وجعل على درج المنبر من أصحابه من يحرسه
بالسيوف وكذلك في الصلاة، ولما خطب قال في خطبته: اللهم أصلحنا وأصلح ولاتنا ولما
دخل في الصلاة جعل إبهاميه في أذنيه وكبر ست تكبيرات ثم قرأ بعد ذلك.
ثم فارق البلد ولم يقدر على المقام به لكثرة أهله، وسار إلى الحديثة وكان قد اتخذها دار
هجرته، وكان دخوله الموصل في سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم كان بينه وبين عسكر

للخليفة في هذه السنة وقعة فانهزم عسكر الخليفة.
اختلافهم على مساور
وانتصاره على من خالفه وقاله عساكر الخليفة
في سنة ست وخمسين ومائتين خالف إنسان من الخوارج اسمه عبيدة من بني زهير، على
مساور، وسبب ذلك أنه خالفه في توبة المخطىء، فقال مساور: تقبل توبته، وقال عبيدة: لا
تقبل، فجمع عبيدة جمعاً كثيراً وسار إلى مساور، وتقدم إليه مساور من الحديثة، فالتقوا
بنواحي جهينة في جمادي الأولى سنة سبع وخمسين، واقتتلوا أشد قتال فترجل عبيدة
ومعه جماعة من أصحابه وعرقبوا دوابهم فقتل عبيدة وانهزم جمعه، فقتل أكثرهم واستولى
مساور على كثير من العراق، ومنع الأموال عن الخليفة فضاقت على الجند أرزاقهم
فاضطرهم ذلك إلى أن سار إليه موسى بن بغا وبايكباك وغيرهما في عسكر عظيم، وذلك
في سنة ست وخمسين، فوصلوا إلى السن وأقاموا به، ثم عادوا بسبب خلع المهتدي، فلما
ولى المعتمد على الله الخلافة سير مفلحاً في عسكر كبير لقتال مساور، فسار فلما قرب
قارب الحديثة فارقها مساور، وقصد جبلين يقال لأحدهما زيني والآخر عامر وهما بالقرب
من الحديثة، فتبعه مفلح فعطف عليه مساور وهو في أربعة آلاف فارس، وكان مساور قد
انصرف من حرب عبيدة وقد جرح كثير من أصحابه، فلحقوا مفلحاً بجبل زيني فلم يصل
إلى ما يريد، فصعد مساور رأس الجبل فاحتمى به، ونزل مفلح في أصل الجبل، وجرى
بينهما وقعات كثيرة، ثم اصبحوا يوماً فطلبوا مساوراً فلم يجدوه، وكان قد نزل من غير
الوجه الذي نزل به مفلح، لما أيس من الظفر لضعف أصحابه من الجراح، فلما لم يره مفلح
سار إلى الموصل وسار منها إلى ديار ربيعة، سنجار ونصيبين والخابور، فنظر في أمرها ثم
سار فأتى الموصل، فأحسن السيرة في أهلها ورجع عنها وقد تأهب للقاء مساور، فلما
قارب الحديثة فارقها مساور وتبعه مفلح، فكان مساور يرتحل عن المنزل فينزله مفلح، فلما
طال الأمر على مفلح وتوغل في الجبال والشعاب والمضايق عاد عنه فتبعه مساور يقفو أثره

ويأخذ من ينقطع عن ساقه العسكر، فرجع إليه طائفة من العسكر فقاتلوه، ثم عادوا
ولحقوا مفلحاً، ووصل مفلح الحديثة فأقام بها أياماً، وانحدر في أول شهر رمضان إلى سامراً،
فاستولى حينئذ مساور على البلاد، وقوى أمره واشتدت شوكته.
وفي سنة سبع وخمسين ومائتين خرج على مساور خارجي آخر اسمه طوق من بني زهير،
فاجتمع إليه أربعة آلاف فصار بهم إلى أذرمة، فحاربه أهلها فدخلها بالسيف، وأخذ
جارية بكراً فافتضها في المسجد، فجمع الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي جمعاً كثيراً
فحاربه وقتله، وأنفذ رأسه إلى ساوراً، واستمر مساور بتلك النواحي إلى أن مات في سنة
ثلاث وستين.
وفاة مساور
وخبر من قام بعده إلى أن قام هارون البجلي
وفي سنة ثلاث وستين ومائتين توفي مساور الشاري، وكان قد رحل من البوازيج يريد لقاء
عسكر قد سار إليه من قبل الخليفة، فكتب أصحابه إلى محمد بن خرزاد وهو بشهرزور
ليولوه أمرهم، فامتنع وكان كثير العبادة فبايعوا أيوب بن حيان الوارقي البجلي، فأرسل إليهم
محمد بن خرزاد يذكر أنه نظر في أمره فلم يسعه إهمال الأمر، لأن مساوراً إليهم عهد إليه به،
فقالوا له: قد بايعنا هذا الرجل ولا نغدر به، فسار إليهم فيمن بايعه فقاتلهم، فقتل أيوب بن
حيان فبايعوا بعده محمد بن عبد الله بن يحيى الوارقي المعروف بالغلام فقتل أيضاً فبايع
أصحابه هارون بن عبد الله البجلي، فكثر اتباعه وعاد عنه خرزاد، واستولى هارون
على بلد الموصل وجبى خراجه.
محاربة محمد بن خرزاد لهارون
بن عبد الله وما كان من خبر خرزاد ومقتله واستقلال هارون بالأمر بمفرده
وفي سنة سبع وستين ومائتين كانت الحرب بين محمد بن خرزاد وهارون بن عبد الله،
وذلك أن محمداً جمع أصحابه وسار لحرب هارون، فنزل واسط وهي قرية من قرى
الموصل، وكان يركب البقر لئلا يفر من القتال، ويلبس الصوف الغليظ ويرقع ثيابه، وكان كثير
العبادة والنسك ويجلس إلى الأرض ليس بينه وبينها حائل، فلما نزل واسط خرج إليه

وجوه أهل الموصل، وكان هارون بمعلثايا يجمع لحرب محمد، فلما سمع بنزول محمد عند
الموصل سار إليه، ورحل ابن خرزاد نحوه، فالتقوا بالقرب من قرية شمرخ واقتتلوا قتالاً
شديداً، كان فيه مبارزة وحملات كثيرة، فانهزم هارون وقتل من أصحابه نحو مائتي رجل،
منهم جماعة من الفرسان المشهورين، ومضى هارون منهزماً فعبر دجلة إلى العرب قاصداً
بني تغلب فنصروه واجتمعوا إليه، ورجع محمد بن خرزاد من حيث أقبل وعاد هارون إلى
الحديثة فاجتمع إليه خلق كثير، فكاتب أصحاب ابن خرزاد واستمالهم، فأتاه منهم خلق
كثير، ولم يبق مع ابن خرزاد إلا عشيرته من الشمردلية، وهم أهل شهرزور كثير الأعداء
من الأكراد وغيرهم، وكان هارون ببلد الموصل قد صلح حاله وحال أصحابه، فمال إليه
أصحاب ابن خرزاد وقصدوه لهذا السبب، وأوقع ابن خرزاد بالأكراد الجلالية بنواحي
شهرزور وغيرهم، فقتل وتفرد هارون بالأمر وقوى، وكثر أتباعه وغلبوا على القرى
والرساتيق، وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المنحدرة والمصعدة، وبثوا
نوابهم في الرساتيق يأخذون الأعشار من الغلات.
وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين دخل هارون الموصل، وصلى الجمعة بالناس وكان معه
حمدان بن حمدون.
خروج محمد بن عبادة
على هارون وكلاهما خرجي
وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين خرج محمد بن عبادة ويعرف بأبي جورة، وهو من بني زهير
على هارون، وكان محمد هذا في أول أمره من الفقراء الصعاليك، وكان هو وأبناؤه يلتقطون
الكمأة ويبيعونها إلى غير ذلك من الأعمال، ثم إنه جمع جماعة وحكم، فاجتمع إليه أهل
تلك النواحي والأعراب وقوي أمرهن وأخذ عشر غلات وقبض الزكاة، وسار إلى معلثايا
فقاطعه أهلها على خمسمائة دينار، وجبي تلك الأعمال وبنى عند سنجار حصناً، وحمل
إليه الميرة والأمتعة، وجعل فيه ابنه أبا هلال ومعه مائة وخمسون رجلاً من وجوه بني زهير
وغيرهم، ووصل الخبر إلى هارون فاجتمع رأيه ورأي وجوه أصحابه على قصد الحصن

أولا، فإذا قرغوا منه ساروا إلى محمد بن عبادة، فجمع أصحابه به فبلغوا ألف فارس
ومائتي فارس ومائة راجع، فأحدق بالحصن وحصره، ومحمد بن عبادة في قبرثا لم يعلم
بذلك، وجد هارون في تلك أهل الحصن، ونصب عليهم السلاليم وملكه، فلما رأى من
معه من بني تغلب تغلبه على الحصن أعطوا من فيه من بني زهير الأمان، بغير أمر هارون
فشق ذلك عليه، ألا أنه قتل أبا هلال بن محمد ونفرا معه قبل الأمان، ثم ساروا إلى محمد
فوافوه وهو في أربعة آلاف رجل، فاقتتلوا فانهزم هارون ومن معه، ووقف بعض أصحابه
ونادى رجالاً بأسمائهم فاجتمعوا نحو أربعين رجلاً، وحملوا على ميمنة محمد فانهزمت،
وعادت الحرب فانهزم محمد وأصحابه، ووضعوا فيهم السيف فقتل منهم ألفان وأربعمائة
رجل وحجز بينهم الليل وجمع هارون مالهم فقسمه بين أصحابه، وانهزم محمد إلى آمد
فأخذه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ بعد حرب وأسره، وحمله إلى المعتضد بالله
فسلخ جلده كالشاة.

انهزام هارون
من عسكر الموصل

كان المعتضد بالله قد سار إلى ماردين في سنة إحدى وسبعين، وخلف بالموصل نصر
القشوري يجبي الأموال ويعين العمال على جبايتهم فخرج عالم معلثايا إليها ومعه جماعة من
أصحاب نصر، فوقع عليهم طائفة من الخوارج فاقتتلوا إلى أن أدركهم الليل ففرق بينهم،
وقتل من الخوارج إنسان اسمه جعفر، وهو من أعيان أصحاب هارون، فعظم عليه ذلك
وأمر أصحابه أن يفسدوا في البلاد، فكتب نصر القشوري إلى هارون يتهدده بقرب الخليفة،
وأنه إن هم به أهلكه وأصحابه، فلا يغتر بمن سار إلى حربه فعاد عنده بمكره وخديعته،
فأجابه هارون بجواب غليظ، ومن جملته وإنا وإياك كما قيل:

فلا توعدونا باللقاء وأبرزوا إلينا سوادا نقله بسواد

فبعث نصر جواب هارون إلى المعتضد بالله فجد في قصده، وولى الحسن بن علي كورة
الموصل وأمره بقصد الخوارج، وأمر كافة مقدمي الولايات والأعمال بطاعته، فجمعهم وسار

إلى أعمال الموصل وخندق على نفسه، وأقام إلى أن رفع الناس غلاتهم، ثم سار إلى
الخوارج وعبر نهر الزاب إليهم، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانكشف الخوارج عنه، ليفرقوا
جمعيته ثم يعطفوا عليهن فأمر الحسن أصحابه بلزوم مواقفهم ففعلوا، ورجع هارون
وأصحابه وحملوا سبع عشرة حملة، فانكشفت ميمنة الحسن وثبت هو، فحمل عيه
الخوارج حملة رجل واحد وهو ثابت، وضرب على رأسه عدة ضربات فلم تؤثر فيه، فلما
رأى أصحابه ثباته رجعوا إليه وقتلوا وصبروا، فانهزم هارون ومن معه وقتل خلق كثير،
وكانت هذه الواقعة في سنة اثنتي وثمانين ومائتين، فتحير هارون في أمره فقصد البرية، ونزل
عند بني تغلب ثم عاد إلى معلثايا، ورجع إلى البرية ثم رجع إلى دجلة، وتكرر ما بين ذلك،
فلما رأى أصابه قوة دولة الخليفة المعتضد بالله وراسلوا الخليفة في طلب الأمان، فأمنهم
فأتاه ثلاثمائة وستون رجلاً، وبقي مع هارون بعضهم، وهو يجول في البلاد إلى أن قتل.

مقتل هارون

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين سار المعتضد بالله إلى الموصل، ووصل إلى تكريت وأقام بها،
وأحضر الحسين بن حمدان وبعثه في طلب هارون في جماعة من الفرسان والرجالة، فانتخب
الحسن ثلاثمائة رجل فسار بهم، ومعه وصيف فقال له الحسين: مره يا أمير المؤمنين بطاعتي،
فقال الحسين لوصيف ولمن معه ليقفوا هناك، وقال: ليس لهارون طريق - إن هرب-
غيرها، فلا تبرحوا من هذا الموضع حتى يمر بكم فتمنعوه من العبور وأكون أنا من خلفه،
ومضى الحسين في طلب هارون فلقيه، واقتتلوا وقتل من الفريقين عدة قتلى، ثم انهزم
هارون، وأقام الوصيف على المخاضة ثلاثة أيام، فقال له أصحابه: قد طال مقامك ولسنا
نأمل أن يأخذ حسين هارون، فيكون الفتح له دوننا، والصواب أن تمضي في آثارهم
فأعطاهم ومضى، ولما فارق المخارضة جاء هارون فعبرها، وجاء الحسين في أثره إلى
الموضع فلم يرى وصيفاً وأصابه في الموضع الذي تركهم فيه، فعبر في أثر هارون وانتهى إلى

حي من أحياء العرب، فسأل عنه فكتموه أمر فهددهم فأعلموه أنه اجتاز بهم، فتبعه حتى
أدركه بعد أيام وهارون في نحو مائة رجل، فناشده فأبى الحسين إلا قتاله، وحاربه وألقى
نفسه عليه وأسره، وجاء به إلى المعتضد بالله إلى بغداد فوصلها لثمان بقين من شهر ربيع
الأول، وأدخل هارون على فيل، وأرادوا أن يلبسوه ديباجاً مشهرا فامتنع، وقال: هذا لا
يحل فألبسوه كارها، ولما صلب نادى بأعلى صوته لا حكم إلا لله ولو كره المشركون، وكان
هارون صفرياً، وكانت مدة خروج هذه الطائفة، منذ خرج مساور إلى أن أسار هارون
ثلاثين سنة، منها أيام مساور عشر سنين، ومدة خروج هارون عشرون سنة، والله تعالى
أعلم.
الباب التاسع من القسم الخامس من الفن الخامس
ملوك ومماليك البلاد الشرقية
والشمالية في خلال الدولة العباسية وهم ملوك خراسان وما وراء النهر والجبال وطبرستان
وغزنه والغور وبلاد السند والهند والدولة السامانية والدولة الصفارية والغزنوية والغورية
والدولة الديلمية الختلية.
الدولة السامانية
وقيامها بما وراء النهر ونسب ملوكها وابتداء أمرهم
كان أول من تبغ منهم وظهر اسمه وولى من قبل الخلافة نصر بن أحمد بن أسد بن سامان
خداه بن جمان بن طمغاث بن نوشرد بن برام جوبين بن بهرام خشنش، وكان بهرام
خشنش من الري فجعله كسرى هرمز مرزبان أذربيجان، وكانت ولاية نصر بن أحمد ما
وراء النهر في سنة إحدى وستين ومائتين من قبل الخليفة المعتمد على الله العباسي؛ وكان
المأمون، لما ولى خراسان في خلافة أبيه الرشيد، اصطنع أولاد أسد بن سامان، وهم نوح
وأحمد ويحيى وإلياس، فقدمهم ورفعهم واستعملهم، فلما أفضت الخلافة إلى المأمون ورجع
إلى العراق استخلف غسان بن عباد، فاستعمل غسان نوح بن أسد على سمرقند، وأحمد
بن أسد على فرغانة، ويحيى على الشاش وأشروسنة، وإلياس على هراة وذلك في سنة
أربع ومائتين، ثم أقرهم طاهر بن الحسين على هذه الأعمال لما ولى خراسان، ثم توفي نوح

بن أسد فأقر طاهر أخويه يحيى وأحمد على عمله، وكان أحمد بن أسد عفيفاً عن
المطاعم الدنية حسن السيرة، لا يقبل رشاً، ففيه يقول الشاعر:
ثوى ثلاثين حولا ولايته فجاع يوم ثوى في قبره حشمه
وقيل إن هذا الشاعر إنما قيل في ابنه نصر.
وأما إلياس فإنه أقام بهراة إلى أن مات، فأقر عبد الله بن طاهر ابنه أبا إسحاق محمد بن
إلياس على عمله بهراة، وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين وهم: نصر وأبو يوسف يعقوب
وأبو زكريا يحيى وأبو الأشعث أسد وإسماعيل وإسحاق وأبو غانم حميد، فلما توفي أحمد
بن أسد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند، فبقي عامل عليها إلى آخر الأيام
الطاهرية وبعدها إلى أن مضى لسبيله، وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا، فولاه
بخارى في سنة إحدى وستين ومائتين، فهذا ابتداء أمرهم على سبيل الاختصار.
وهذه الولاية هي أول ولاية كانت لملوك هذه الدولة ولأهل هذا البيت من قبل الخليفة، ففي
هذه السنة كان ابتداء دولتهم، وأول من استقل منهم بالولاية نصر هذا في هذا التاريخ، وكان
قبل ذلك يلي الأعمال من قبل عمال خراسان، قال: ثم وقع - خلاف - بين نصر وأخيه
إسماعيل مرة بعد أخرى حتى أفضى ذلك إلى الحرب بينهما، فتحاربا في خمس وسبعين
ومائتين، فظفر إسماعيل بأخيه نصر فلما جيء به إليه ترجل إسماعيل له، وقبّل يده ورده إلى
موضعه بسمرقند، وتصرف في النيابة عنه ببخاري وصلح ما بينهما، وكان إسماعيل خيراً
يحب أهل العلم والدين ويكرمهم، وببركتهم دام الملك في عقبة من بعده.
حكي عن أبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد هذا قال: كنت بسمرقند فجلست للمظالم
وجلس أخي إسحاق إلى جانبي، فدخل أبو عبد الله محمد بن نصر الفقيه الشافعي فقمت
له إجلالاً لعلمه ودينة، فلما خرج عاتبني أخي وقال: أنت أمير خراسان يدخل عليك رجل
من رعيتك فتقوم له فتذهب السياسة بهذا! ! قال إسماعيل فبت في تلك الليلة فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم، كأني واقف أنا وأخي إسحاق، فأقبل النبي صلى الله عليه

وسلم وأخذ بعضدي وقال لي: يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بإجلالك محمد بن
نصر، ثم التفت إلى إسحاق وقال: ذهب ملكك وملك بنيك باستخفافك بمحمد ابن نصر.
وفاة نصر وقيام إسماعيل
وفي سنة تسع وسبعين ومائتين توفي نصر بن أحمد، وكانت مدة استقلاله بالأمر ثماني عشرة
سنة تقريباً، وكان دينا عاقلاً حسن الشعر، ولما مات قام مقامه في أعماله بما وراء النهر
أخوه إسماعيل ابن أحمد.
وفي سنة ثمانين ومائتين غزا إسماعيل بلاد الترك، وافتتح مدينة ملكهم وأسر أباه وامرأته
خاتون ونحوا من عشرة آلاف، وقتل منهم خلقاً وأصاب من الدواب ما لا يعلم عدده،
وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم.
ملك إسماعيل خراسان
وفي سنة سبع وثمانين ملك خراسان من عمرو بن الليث الصفار، وسبب ذلك أن عمرا
كان قد أرسل إلى الخليفة المعتضد بالله يطلب منه أن يوليه ما وراء النهر، فوجه إليه الخلع
واللواء بذلك، وكان هو إذ ذاك بنيسابور، فوجه لمحاربة إسماعيل محمد بن بشير - وكان
صاحبه وخليفته - وعشرة من قواده، فتوجهوا إلى آمل فعبر إليهم إسماعيل نهر جيحون،
والتقوا فهزمهم وقتل محمد بن بشير في نحو سنة آلاف رجل، وبلغ المنهزمون إلى عمرو
بنيسابور وعاد إسماعيل إلى بخاري، فتجهز عمرو لقصده وسار من بينسابور نحو بلخ،
فراسله إسماعيل يستعطفه ويقول: إن ولايتك قد اتسعت ولك دنيا عريضة، وأنه ليس بيدي
إلا ما وراء النهر، وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني، فأبى عمرو إلا قتاله، فذكر أصحاب
عمرو له شدة العبور إلى نهر بلخ، فقال: لو شئت أن أسكره ببدر الأموال لفعلت، وسار
إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربي، ونزل عمرو بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي
لكثرة جيوشه، فبقي عمرو كالمحاصر فطلب المحاجزة فأبى إسماعيل، والتقوا واقتتلوا فلم
يكن بينهم كبير قتال حتى ولى عمرو هارباً، ومر بأجمة في طريقه فقبل له إنها أقرب الطرق
فقصدها في نفر يسير وقال لعامة من معه: اسلكوا الطريق الواضح، ودخل الأجمة فوحل به

فرسه ومضى من معه، فجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً، فسيره إسماعيل إلى
سمرقند، فلما وصل الخبر إلى المعتضد ذم عمراً ومدح إسماعيل، وقال: ثم خيره إسماعيل
بين المقام عنده أو إنفاذه إلى المعتضد فاختار التوجه إلى الخليفة فسيره إليه، كانت هذه
الوقعة في شهر ربيع الأول من السنة.
وأرسل الخليفة المعتضد بالله إلى إسماعيل الخلع، وولاه ما كان بيد عمرو وخلع على نائبه
بالحضرة وهو المعروف بالمرزباني، فاستولى إسماعيل على خراسان وصارت بيده.
ملكة طبرستان
وفي سنة سبع وثمانين أيضاً ملك إسماعيل طبرستان من محمد بن زيد العلوي، وسبب ذلك
أنه سار لقصد خراسان، ظناً منه أن إسماعيل لا يتجاوز ما وراء النهر، فبعث إليه ينهاه
عن التعرض إليها وترك له جرجان فامتنع من ذلك، فندب إسماعيل لقتاله محمد بن هارون
فالتقوا واقتتلوا على باب جرجان، فانجلت الحرب عن انهزام العلوي بعد أن جرح عدة
جراحات وأسر ابنه زيد بن محمد، وحمل إلى إسماعيل فأكرمه وأحسن، وسار محمد بن
هارون إلى طبرستان وملكها، وتولاها من قبل إسماعيل.
ثم استولى محمد بن هارون على الري في شهر رجب سنة تسع وثمانين بعد أن خلع طاعة
إسماعيل، وكان أهل الري قد كاتبوه في تسليمها إليه، فسار إليهم فحاربه واليها وهو
اكرتمش التركي، فقتله محمد وقتل ابنيه وأخاه كيغلغ وهو من قواد الخليفة.
ذكر القبض على محمد بن هارون ووفاته
وفي سنة تسعين ومائتين أنفذ المكتفى بالله عهداً إلى إسماعيل بولاية الري، فسار إليها
ففارقها ابن هارون إلى قزوين ثم عاد إلى طبرستان، واستعمل، إسماعيل على جرجان
بارس التركي الكبير، وألزمه إحضار محمد بن هارون، فكاتبه بارس وضمن له إصلاح
أمره، فقصد بخاري فلما بلغها قيد وحمل على جمل، وحبس فمات بعد شهرين محبوساً؛
وكان ابتداء أمر محمد بن هارون أنه كان خياطاً، ثم جمع جمعاً من أهل الفساد وقطع
الطريق في مفازة سرخس مدة ثم استأمن إلى رافع بن هرثمة وبقي معه إلى أن انهوم من

عمرو الصفار فاستأمن إلى إسماعيل الساماني فسيره إسماعيل لقتال العلوي كما قدمناه ثم
خرج عليه كما ذكرنا.
وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون كثرة، وكان
عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا تكون القبة التركية إلا لرؤساتهم، فوجه إليهم إسماعيل
جيشاً عظيماً وتبعهم خلق من المطوعة فوصلوا إلى الترك وهم غادون، فكسبهم المسلمون
في الصبح فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وانهزم الباقون لأقبح هزيمة.
ذكر وفاة إسماعيل وولاية ابنه أحمد
كانت وفاته في منتصف صفر سنة خمس وتسعين ومائتين، ولقب بعد موته بالماضي، وكان
رحمة الله تعالى عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً.
حكى عنه أنه كان لولده أحمد مؤدب يؤدبه، فمر به الأمير إسماعيل فسمع المؤدب يسبه،
ويقول: لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك، فدخل عليه وقال: يا هذا نحن لم نذنب ذنباً
فتسبنا، فهل ترى أن تعفينا من سبك، وتخص المذنب بذمك وشتمك؟ فارتاع المؤدب
وخرج إسماعيل عنه، وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه. وجرى بين يديه ذكر الأنساب
والأحساب فقال لبعض جلسائه: كن عصامياً ولا تكن عظامياً.
ومن مكارمه وآدابه أنه
ولى بعد أخيه نصر واستقل بالأمر استمر يكاتب أصحابه وأصدقاءه بما كان يكاتبهم به
أولاً، فقيل له في ذلك فقال: يجب علينا إذا زادنا الله رفعة إلا ننقص إخواننا، بل نزيدهم
رفعة وعلاء وجاهاً ليزيدوا لنا خلوصاً وشكراً؛ وكانت مدة ولايته منذ أفضى الأمر إليه
بعد وفاة أخيه ست عشرة سنة.
ولما مات ولى بعده ابنه:
أحمد بن إسماعيل
قال: ولما استوثق له الأمر ببخاري قصد بالخروج إلى الري فأشار عليه إبراهيم بن زيدوية
بقصد سمرقند، والقبض على عمه إسحاق بن أحمد لئلا يخرج عليه، فاستدعى عنه إلى
بخاري فحضر إليه واعتقله بها، ولم يزل سنة ثمان وتسعين فأطلقه وأعاده إلى سمرقند
وفرغاته، قال: ولما قبض على عمه عبر إلى خراسان، فلما ورد نيسابور هرب بارس الكبير

من جرجان إلى بغداد خوفاً منه، كان لخوفه منه أسباب منها: أن الأمير إسماعيل كان قد
استعمل ابنه أحمد على جرجان - ولما أخذها من محمد بن زيد - ثم عزله عنها،
واستعمل عليها بارس الكبير، فاجتمع عند بارس أموال عظيمة من خراج الري
وطبرستان، فحملها إلى إسماعيل فلما سارت عنه بلغه وفاة إسماعيل فردها وأخذها، فلما
قاربه أحمد خافه فكتب إلى المكتفي بالله يستأذنه في المصير، فأذن له فسار إلى بغداد في
أربعة آلاف فارس، فوصل إليها بعد وفاة المكتفي وولاية المقتدر، فأعجب المقتدر فسيره
إلى بني حمدان بعسكره وولاه ديار ربيعة، فخافه أصحاب الخليفة أن يتقدم عليهم، فدسوا
عليه غلاماً له فسمه فمات بالموصل، واستولى غلامه على أمواله وتزوج بامرأته.

ذكر استيلاء أحمد بن إسماعيل على سجستان

وفي شهر رجب سنة ثمان وتسعين ومائتين استولى على سجستان، وذلك أنه لما استتب
ملكه واستقرت قواعده سار في سنة سبع وتسعين ومائتين إلى الري، وكان مسكنه ببخارى
ثم سار إلى هراة، فسير منها جيشاً في المحرم سنة ثمان وتسعين إلى سجستان وعدة من
قواده، واستعمل عليهم الحسين بن علي المروروزي، وكان بسجستان المعدل بن علي بن
الليث الصفار، وهو صاحبها، فسير المعدل أخاه أبا علي محمد إلى بست ليجني أموالها،
فسار الأمير أحمد إليه ببست وحاربه، وأخذه أسيراً وعاد به إلى هراة، وتوجه الحسين إلى
سجستان وحصر المعدل، فلما بلغه أن أخاه أسر، صالح الحسين واستأمن له، واستولى
الحسين على سجستان، واستعل عليها الأمير أحمد أبا منصور بن إسحاق - وهو ابن عنه
- وعاد الحسين ومعه المعدل إلى بخارى، وقال: ولما استولى على سجستان سار سبكرى
من فارس إليها على طريق المفازة، فسير إليه أحمد جيشاً فأخذوه أسيراً واستولى على
عسكره، وكتب الأمير أحمد بذلك إلى المقتدر بالله فشكره، وأمره أن يحمل السبكرى
ومحمد ابن علي بن الليث إلى بغداد، فسيرهما فأدخلا مشهورين على فيلين، وأعاد المقتدر
رسل أحمد بالتحف والهدايا.

ثم خالف أهل سجستان على الأمير أحمد
في سنة ثلاثمائة، وسبب ذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلي كان خارجى
المذهب، وأقام ببخارى وهو من أهل سجستان وكان شيخاً كبيراً، فجاء يوماً إلى الحسين
بن علي العارض يطلب رزقه، فقال له: إن الأصلح لمثلك من الشيوخ أن يلزم رباطاً، يعبد
اله فيه حتى يوافيه أجله، فغاظه ذلك وانصرف إلى سجستان، فاستمال جماعة من
الخوارج، وكان رئيسهم محمد بن العباس المعروف بابن الحفار، ودعا لعمرو بن يعقوب بن
محمد بن عمرو بن الليث الصفار، فقبضوا على منصور بن إسحاق وحبسوه وخطبوا
لعمرو وسلموا إليه سجستان، فلما بلغ الخبر الأمير أحمد سير الجيوش مع الحسين بن علي
فحصرها تسعة أشهر، فصعد يوماً محمد بن هرمز الصندلي إلى السور، وقال: ما حاجتكم
إلى أذى شيخ كبير لا يصلح إلا للزوم رباط؟ ثم مات الصندلي فاستأمن عمرو بن يعقوب
الصفار ولبن الحفار إلى الحسين، وأطلقوا منصور بن إسحاق، وكان الحسين يكرم ابن الحفار
ويقربه، فوطأ ابن الحفار جماعة على الفتك بالحسين، فبلغ الحسين ذلك فقبض عليه وأخذه
معه إلى بخارى، واستعمل أحمد على سجستان سيمجور الدواتي، فتوجه إلى سجستان
واستصحب معه عمرو بن يعقوب وابن الحفار، فتوفي ابن الحفار.

ذكر مقتل الأمير أحمد وولاية ابنه نصر

وفي سنة إحدى وثلاثمائة خرج الأمير أحمد إلى الصيد، وكان له أسد يربط على باب
مبيته في كل ليلة، فلما كان في ليلة قتله أغفل الغلمان إحضار الأسد، فدخل إليه نفر من
غلمانه فذبحوه على سريره وذلك في ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة، فحمل إلى
بخارى فدفن بها وقتل بعض أولئك الغلمان، ولقب بعد موته بالشهيد وكانت مدة ولايته
ست سنين وأربعة أشهر وأياماً.

نصر بن أحمد

وهو الرابع من الملوك السامانية. قال: ولما قتل والده كان عمره ثماني سنين، فبايعه
أصحاب والده وكان القائم ببيعه أحمد بن محمد بن الليث متولي بخارى، فحمله على عاتقه

فقال: أتريدون أن تقتلوني كما فعلتم بأبي، قالوا: لا وإنما نريد أن نضعك في موضع أبك
أميراً، فسكن روعه، وبايعوا له ولقب بالسعيد، فاستصغره الناس وظنوا أن أمره لا ينتظم
مع وجود عم أبه - الأمير إسحاق، وقوته وكونه شيخ السامانية وصاحب سمرقند، وميل
الناس بما وراء النهر إليه وإلى أولاده، فكان الأمر بخلاف ما ظنه الناس، وطالت مدته
ونافت على ثلاثين سنة.
قال: وتولى تدبير دولته أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، فأمضى الأمور وضبط
الملكة، واتفق هو وحشم نصر بن أحمد على تدبير الأمر فأحكموه بالحضرة، وإنما طمع
أصحاب الأطراف في البلاد، وكان ممن خرج عن طاعته أهل سجستان، فانصرف عنها
سيمجور الدواتي فولاها المقتدر بالله بدراً الكبير.
ذكر خروج إسحاق بن أحمد وابنه إلياس
قال: ولما توفي الأمير أحمد وولى ابنه نصر خالف عليه عم أبيه الأمير إسحاق بن أحمد -
وكان يلي سمرقند - وخالف ابنه إلياس، وقوى أمرهما، فسارا نحو بخارى فسار إليهم
حمويه بن علي في عسكر كثيف، والتقوا قتالاً شديداً فانهزم إسحاق إلى سمرقند، وذلك في
شهر رمضان سنة إحدى وثلاثمائة، ثم عاد وجمع مرة ثانية والتقوا فانهزم إسحاق ثانياً،
وتبعه حميه إلى سمرقند فملكها قهراً، واختفى إسحاق فشدد عليه الطلب وضيق عليه،
فاستأمن إلى حمويه فأمنه وحمله إلى بخارى، فأقام بها إلى أن مات. وأما ابنه إلياس فسار
إلى فرغانة فكان بها إلى أن خرج في سنة ست عشرة.
ذكر مخالفة منصور بن إسحاق
وفي سنة اثنتين وثلاثمائة خالف منصور بن إسحاق بن أحمد، على الأمير نصر بن أحمد،
ووافقه على ذلك الحسين بن علي المروروذي ومحمد بن حيد، وكان سبب ذلك أن الحسين
لما فتح سجستان في الدفعة الأولى في أيام الأمير أحمد بن إسماعيل طمع أن يتولاها، فولاها
منصور بن إسحاق، ثم افتتحها ثانياً وظن أنه يتولاها، فوليها سيمجور على ما قدمناه،
فاستوحش لذلك ونفر خاطره، وتحدث مع منصور بن إسحاق في الموافقة والتعاضد بعد

موت الأمير أحمد، على أن يكون إمارة خراسان لمنصور ويكون الحسين خليفته، فلما قتل
الأمير أحمد كان منصور بنيسابور والحسين بهراة، فأظهر الحسين العصيان وسار إلى
منصور بنيسابور، يحثه على ما اتفقا عليه فوافقه منصور، وأظهر الخلاف وخطب لمنصور
بنيسابور، فتوجه إليهما حمويه بن علي من بخارى في عسكر كثيف، فاتفق وفاة منصور،
فقيل سمه الحسين، فلما قاربه حمويه سار الحسين عن نيسابور إلى هراة وأقام بها، وكان
محمد بن حيد يلي مدة بخارى مدة طويلة، ويسير منها إلى نيسابور في شغل يقوم به، فوردها
ثم عاد منها بغير أمر، فكتب إليه من بخارى بالإنكار فخاف على نفسه، فدل عن الطريق
إلى الحسين بهراة فقوى به، وسار إلى نيسابور واستولى عليها، واستخلف بهراة أخاه
منصور ابن علي، فسير إليه من بخارى أحمد بن سهل لقتاله، فابتدأ أحمد بهراة فحصرها
وأخذها، واستأمن إليه منصور بن علي، ثم سار أحمد ابن سهل منها إلى نيسابور، وكان
وصوله إليها في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثمائة، فنازل الحسين إلى أن انهزم أصحابه،
فأسره ابن سهل وأقام بنيسابورن وكان ابن حيد بمرو فلما بلغه استيلاء أحمد بن سهل
على نيسابور، وأسره للحسين بن علي سار إليه، فقبض عليه ابن سهل وأخذ ماله وسواده
وسيره والحسين إلى بخارى فحبس الحسين بن علي ببخارى إلى أن خلصه أبو عبد الله
الجيهاني، وسير ابن حيد إلى خوارزم فمات بها، ثن عاد الحسين بن علي بعد خلاصه إلى
خدمة الأمير نصر بن أحمد. قال: ولما ظفر أحمد بن سهل بالحسين أقام بنيسابور واستولى
عليها، وخالف على الأمير نصر وقطع خطبته، وسار من نيسابور إلى جرجان وبها
قراتكين، فحاربه واستولى عليها وأخرجه عنها، ثم عاد إلى خراسان واستولى على مرو
وبنى عليها سوراً وتحصن بها، فأرسل الأمير نصر الجيوش مع حمويه بن علي من بخارى،
فوافى مرو الروذ وأقام بنواحيها فلم يخرج إليه أحمد بن سهل، فلما رأى حمويه أنه لا يخرج
إليه وأنه تحصن بمرو شرع في أعماله الحيلة، وأمر جماعة من أصحابه بمكاتبة أحمد سراً

وإظهار الميل إليه، ودعوه إلى الخروج إليهم ليسلموا حمويه إليه، فأجابهم إلى ذلك وخرج
إليه فالتقوا على مرحلة من مرو الروذ، في شهر رجب سنة سبع وثلاثمائة، فانهزم أصحاب
أحمد وحارب هو حتى عجزت دابته فنزل عنها، واستأسر فأخذ أسيراً وأنفذه حمويه إلى
بخارى فمات بها في ذي الحجة من السنة في الحبس.
ذكر خروج إلياس بن إسحاق بن أسد ثانياً
قد ذكرنا أنه لما انهزم مع أبيه بفرغانة، فلما كان في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة استعان
بمحمد بن الحسين بن مت، وجمع طائفة من الترك فاجتمع معه ثلاثون ألف عنان، فقصد
سمرقند، فسير إليه الأمير السعيد أبا عمرو محمد بن أسد في ألفين وخمسمائة رجل،
فمكنوا خارج سمرقند في يوم ورود إلياس إليها، فاشتغل هو ومن معه بالنزول فخرج عليهم
الكمين من بين الشجر، ووضعوا فيهم السيف فانهزم إلياس وأصحابه، فوصل إلياس إلى
فرغانة ووصل ابن مت إلى طراز، فقبض عليه دهقان الناحية وقتله وأنفذ رأسه بخارى،
ثم عاد إلياس فأخرج مرة ثالثة، وأعانه أبو الفضل بن أبي يوسف صاحب الشاش، فسير
إليه السعيد، محمد بن اليسع فحاربهم، فانهزم إلياس إلى كاشغر وأسر أبو الفضل وحمل إلى
بخارى فمات بها، وصار إلياس إلى دهقان كاشغر طغانتكين واستقر بها.
ثم ولى محمد بن المظفر فرغانة فرجع إلياس بن إسحاق إليها، فحاربه فهزمه مرة أخرى
فعاد إلى كاشغر، فكاتبه محمد بن المظفر واستماله ولطف به فحضر إلى بخارى، فأكرمه
السعيد وصاهره فأقام عنده.
ذكر استيلاء السعيد على الري
وفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة كتب المقتدر بالله إلى الأمير السعيد بولاية الري، وأمره أن
يقصدها ويأخذها من غلام يوسف بن أبي الساج فسار إليها واستولى عليها وأخرج فاتك
عنها في جمادى الآخرة، وأقام بها شهرين، وولى عليها سيمجور الدواني وعاد إلى بخارى،
ثم استعمل عليها محمد بن صعلوك فوصل إليها وأقام بها إلى أوائل شعبان من السنة،
فمرض فكاتب الحسن الداعي وما كان في القدوم عليه ليسلم الري لهما، فقدما وتسلما

الري، وسار عنها وبلغ الدامغان.
ذكر مخالفة جعفر بن أبي جعفر بن أبي داود
وعوده
كان جعفر مقيماً بالختل والياً عليها للسامانية، فبدت منه أمور
نسب فيها للتقصير،
فكوتب أبو علي أحمد بن محمد بن المظفر بقصده، فسار إليه
وحاربه وقبض عليه وحمله
إلى بخارى، فحبس بها إلى أن خالف أبو ذكريا على الأمير
السعيد فأخرجه وصحبه، ثم
استأذنه في العود إلى ولاية الختل فأذن له، فسار إليها وتمسك
بطاعة الأمير السعيد، وذلك
في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة.
ذكر خروج أبي زكريا وأخويه ببخارى
وفي سنة ثماني عشرة وثلاثمائة خرج أبو زكريا يحيى وأبو صالح
منصور وأبو إسحاق
إبراهيم - أولاد أحمد بن إسماعيل الساماني، على أخيهم
السعيد نصر بن أحمد، وكان
سبب ذلك أن أخاهم قد حبسهم في القهندز ببخارى، ووكل بهم
من يحفظهم فتخلصوا
منه، وسبب خلاصهم أن رجلاً يعرف بأبي بكر الخباز الأصفهاني
كان يقول - إذا جرى
ذكر السعيد نصر - : إن له منى طويل البلاء والعناء، فكان الناس
يضحكون منه، فخرج
السعيد إلى نيسابور واستخلف على بخارى أبا العباس الكوسج،
وكانت وظيفة إخوته
تحمل إليهم من عند هذا الخباز وهم في السجن، فسعى لهم مع
جماعة من أهل العسكر
فأجابوه إلى ذلك، فأعلمهم بما فعل، فلما سار السعيد عن
بخارى تواعد هؤلاء للاجتماع
بباب القهندز في يوم جمعة، وكان الرسم ألا يفتح باب القهندز
في يوم الجمعة إلا بعد العصر،
فلما كان يوم الخميس دخل أبو بكر الخباز إلى القهندز وبات
فيه، وجاء من الغد إلى الباب
وأظهر الزهد للبواب، وسأله أن يفتح له لئلا تفوته صلاة الجمعة
وأعطاه خمسة دنانير، فلما
فتح الباب صاح الخباز بمن واعدهم، فوثبوا بالبواب وقبضوا
عليه وخرج إخوة السعيد
وجميع من في الحبس من الديلم والعلويين والعيارين،
واجتمعوا إليهم من كان قد وافقهم من
العسكر،ورئيسهم شيروين الجيلي وغيره من القواد، فعظمت
شوكتهم ونهبوا خزائن السعيد

ودوره واختص يحيى بن أحمد بأبي بكر الخباز وقربه وقدمه وجعله من قواده، وبلغ
السعيد هذا الخبر فسار من نيسابور إلى بخارى، فوكل يحيى بالنهر أبا بكر الخباز ليمنع
السعيد من عبوره، فظفر السعيد به وأخذه أسيراً، وعبر النهر إلى بخارى وبالغ في تعذيب
الخباز، ثم أحرقه في التنور الذي كان يخبز فيه، وسار يحيى من بخارى إلى سمرقند ثم
خرج منها، وبقي يكرر الدخول إلى البلاد والسعيد في طلبه، واستمرت هذه الفتنة ثائرة إلى
سنة عشرين وثلاثمائة، فأنفذ السعيد الأمان إلى أخيه يحيى فجاء إليه هو وأخوه منصور،
وزالت الفتنة وسكن الشر، وأما إبراهيم فإنه هرب إلى بغداد ثم إلى الموصل.

ولاية محمد بن المظفر خراسان

وفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة استعمل الأمير نصر بن أحمد، أبا بكر محمد بن المظفر
بن محتاج على جيوش خراسان، ورد إليه تدبير الأمور بنواحيها جميعاً، وكان سبب تقدم
محمد عنده أنه كان يوماً بين يدي السعيد - وهو يحادثه في بعض مهماته - فلسعته عقرب
في إحدى رجليه عدة دفعات، ولم يتحرك ولا ظهر عليه أثر ذلك، فلما فرغ من حديثه وعاد
إلى منزله خفه وقتل العقرب، فاتصل الخبر بالأمير السعيد فأعجب به، وقال له: ما عجبت
إلا من فراغ بالك لتدبير ما قلته لك! فهلا قمت وأزلتها! ! فقال: ما كنت لأقطع حديث
الأمير بسبب عقرب، وإذ لم أصبر بين يديك على لسعة عقرب، فكيف أصبر - عند البعد
منك - على حد سيوف أعداء دولتك، إذا دفعتهم عن مملكتك؟ فعظم محله عنده
وأعطاه مائتي ألف درهم، ثم استعمله على خراسان فأقام والياً عليها إلى سنة سبع
وعشرين وثلاثمائة، فاستقدمه واستعمل ابنه أباً على أحمد بن محمد، وكان سبب ذلك أن
أبا بكر مرض مرضاً شديداً فعزله واستعمل ابنه في شهر رمضان، فأقام بها ثلاثة أشهر وهو
يتجهز ويستعد، وسار في المحرم سنة ثمان وعشرين إلى جرجان فاستولى عليها وأخذها من
ما كان ابن كالي، لأن ما كان كان قد خلع طاعة السعيد بعد أن حاصرها أبو علي بقية

السنة، واستخلف إبراهيم بن سيمجور الدواتي، ثم استولى أبو علي على الري في سنة
تسع وعشرين، ثم استولى على بلد الجبل زنكان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند
والدينور إلى حدود حلوان، وذلك في سنة ثلاثين، ورتب فيها العمال وجبى أموالها، ورحل
إلى جرجان في سنة إحدى وثلاثين في جمادى الآخرة، فأتاه الخبر بوفاة السعيد فسار إلى
خراسان.

ذكر وفاة الأمير السعيد نصر بن أحمد
وشيء من سيرته

كانت وفاته في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وكانت علته السل فأقام به ثلاثة
عشر شهراً، ولم يكن قد بقي من مشايخ دولتهم أحد، وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة
وثلاثين يوماً وعمره ثمانياً وثلاثين سنة.

وكان عالماً ذا حلم وكرم وعقل، ومن مكارمه ولين جانبه أن بعض الخدم سرق جوهراً
نفيساً، وباعه على بعض التجار بثلاثة عشر ألف درهم، فحضر التاجر عند السعيد
وأعلمه أنه اشترى جوهراً نفيساً لا يصلح إلا للسلطان، وأحضر الجوهر فحين رآه السعيد
عرفه، فسأل عن ثمنه ومن أين اشتراه، فذكر الخادم والثمن فأربحه ألفي درهم، ثم سأله
التاجر في دم الخادم فقال: لا بد من أدبه، وأما دمه فهو لك، فأحضره وأدبه ثم أنفذه إلى
التاجر، وقال: كنا وهبنا لك دمه، وقد أنفذناه إليك. وحكى عنه أنه لما خرج عليه أخوه
أبو زكريا ونهبت خزائنه وأمواله، فلما عاد السعيد إلى ملكه قيل له عن جماعة انتهبوا
أمواله فلم يعترض إليهم؛ وأخبر أن بعض السوقة اشترى منها سكيناً نفيساً بمائتي درهم،
فأرسل إليه وأعطاه الثمن فأبى أن يبيع السكين إلا بألف درهم، فقال السعيد: ألا تعجبون
من هذا الرجل! أرى عنده مالي فلم أعاتبه وأعطيه حقه فيشتط في الطلب! ثم أمر
بإرضائه.

ولما طال مرضه أقبل على الصلاة والعبادة، وبنى له بيتاً وسماه ببيت العبادة، فكان يلبس
ثياباً نظافا ويمشي إليه حافياً ويصلي ويدعو ويتضرع، ولما دفن عند قبر والده رحمهما الله.

وولى بعده الأمير:

نوح بن نصر
بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد وهو الخامس من الملوك السامانية
قال: بويع له بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ولقب الأمير الحميد،
وفوض أمر تدبير دولته وملكه إلى أبي الفضل محمد بن أحمد الحاكم، وصدر عن رأيه، ولما
هرب منه أبو الفضل بن أحمد بن حمويه - وهو من أكابر أصحاب أبيه - فأمنه وأعاده
وأحسن إليه، وولاه سمرقند.
وفي سنة اثنتي وثلاثين وثلاثمائة خالف عبد الله بن أشكام على الأمير نوح، وامتنع
بخوارزم، فسار نوح من بخاري إلى مرو بسببه وسير إليه جيشاً وجعل عليهم إبراهيم بن
بارس، فمات إبراهيم في الطريق، وكاتب ابن أشكام ملك الترك واحتمى به وكان الملك
الترك ولد عند نوح في اعتقاله ببخاري، فراسل نوح أباه في إطلاقة ليقبض على ابن أشكام،
فأجاب ملك الترك إلى ذلك، فلما علم ابن أشكام بذلك عاد إلى الطاعة، وفارق خوارزم
فعفا عنه نوح وأكرمه.
ذكر مخالفة أبي علي بن محتاج على أمير الحميد
وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة خالف أبو علي بن محتاج على الأمير الحميد نوح، وسبب
ذلك أنه كان قد جهز للمسير إلى الري فأنفذ إليه عارضاً يستعرض العسكر، فأسقط
العارض جماعة منهم وأساء إلى أبي علي، فنفرت قلوب الجند وساروا وهم كذلك،
وانضاف إلى ذلك أن نوحاً أنفذ معه من يتولى أعماله الديوان، وجعل إليه الحل والعقد
والإطلاق، بعد أن كن جميع ذلك أيام السعيد لأبي علي، فازدا قلبه نفور لذلك، ثم عزله
عن خراسان واستعمل عليها إبراهيم بن سيمجور، ثم إن المتولي أساء إلى الجند في
أرزاقهم فنفروا وشكا بعضهم إلى بعض، وهم إذ ذلك بهمذان، فاتفق رأيهم على مكاتبة
الأمير إبراهيم بن أحمد، عم الأمير نوح، وكان كما قدمناه في خدمة الأمير ناصر الدولة بن
حمدان بالموصل، فأظهروا أبا علي على ذلك فنهاهم عنه، فتواعدوه بالقبض عليه إن

خالفهم، فأجابهم إلى ما طلبوه وكاتبوا إبراهيم، فحضر إليهم في شهر رمضان في تسعين
فارساً وساروا في شوال في خدمته إلى الري، فلما وصلوا إليها اطلع أبو علي أن أخاه
الفضل كتب إلى الأمير نوح بخبره، فقبض عليه وعلى المتولي الذي أساء إلى الجند، وسار
إلى نيسابور واستخلف نوابه على الجبل والري، واتصل الخبر بالأمير نوح فسار من بخاري
إلى مرو، وكان الجند قد ضجروا من محمد ابن أحمد الحاكم، مدبر دولة نوح، لسوء سيرته
فيهم، فقالوا لنوح: إن الحاكم قد أفسد عليك الأمور بخراسان، وأحوج أبا علي ابن محتاج
إلى العصيان، وطلبوا تسليمه إليهم وإلا ساروا إلى عمه إبراهيم، فسلمه إليهم فقتلوه في
جمادي الآخر سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.
ولما وصل علي إلى نيسابور كان بها إبراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما
من القواد، واستمالهم فمالوا إليه وصاروا معه، ودخل نيسابور في سنة خمس وثلاثين
وثلاثمائة، ثم ظهر له من منصور بن قراتكين ما كرهه فقبض عليه، ثم سار أبو علي
وإبراهيم من نيسابور في شهر ربيع الأول من السنة إلى مرو، وبها الأمير نوح، فهرب الفضل
أخو أبي علي من حبسه إلى قهستان، ولما قرب أبو علي مرو انحاز إليه كثيرون من
عسكر نوح، فسار نوح إلى بخاري واستولى أبو علي مرو في جمادي الأول سنة خمس
وثلاثين، وأتاه أكثر أجناد نوح فسار نحو بخاري، وعبر النهر ففارقهم نوح وسار إلى
سمرقند، ودخلها أبو علي في جمادي الآخرة سنة خمس وثلاثين وخطب فيها لإبراهيم وبايع
له، ثم إن أبا علي اطلع على أن إبراهيم أضمر له شراً، فسار إلى تركستان وبقي إبراهيم
ببخاري، وفي خلال ذلك أطلق أبو علي، منصور بن قراتكين، فسار إلى الأمير نوح، ثم إن
إبراهيم وافق جماعة في السر على أن يخلع نفسه من الأمر، ويرده إلى ابن أخيه الأمير نوح،
ويكون هو صاحب جيشه، ويتفق معه على قصد أبي علي، ودعا إلى ذلك فأجابوه
وخرجوا إلى أبي علي، قد تفرق عنه أصحابه، فركب إليهم وردهم أقبح رد، ثم فارق

إبراهيم ومن معه بخاري وخرجوا إلى سمرقند إلى خدمة الأمير نوح، وأظهروا الندم على
ما كان منهم فقربهم وقبلهم وعذرهم، وعاد إلى بخاري في شهر رمضان، ثم قتل الأمير نوح
في تلك الأيام طغان الحاجب، وسمل عمه إبراهيم وأخويه أبا جعفر محمداً وأحمد، وعادت
الجيوش والعساكر اجتمعت عليه. أما الفضل بن محمد أخو أبي علي فإنه لما هرب من
أخيه لحق بقوهستان وجمع جمعاً كثيراً وسار نحو نيسابور، وبها محمد بن عبد الرزاق من
قبل أبي علي، فخرج إلى الفضل وتحاربا فانهزم الفضل ومعه فارس واحد، فلحق ببخاري
فأكرمه الأمير نوح وأحسن إليه وأقام في خدمته.

ذكر استعمال المنصور بن قراتكين على خراسان

قال: ولما عاد الأمير نوح إلى بخاري كان أبو علي بالصغانيان، وبمرو أبو أحمد محمد بن
علي القزويني، فرأى الأمير نوح أن يجعل منصور بن قراتكين على جيوش خراسان، فولاه
سيره إلى مرو، وبها أبو أحمد وقد غور المناهل ما بين آمل ومرو، ووافق أبو علي ثم تخلى
عنه، فسار منصور جريدة في ألفي فارس، فلم يشعر به إلا وقد نزل بكشماهين، على
خمسة فراسخ من مرو، فاستقبله أبو أحمد القزويني بالطاعة، فأكرمه وسيره إلى بخاري بماله
وأصحابه، فأكرمه الأمير نوح وأحسن إليه، ثم ذكر له ذنوبه وقتله.

ثم كانت بعد ذلك حروب بين عسكر الأمير نوح وأبي علي، استمرت إلى جمادي الآخرة
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فراسل بعد ذلك في الصلح؛ وسير أبو علي ابنه عبد الله رهينة
فوصل إلى بخاري، فأمر الأمير نوح باستقباله وأكرمه وأحسن إليه، وخلع عليه قلنسوة
وجعله في ندمائه، فزال الخلف واستمر أبو علي بالصغانيان إلى سنة أربعين.

ذكر عود أبي علي إلى خراسان

في سنة أربعين أعيد إلى قيادة الجيوش بخراسان، وذلك بعد وفاة منصور بن قراتكين،
فأرسل إليه الأمير نوح الخلع واللواء، وأمره بالمسير إلى نيسابور وأقطعه الري، فسار عن
الصغانيان واستخلف مكانه ابنه أبا منصور، ثم خالف على الأمير نوح في سنة اثنتين

وأربعين فعزله، فكتب إلى ركن الدولة بن بوية في المصير إليه، فأذن له في ذلك فسار إليه
فأكرمه ركن الدولة، فسأله أن يكتب له عهدا من جهة الخليفة لولاية خراسان، فأرسل ركن
الدولة إلى أخيه معز الدولة في ذلك، فسير له عهدا بما طلب وسير له نجدة، فسار أبو علي
إلى خراسان واستولى على نيسابور، وخطب بها - وفيما استولى عليه من خراسان -
للمطيع، ولم يخطب له بها قبل ذلك.

ذكر وفاة الأمير الحميد نوح بن نصر
وولاية ابنه عبد الملك

كانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكه إحدى
عشرة سنة وثمانية أشهر، وكان رحمه الله تعالى حسن السيرة كريم الأخلاق، ولما مات
ملك بعده ولده.

ولاية عبد الملك بن نوح
بن نصر بن أحمد بن إسماعيل ابن أحمد وهو السادس من الملوك السامانية

كانت ولاية عبد الملك بما وراء النهر وخراسان بعد وفاة أبيه الأمير نوح بن نصير، وذلك
في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين.

قال: ولما استقر خاله في الملك وثبت أمره ابتدأ بإرسال بكر ابن مالك من بخاري إلى
خراسان، وولاه قيادة جيوشها، وأمره بإخراج أبي علي بن محتاج منها وندب معه العساكر،
فسار إلى نيسابور فلما قاربها تفرق عن أبي علي أصحابه وعساكره، وبقي معه من
أصحابه نحو من مائتي رجل، سوى من كان عنده نجدة من الديلم، فاضطر إلى الهرب
فسار نحو ركن الدولة، فأنزله معه في الري واستولى ابن مالك على خراسان، وأقام
بنيسابور، وكان بين عساكره وكان بني بويه حروب، ثم حصل بينهما الصلح والاتفاق،
ودامت أيام عبد الملك إلى سنة خمسين وثلاثمائة، فركب في يوم الخميس حادي عشر شوال
منها فسقط الفرس من تحته، فوقع إلى الأرض فمات، وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة
أشهر تقريباً، ولما مات، ولى بعده أخوه.

ولاية منصور بن نوح
بن نصر بن أحمد وهو السابع من الملوك السامانية

كانت ولايته بعد وفاة أخيه عبد الملك لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين
وثلاثمائة، وخالف عليه في سنة إحدى وخمسين الفتكين، وهو من أكابر القواد، وكان قد
طلبه الأمير منصور فامتنع من الحضور، فأرسل إليه جيشاً فهزمهم الفتكين، وأسر وجوه
القواد وأظهر العصيان والمخائفة.
ذكر الصلح بين الأمير منصور وبين بني بويه
في سنة إحدى وستين وثلاثمائة تم الصلح بين الأمير منصور بن نوح وبين ركن الدولة وعضد
الدولة إليه في كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار، وتزوج الأمير منصور بابنة عضد
الدولة، وحمل إليها من الهدايا والتحف ما لم ير مثله، وكتب بينهم كتاب الصلح شهد فيه
أعيان خراسان وفارس والعراق، وكان الذي سعى في الصلح وقرره محمد بن إبراهيم بن
سيموجور صاحب جيوش خراسان من جهة الأمير منصور.
ذكر وفاة الأمير منصور
كانت وفاته ببخاري في منتصف شوال سنة ست وستين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكه ست
عشرة سنة وأربعة أيام، ولما مات ولى بعده ابنه.
ولاية المنصور
أبي قاسم نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن
أحمد بن إسماعيل بن أحمد، وهو الثامن من الملوك السامانية ملك ما وراء النهر وخراسان بعد وفاة أبيه في منتصف شوال سنة ست وستين وثلاثمائة
ولقب بالمنصور، واستوزر أبا الحسن العتبي فقام في حفظ الدولة المقام المرضي، وعزل محمد
بن إبراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان لأنه كان قد استوطنها، وبقي لا يطيع
إلا فيما يختار فعزل في سنة سبعين، واستعمل عوضه حسام الدولة أبا العباس تاش، ثم قتل
الوزير في سنة اثنتين وسبعين، وسبب قتله أن أبا الحسن بن سيمجور وضع عليه جماعة
من المماليك فقتلوه، فكتب الأمير المنصور نوح إلى حسام الدولة ناش يستدعيه إلى بخارى
لتدبير الدولة، فسار عن نيسابور إليه وقتل من ظفر به من قتلة الوزير.
وفي سنة اثنتين وسبعين سار محمد بن سيمجور نحو خراسان عند خلوها من حسام
الدولة، وكاتب فايقا وطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان، فوافقه واجتمعا

بنيسابور، واتصل الخبر بحسام الدولة فسار عن بخاري إلى مرو في جمع كبير، وترددت
الرسائل بينهم فاصطلحوا: على أن تكون نيسابور وقيادة الجيوش لأبي العباس حسام
الدولة تاش، وتكون بلخ لفايق، وهراة لأبي علي ابن أبي الحسن بن سيمجور، وتفرقوا على
ذلك وقصد كل منهم عمله.
ولما عاد أبو العباس إلى نيسابور وترك بخاري استوزر الأمير نوح، عبد الله بن عزير وكان
ضدا لأبي الحسين العتبي، فلما ولى الوزارة ابتدأ بعزل حسام الدولة عن خراسان، وأعاد
ابن سيمجور إليها، فكتب القواد بخراسان يسألونه أن يقر حسام الدولة عليها فلم يجبهم
فكتب حسام الدولة إلى فخر الدولة بن بويه يستمده، فأمده بالأموال والعساكر، وكانت
بينهم حروب انتصر فيها حسام الدولة، واستولى على خراسان وأقام بنيسابور، وانهزم ابن
سيمجور ثم تراجع أصحاب ابن سيمجور إليه، وجاءته الأمداد من بخاري وعاد لقتال
حسام الدولة، والتقوا واقتتلوا نهارا كاملا انتصر فيه ابن سيمجور، وانهزم حسام الدولة
وأصحابه وأقام بجرجان، ولم يصل إلى خراسان إلى أن مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة،
وأقام ابن سيمجور بخراسان إلى أن توفي فجأة وهو يجامع بعض خطاياه.
وفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة سار بغراخان إبلك ملك الترك بعساكره إلى بخارى، فسير
إليه الأمير نوح جيشا كثيفا فهزمهم بغراخان، فعادوا إلى بخارى وهو في آثارهم، فخرج نوح
بنفسه وسائر عساكره ولقيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الهزيمة على بغراخان، فعاد إلى
بلاساغون وهي كرسي ملكه.
ملك الترك بخارى
وشيء من أخبارهم وخروج الأمير نوح منها وعوده إليها
وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ملك شهاب الدولة هارون بن سليمان إيلك المعروف
ببغراخان التركي مدينة بخارى، وكان له كاشغر وبلاساعون وختن وطراز وغير ذلك إلى
حدود الصين وله عساكر جمة وهم مسلمون، وكان سبب إسلامهم أن جدهم الأول
شبق قراخاقان رأى في منامه كأن رجلاً نزل من السماء، فقال له بالتركية ما معناه: اسلم

تسلم في الدنيا والآخرة، فأسلم في منامه، وأصبح فأظهر إسلامه،فلما مات قام مقامه ابنه
موسى بن شبق، ثم انتهى ملك هذه الطائفة من الترك إلى بغراخان، وكنا قصدنا أن نفرد
هذه الدولة الخانية بترجمة، ونذكر من ملك منهم وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك،
فلم نظفر بمؤرخ ذكر أخبارهم سياقة ولا متفرقة، إذا جمعت انتظمت على سياقة، فذلك
دمجنا أخبارهم في أثناء الدول بحسب وقائعهم مع الملوك، وما أظن أخبارهم اتسقت
لمؤرخ لأن أخبار الملوك والدول إنما يعتني بجمعها كتاب الإنشاء والفضلاء من الناس، وهؤلاء
كانوا أتراكاً لا كتاب لهم ولا اعتناء بشيء من ذلك، فلذلك انقطعت أخبارهم.
ولنرجع إلى سبب ملك بغراخان بخارى. كان سبب ذلك أن أبا الحسن بن سيمجور
عامل خراسان - لما مات - ولي ابنه أبو علي بعده وكاتب الأمير الرضى نوحاً أن يقره
على ما كان بيد أبيه، فأجيب إلى ذلك، وحملت إليه الخلع وهو لا يشك أنها له، فلما بلغ
الرسول طريق هراة عدل إليها وبها قايق، فأوصل إليه العهد بولاية خراسان والخلع إليه،
فعلم أبو علي أنهم مكروا به، وأن هذا دليل سوء يريدونه به، فلبس قايق الخلع وسار عن
هراة نحو أبي علي، فبلغه الخبر فسار جريدة في نخبة أصحابه، وطوى المنازل حتى سبق
خبره، وأوقع بقايق بين هراة وبوشنج، فانهزم قايق وأصحابه إلى مرو الروذ، وكتب أبو علي
إلى الأمير نوح يجدد طلب ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها
بعد أن كانت هراة لقايق، وعاد أبو علي إلى نيسابور ظافراً وجبى أموال خراسان، فكتب
إليه نوح يستتر له عن بعضها ليصرفه في أرزاق الجند، فاعتذر إليه ولم يفعل وخاف عاقبة
المنع فكتب إلى بغراخان يدعوه إلى قصد بخارى، واستقر الأمر بينهما على أن يكون
لبغراخان ما وراء النهر جميعه، ولأبي خراسان، فطمع بغراخان في البلاد وتجددت حركته
إليها.
وأما قايق فإنه أقام بمرو الروذ حتى اجتمع إليه أصحابه، وسار نحو بخارى من غير إذن،

فارتاب الأمير نوح به وسير الجيوش وأمرهم يمنعه، فقاتلوه وهزموه فعاد وقصد ترمذ،
وكاتب بغراخان أيضاً يطمعه في البلاد، فسار نحو بخارى واستولى على بلاد السامانية
شيئاً بعد شيء، فسير إليه نوح جيشاً واستعمل عليهم قائداً كبيراً من قواده اسمه انج،
فهزمهم بغراخان وأسر أنج وجماعة من القواد، فلما ظفر بهم طمعه في البلاد، وضعف نوح
وأصحابه وكاتب أبا علي بن سيمجور يستنصره، ويأمره بالقدوم إليه بالعساكر فلم يجبه إلى
ذلك ولا لبى دعوته، وطمع في الاستيلاء على خراسان، وسار بغراجان نحو بخارى فلقيه
فايق واختص به وصار في جملة أصحابه، ونازلوا بخارى فاختفى الأمير نوح وملكها
بغراجان ونزلها، وخرج نوح منها مستخفياً فعبر النهر إلى آمل الشط، وأقام بها ولحق به
أصحابه، وتابع نوح كتبه ورسله إلى أبي علي يستنجده ويخضع له، فلم يصغ إلى ذلك؛ وأما
فايق فإنه استأذن بغراجان في قصد بلخ والاستيلاء عليها فأمره بذلك، فسار نحوها
واستولى عليها.

ذكر عود نوح إلى بخارى ووفاة بغراجان
وقيام إيليك الخان

قال: ولما نزل بغراخان ببخارى استوخمها فمرض واشتد مرضه، فانتقل نحو بلاد الترك،
ولما فارق بخارى ثار أهلها بساقة عسكره، فقتلوا منهم وغنموا أموالهم، ووافقهم الأتراك
الغزية على الفتك والنهب لعسكر بغراجان، وبادر الأمير بالعود إلى بخارى فيمن معه من
أصحابه، فدخلها وعاد إلى دار ملكه وتباشر أهلها به، ومات بغراجان وعاد أصحابه إلى
بلادهم، وكان بغراجان ديناً خيراً عادلاً حسن السيرة محباً للعلماء وأهل الدين مكرماً لهم،
وكان يحب أن يكتب عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولى بعده أمر الترك
إيليك الخان شمس الدولة أبو النصر أحمد بن علي.

أبي علي بن سيمجور وفايق
واستعمال محمود بن سبكتكين على خراسان

قال: ولما عاد الأمير نوح إلى بخارى أسقط في يد أبي علي ابن سيمجور، وندم على ما
فرط منه من ترك إعانته عند الحاجة إليه؛ وأما فايق فإنه لما استقر الأمير نوح ببخارى

حدث نفسه بالمسير إليه والحكم في دولته، فسار عن بلخ فسير الأمير نوح الجيوش لرده،
فالتقوا واقتتلوا فانهزم فايق وأصحابه، ولحق بأبي علي بن سيمجور ففرح به وقوى جنانه،
واتفقا على مكاشفة الأمير نوح وإظهار العصيان، فكتب الأمير إلى سبكتكين وهو يومئذ
بغزنة، يعرفه الحال ويأمره بالمصير إليه لينجده وولاه خراسان وكان سبكتكين في هذه الفتن
مشغولاً بالغزو غير ملتفت إلى ما هم فيه، فلما أتاه الكتاب سار نحو جريدة، واجتمع به
وقررا ما يفعلانه واتفقا عليه، وعاد سبكتكين فجمع عسكره وحشد وسار عن غزته،
ومعه ولده محمود نحو خراسان، وسار نوح من بخارى واجتمعا وقصدا أبا علي وفايقا،
وقد جمعا عساكرهما أيضاً واستنصرا بفجر الدولة بن بويه، فسير إليهما عسكراً كثيراً،
والتقوا بنواحي هراة واقتتلوا، فانحاز دارا بن قابوس بن وشمكير من عسكر أبي علي إلى
عسكر نوح ومعه أصحابه، فانهزم أصحاب أبي علي وركبهم أصحاب سبكتكين يقتلون
ويأسرون ويغنمون، وعاد أبو علي وفايق إلى خراسان وأقام الأمير نوح وسبكتكين بظاهر
هراة، حتى ألااحوا واستراحوا وساروا نحو نيسابور، فسار أبو علي وفايق نحو جرجان،
واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين،
ولقبه سيف الدولة ولقب أباه ناصر الدولة، وعاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة
وذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.
وفي سنة خمس وثمانين في شهر ربيع الأول سار أبو علي وفايق عن جرجان إلى نيسابور،
فكتب محمود إلى أبيه بذلك وبرز إلى ظاهر نيسابور، وأقام ينتظر المدد فأعجلاه فصبر
لهما، فقاتلاه وهو في قلة من الرجال فانهزم عنهما نحو أبيه، وغنما منه شيئاً كثيراً ورجع
أبو علي إلى نيسابور، وكتب إلى الأمير نوح يستميله ويستقبل من عثرته، وكاتب سبكتكين
بمثل ذلك وأحال فيما جرى على فايق، فلم يجيباه إلى ما أراد، وجمع سبكتكين العساكر
وسار نحو أبي علي فالتقوا عامة يومهم، وأتاهم محمود ابن سيكتكين في عسكر ضخم من

ورائهم، فانهزموا وقتل منهم خلق كثير، ونجا أبو علي وفايق إلى آمل الشط،فراسلا الأمير
نوح يستعطفانه، فأجاب أبا علي إلى ما طلب وقبل عذره، إن فارق فايقاً ونزل بالجرجانية،
ففعل ذلك فحذره فايق وخوفه مكرهم ومكيدتهم فلم يرجع إلى قوله، وفارقه وسار إلى
الجرجانية ونزل بقربه بقرب خوارزم تسمى هزارسب، فأرسل إليه أبو عبد الله خوارزم شاه
من أقام له ضيافة، ووعده أنه يقصده ليجتمع به فسكن إلى ذلك فلما كان الليل أرسل إليه
خوارزم شاه جمعاً من عسكره، فأحاطوا به وأخذوه أسيراً في شهر رمضان سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة، فاعتقله في بعض دوره، وطلب أصحابه فأسر أعيانهم وتفرق الباقون.
وأما فايق فإنه سار إلى ايليك الخان فأكرمه وعظمه ووعده أن يعيده إلى قاعدته، وكتب
إلى نوح يشفع فيه ويطلب منه أن يوليه سمرقند، فأجابه إلى ذلك وأقام بها؛ وأما ما كان من
أبي علي بن سيمجور فإنه لما أسره خوارزم شاه بلغ خبره إلى مأمون بن محمد والي
الجرجانية، فقلق لذلك وعبر إلى كاث وهي مدينة خوارزم شاه فحصرها وفتحها عنوة،
وأحضر أبا علي وفك قيده وعاد به إلى الجرجانية، واسخلف مأمون بعض أصحابه على
بلد خوارزم شاه، وصارت من جملة ما بيده، وقتل خوارزم شاه بين يدي أبي علي بن
سيمجور، وكتب مأمون إلى الأمير نوح وهو يشفع في أبي علي ويسأل الصفح عنه، فأجابه
إلى ذلك وأمر أبو علي بالمسير إلى بخارى، فسار إليها فيمن بقي معه من أهله وأصحابه،
فلما بلغها لقيه الأمراء والعساكر ودخل على الأمير نوح فأمر بالقبض عليه وعلى من معه،
واعتقله فمات في حبسه في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ذكر وفاة الأمير نوح بن منصور

كانت وفاته في شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، فكان مدة ملكه عشرين سنة
وثمانية أشهر، فاحتل بموته ملك آل ساسان وضعف أمرهم ضعفاً ظاهراً، وطمع فيهم
أصحاب الأطراف، وزال ملكهم بعد ذلك بمدة يسيره على ما نذكره إن شاء الله تعالى،
فكأنه المعنى بقول القائل:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ولاية منصور بن نوح
بن منصور بن نوح
ابن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد، وهو التاسع من الملوك السامانية
ملك ما وراء النهر وخراسان بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة،
وبايعه الأمراء والقواد وسائر الناس، وفرق فيهم بقايا الأموال فاتفقوا على طاعته، وقام بأمر
دولته وتدبيرها بكتوزون، ولما بلغ خبر وفاة أبيه إلى ايليك الخان سار إلى سمرقند وانضم
إليه فايق والخاصة فسيره جريدة إلى بخارى، فلما سمع الأمير منصور بمسيره تحير في أمره
وأعجله عن أن يتجهز، فسار عن بخارى وقطع النهر، ودخل فايق بخارى وأظهر أنه قصد
القيام بخدمة الأمير منصور، رعاية لحق أسلافه عليه إذ هو مولاهم، وأرسل إليه مشايخ
بخارى في العودة إلى بلده وملكه، وأعطاه من نفسه ما يطمئن إليه من العهود والمواثيق، فعاد
إليها ودخلها وولى فايق أمره، وحكمه في دولته، وولى بكتوزون أمر الجيش بخراسان، وكان
محمود ابن سبكتكين حينئذ مشغولاً بمحاربة أخيه إسماعيل، فسار بكتوزون إلى خراسان
ووليها واستقرت قواعده بها.
القبض على الأمير منصور وسمله
وفي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة اجتمع بكتوزون وفايق وتشاكيا ما هما فيه من قلة إنصاف
الأمير لهما، فقبضا عليه وأمر بكتوزون من سمل عينيه، فكانت مدة ولايته سنة واحدة
وسبعة أشهر.
ولاية عبد الملك بن نوح
بن منصور
قال: ولما قبضا على الأمير منصور أقاما أخاه عبد الملك في الملك مقامه وهو صبي
صغير، فأرسل محمود بن سبكتكين إلى فايق وبكتوزون بلومهما ويقبح فعلهما، وقويت نفسه
على لقائهما، وطمع في الملك والاستقلال به، وسار لقتالهم فسار نحوه ومعهما عبد الملك،
والتقوا واقتتلوا أشد قتال فانهزم السامانية، ولحق عبد الملك وفايق ببخارى، وقصد
بكتوزون نيسابور فاتبعه جيوش محمود حتى لحق بجرجان، وسار محمود إلى هراة فعاد

بكتوزون إلى نيسابور وملكها، فقصده محمود فهرب إلى بخارى بعد أن نهب مرو، واستقر
ملك محمود بن سبكتكين بخراسان وخرجت عن ملك آل سامان.
انقراض الدولة السامانية
كان انقراضها في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة على يد محمود بن سبكتكين بخراسان وإيليك
الخان بما وراء النهر. فأما محمود فإنه ملك خراسان كما ذكرناه، وأما ايليك الخان وهو
شمس الدولة أبو النصر أحمد بن علي فإن عبد الملك - لما انهزم من محمود بقي بيده ما
وراء النهر، فقصد بخارى واجتمع بها هو وفايق وبكتوزون وغيرهما من الأمراء والأكابر،
فقويت نفوسهم وشرعوا في جمع العساكر، وهزموا على العود إلى خراسان، فاتفقت وفاة
فايق في شعبان من السنة، فلما مات ضعفت نفوسهم ووهت قوتهم، فإنه كان هو المشار
إليه من بينهم، وكان خصياً من موالي الأمير نوح ابن نصر. قال: ولما اتصل الخبر بايليك
الخان سار في جميع الأتراك إلى بخارى، وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية له، فظنوا
صدقه فلم يحترسوا منه، وخرج إليه بكتوزون وغيره من الأمراء والقواد، فلما حضروا
عنده قبض عليهم، وسار حتى دخل بخارى في يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة، فلم يدر عبد
الملك ما يصنع لقلة من معه فاختفى، ونزل ايليك الخان في دار الإمارة وبث العيون على
عبد الملك، وشدد في طلبه فظفر به فأودعه بايكند فمات بها، وهو آخر الملوك السامانية،
وانقرضت دولتهم على يده وحبس معه أخاه أبا الحارث منصور بن نوح، الذي كان في
الملك قبله، وأخويه أبا إبراهيم إسماعيل أبا يعقوب، وأعمامه أبا زكريا وأبا سليمان
وغيرهم من آل سامان، وأفرد كل واحد منهم في حجرة، وكانت دولتهم قد انتشرت من
حدود حلوان إلى الترك بما وراء النهر، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً، وعدة من
ملك منهم عشرة ملوك وهم: نصر بن أحمد بن أسد سامان، ثم أخوة إسماعيل بن أحمد،
ثم ابنه أحمد بن إسماعيل، ثم ابنه نصر بن أحمد، ثم ابنه نوح، ثم ابنه عبد الملك بن نوح،
ثم أخوه منصور بن نوح، ثم ابنه نوح بن منصور، ثم ابنه منصور بن نوح، ثم أخوه عبد

الملك بن نوح، ومدة ملكهم منذ ولى نصر بن أحمد بن أسد وإلى أن قبض على عبد الملك
مائة سنة وتسع وعشرين سنة تقريباً، ولم يقم لهم بعد ذلك دولة، وإنما ظهر إسماعيل بن نوح
ولم يستقم له أمر ولا قامت له دولة، فلذلك لم نجعله في جملة ملوكهم، لأنه كان كالخارجي،
ونحن الآن نذكر ظهوره وما كان من أمره.
ذكر إسماعيل بن نوح وما اتفق له بخراسان
وفي سنة تسعين وثلاثمائة خرج أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من محبسه، وكان السبب في
ظهوره أنه كان له جارية تأتيه لخدمته ثم تنصرف، فجاءته في بعض الأيام على عادتها فلبس
ما كان عليها، وخرج فظنه الموكلون به الجارية، ولما خرج استخفى عند عجوز من أهل
بخارى، إلى أن سكن الطلب عنه، فسار من بخارى إلى خوارزم وتلقب المستنصر،
واجتمع إليه بقايا القواد السامانية والجند فكثرت جموعه، فبعث قائداً من قواده إلى
بخارى، فقاتل من بها من أصحاب أيليك الخان وهزمهم وتبعهم إلى حدود سمرقند،
فاجتمع المنهزمون وعسكر سمرقند وقاتلوه فهو منهم أيضاً عسكر المستنصر، وغنموا
أثقالهم فصلحت أحوالهم وعادوا إلى بخارى، فاستبشر أهلها بعود السامانية، فجمع
أسليك الخان الترك وقصد بخارى، فانحاز من بها من السامانية وعبروا النهر إلى آمل
الشط، فضاقت عليهم فساروا هم والمستنصر نحو أبيورد، فملكوها وجبوا أموالها،
وساروا نحو نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائباً عن أخيه محمود، فاقتتلوا فانهزم ابن
سبكتكين وملك المستنصر نيسابور وكثر جمعه، فاتصل الخبر بيمين الدولة محمود فجد في
السير إليها فسار المستنصر عنها إلى اسفرايين، فلما أزعجه الطلب سار إلى شمس المعالي
قابوس بن وشمكير ملتجئا إليه، فأكرمه وحمل إليه كثيراً وأشار عليه بقصد الري، إذ كانت
ليس لها من يذب عنها، لاشتغال أصحابها باختلافهم، ووعده أن ينجده بعسكر مع أولاده،
فسار نحو الري ونازلها فضعف من بها عن مقاومته، إلا أنهم حفظوا البلد، وبذلوا الأموال
لأصحابه ليردوه عنها، فردوه وحسنوا له العود إلى خراسان
فسار نحو الدامغان، وعاد

عنه عسكر قابوس، ووصل المستنصر إلى نيسابور في شوال سنة إحدى وتسعين فجبى
أموالها، فأرسل إليها يمين الدولة جيشاً فانهزم وسار نحو أبيورد، وقصد جرجان فرده
شمس المالي عنها، فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها، فسار إليه نصر بن سبكتكين
من نيسابور، والتقوا واقتتلوا فانهزم الساماني، وأسر جماعة من أعيان عسكره وحملوا إلى
غزنة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ثم سار الساماني تائها حتى
وافى الأتراك الغزية، ولهم ميل إلى آل سامان فاجتمعوا معه، وسار إيليك الخان وذلك في
شوال سنة ثلاث وتسعين، فلقيهم بنواحي سمرقند فهزموه، واستولوا على أمواله وسواده
وأسروا جماعة من قواده وعادوا، وأجمع أصحاب المستنصر على إطلاق الأسرى تقرباً إلى
إيليك الخان، فشعر بذلك فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم، وسار بهم فعبر النهر إلى
آمل الشط فلم يقبله مكان، فعاد وعبر النهر إلى بخارى واقتتل هو ووواليها الذي هو من قبل
إيليك الخان، فانهزم المستنصر إلى دبوسية وجمع بها جمعاً، ثم عاودهم وهزمهم فاجتمع
عليه جماعة من فتيان سمرقند وصاروا في جملة أصحابه، فجمع إيليك الخان الأتراك وسار
إليه والتقوا بنواحي سمرقند، فانهزم إيليك الخان وذلك في شعبان سنة أربع وتسعين
وثلاثمائة، ثم عاد إيليك الخان إلى بلاد الترك فجمع وحشد وعاد إلى المستنصر، فوافق
عوده تراجع الغزية الذين كانوا مع الساماني إلى أوطانهم، فاقتتلوا بنواحي اشروسنة فانهزم
الساماني وأكثر أصحاب إيليك الخان القتل في أصحابه، وعبر النهر إلى الجوزجان فنهب
أموالها، وسار يريد مرو فسير إليه يمين الدولة العساكر، ففارق مكانه وساروهم في أثره،
فأتى بسطام فأزعجه قابوس عنها فضاقت به المذاهب، فعبر ما وراء النهر وقد ضجر
أصحابه منه وسئموا من السهر والتعب والخوف، ففارقه كثير منهم إلى بعض أصحاب
إيليك الخان وأعلموهم بمكانه، فلم يشعر إلا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب،
فطاردهم ساعة وانهزم بحالة للعرب، وكانوا في طاعة يمين الدولة محمود بن سبكتكين،

فأمهلوه حتى أظلم الليل ووثبوا عليه فأخذوه وقتلوه، وكان ذلك خاتمة أمره وآخر ما اتفق
لآل سامان، ولم يقم منهم بعده أحد، والله أعلم.
الدولة الصفارية
وابتداء أمرها
أول من قام منهم يعقوب بن الليث الصفار، وكان يعقوب هذا وأخوه عمرو يعملان الصفر
بسجستان ويظهران الزهد والتقشف، وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان اسمه صالح
بن النضر الكناني قد تغلب على سجستان في سنة سبع وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل
على الله، فصحبه يعقوب وقاتل معه وجعله صالح مقام الخليفة عنه، فاستنفذ طاهر بن
عبد الله بن طاهر - أمير خراسان - سجستان من يده، ثم هلك بعد ذلك فقام مقامه
بأمر المتطوعة رجل اسمه درهم بن الحسن، فغلب على سجستان وكان غير ضابط
لعسكره وكان يعقوب هو قائد العسكر، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا
على يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم لما رأوه من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم،
فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الأمر، وسلمه إليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالأمر؛
وقيل بل احتال صاحب خراسان على درهم حتى قبض عليه، وحمله إلى بغداد فحبس
بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد، واستقل يعقوب بعده بالأمر وعظم شأنه وتولى أمر
المتطوعة، وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم، وخرب قراهم،
وأطاعه أصحابه طاعة لم يطيعوا أحداً قبله، فاشتدت شوكته فغلب على سجستان
وأظهر التمسك بطاعة الخليفة، وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه أمره بقتال الشراة، وملك
يعقوب سجستان وضبط الطريق، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فكثر اتباعه.
ملك يعقوب هراة وبوشنج
قال: ولما كثرا أتباعه خرج عن حد طلب الشراة، فصار يتناول أصحاب خراسان، وسار
من سجستان إلى هراة من أعمال خراسان في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وأمير خراسان
يومذاك محمد بن طاهر بن عبد الله، وعامله على هراة محمد بن أوس الأنباري فخرج منها

لمحاربته، والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج وصارت
المدينتان في يده، فعظم أمره وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الأطراف، وذلك في
خلافة المعتز بالله.
ذكر استيلائه على كرمان
وفي سنة خمي وخمسين ومائتين استولى يعقوب بن الليث على كرمان، وسبب ذلك أن علي
بن الحسين بن سبل كان على فارس، فتباطأ بحمل الخراج منها وكتب إلى المعتز بالله يطلب
منه كرمان، ويذكر عجز الطاهرية عنها، فكتب إليه بولايتها وكتب إلى يعقوب أيضاً بولايتها،
وقصد بذلك إغراء كل واحد منهما بالآخر فتسقط عنه مؤونة الهالك منهما وينفرد بالآخر،
وكان كل منهما يظهر الطاعة للخليفة وهو في باطن أمره على معصيته، والمعتز يعلم بذلك
منهما، فأرسل علي بن الحسين، طوق بن المغلس إلى كرمان، وسار يعقوب إليها فسبقه
طوق واستولى عليها، وأقبل يعقوب حتى بقي بينه وبين عسكر كرمان مرحلة، فأقام بها
شهرين لا يتقدم إلى طوق، ولا طوق يخرج إليه، فلما طال ذلك عليه أظهر الارتحال إلى
سجستان ورجع مرحلتين، وبلغ طوقا ارتحاله فظن أنه قد بدا له في حربه، فوضع آلة الحرب
وقعد للشرب واللهو، واتصل ذلك بيعقوب فكر راجعاً وطوى المرحلتين في مرحلة واحدة،
فلم يشعر طوق إلا بغبرة العسكر قد طلعت، فقال: ما هذا؟ فقبل غبرة المواشي، فلم يكن
بأسرع من موافاة يعقوب فأحاط به وبأصحابه، فذهب أصحابه يريدون المناهضة والدفع
عن أنفسهم، فقال يعقوب لأصحابه: أفرجوا لهم، فأفرجوا لهم فمروا هاربين وتركوا أموالهم
وأثقالهم، وأسر يعقوب طوقا، وكان علي بن الحسين قد سير مع طوق قيوداً في صناديق،
ليقيد بها من يأخذه من أصحاب يعقوب، وفي صناديق أطوقة وأساور يعطيها لأصحاب
البلاء من أصحابه، فلما غنم يعقوب عسكرهم رأى ذلك فقال يا طوق: ما هذا؟ فأخبره،
فأعطى يعقوب الأطوقة والأساور لأصحابه، وقيد بالقيود والأغلال أصحاب علي، ولما
أخرج يد طوق ليجعل الغلّ فيها رآها يعقوب وعليها عصابة، فسأله عنها فقال: أصابتني

حرارة ففصلتها، فأمر يعقوب بنزع خف نفسه فتساقط كسر يابسة، فقال: يا طوق هذا
خفي لم أنزعه من رجل منذ شهرين، وخبزي فيه منه آكل، وأنت جالس في الشرب، ثم
دخل كرمان مع سجستان.
ذكر ملكه فارس
قال: ولما بلغ على بن الحسين صاحب فارس ما فعله يعقوب بطوق أيقن بمجيئه إليه وكان
بشيراز، فجمع جيشه وصار إلى مضيق خارج شيراز، من أحد جانبيه جبل لا يسلك،
ومن الآخر نهر لا يخاض على رأس المضيق، وهو مضيق لا يسلكه وإلا واحد بعد واحد
وقال: إن يعقوب لا يقدر على الجواز إلينا، وأقبل يعقوب حتى دنا من ذلك المضيق ونزل
على ميل منه، وسار وحده ومعه رجل آخر فنظر إلى المضيق والعسكر فسبه أصحاب
علي وهو ساكت، ثم رجع إلى أصابه، فلما كان الغد سار حتى صار إلى طريق المضيق
مما يلي كرمان، ومر أصحابه بالنزول وحط الأثقال ففعلوا وركبوا دوابهم وأخذ كلبا كان قد
ألفه فألقاه في الماء، فجعل يسبح إلى جانب أصحاب علي، وكان علي وأصحابه قد ركبوا
لينظروا إلى فعله ويضحكون منه، فألقى يعقوب نفسه وأصحابه في الماء على خيولهم
وبأيديهم الرماح، وجعلوا يسيرون خلف الكلب، فلما رأى علي يعقوب وقد قطع عامة النهر
تحير في أمره، وانتقض عليه ما كان قد دبره، وخرج أصاب يعقوب فلما صار أوائلهم في البر
هرب أصحاب علي إلى مدينة شيراز، فسقط علي بن الحسين عن فرسه فأخذ أسيراً
وأتى به إلى يعقوب فقيده واحتوى علي ما كان في عسكره، ثم رحل من موضعه ودخل
شيراز ليلا فلم يتحرك أحد، فلما أصبح انتبه أصحابه دار علي ودور أصحابه، وأخذ ما
في بيوت الأموال وجبي الخارج، ورجع إلى سجستان. وقيل إنه كان بينه وبين علي حرب
بعد عبور النهر، وذلك أن علياً كان قد جمع عنده جمعاً كثيراً من الموالي والأكراد وغيرهم،
بلغت علتهم خمسة عشر ألفاً من فارس وراجل، وعبأ أصحابه وأقبل يعقوب عبر النهر
فلما صاروا في أرض واحدة حمل يعقوب وعسكره حملة رجل واحد، وتابع الحملات حملة

بعد أخرى فانهزم أصاب علي، وتبعهم وهو يصيح بهم فلا يرجون، وقتل الرجالة قتلاً
ذريعاً، وأقبل المنهزمون إلى باب شيراز وقت العصر، فازدحموا إلى الأبواب وتفرقوا في
نواحي فارس، وبلغ بعضهم إلى الأهواز فأمر يعقوب بالكف عنهم، وكانت القتلى منهم
خمسة آلاف، قيل أصحاب علي بن الحسين ثلاث جراحات ثم أخذ أسيراً.
ودخل يعقوب مدينة شيراز وطاف بها، ونادى بالأمان فاطمأن الناس، وعذب علي بن
الحسين بأنواع العذاب، وأخذ من أمواله ألف بدرة وقيل أربعمائة، وأخذ من السلاح
والأقمشة وغير ذلك مالا يحد، وكتب إلى الخليفة المعتز بالله بطاعته، وأهدى له هدية
جليلة: منها عشرة بزاة بيض وباز أبلق صيني ومائة من المسك وغير ذلك من الطرائف،
وعاد إلى سجستان ومعه علي وطوق، فلما فارق بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها.

ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها

وفي سنة سبع وخمسين ومائتين سار يعقوب إلى بلاد فارس، فأرسل إليه المعتمد على الله
ينكر ذلك، وكتب إليه الموفق أخو المعتمد بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند فقبل
ذلك، وعاد وسار إلى بلخ وطخارستان، فلما وصل نزل بظاهرها وخرب نوشاد؛ وهي
أبنية كان قد بناها داود بن العباس خارج بلخ، ثم سار إلى كابل واستولى عليها وقبض
على رتبيل، وأرسل رسولاً إلى الخليفة بهدية جليلة المقدار، وفيها أصناف أخذها من
كابل وتلك البلاد، وسار إلى بست فأقام بها سنة، وسبب إقامته أنه أراد الرحيل فرأى
قواده قد حمل بعض أثقاله، فغضب وقال: ترحلون قبلي! ! ثم أقام سنة، وسار إلى بوشنج
وقبض على الحسين بن طاهر، فأنفذ إليه محمد بن طاهر بن عبد الله يسأله في إطلاقه فلم
يجب سؤله.

ذكر ملكه نيسابور

وفي شوال سنة تسع وخمسين ومائتين دخل يعقوب نيسابور، وكان سبب مسيره إليها أن
عبد الله السجزي كان ينازع يعقوب سجستان فلما قوي أمر يعقوب هرب منه إلى محمد بن

طاهر وطلبه يعقوب منه فلم يفعل، فسار نحوه إلى نيسابور فلما قرب منها وأراد دخولها
وجه إليه محمد بن طاهر يستأذنه في تلقيه، فلم يأذن له فبعث بعمومته وأهل بيته فتلقوه،
ودخل نيسابور وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر في عمله، وأن أهل خراسان
سألوه المصير إليهم، ويذكر غلبة العلويين على طبرستان وبالغ في هذا المعنى، فأنكر عليه
ذلك بالاقتصار على ما أسند إليه، ألا يسلك معه مسلك المخالفين، وقيل بل كان سبب
ذلك أنه كتب إلى محمد يعلمه أنه على قصد طبرستان، لمضي ما أمره به الخليفة في الحسن
بن زيد العلوي المتغلب عليها، وأنه لا يتعرض إلى شيء من عمله ولا إلى شيء من أسبابه،
وكان بعض خاصة محمد وأهله لما رأوا إدبار أمره مالوا إلى يعقوب وكاتبوه واستدعوه
وهونوا على محمد أمر يعقوب، وأعلموه أنه لا خوف عليه منه وثبطوه عن التحرز منه،
فركن محمد إلى قولهم حتى قرب يعقوب من نيسابور، فوجه إليه قائداً من قواده يطيب قلبه،
وأمر يمنعه عن الانتزاح من نيسابور إن أراد ذلك، ثم وصل يعقوب إلى نيسابور في رابع
شوال، وأرسل أخاه عمرو بن الليث إلى محمد بن طاهر فأحضره عنده، فقبض عليه
وقيده وعنفه على إهماله أمر عمله وعجزه عن حفظه، ثم قبض على جميع أهله، وكانوا
نحوا من مائة وستين رجلاً، وحملهم إلى سجستان واستولى على خراسان، ورتب نوابه في
الأعمال، وكانت ولاية محمد بن طاهر إحدى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام.

ذكر دخوله طبرستان

وفي سنة ستين ومائتين سار يعقوب إلى طبرستان وملكها، وسبب ذلك أنه لما دخل
نيسابور هرب منه عبد الله السجزى إلى الحسن بن زيد بسارية، فأرسل يعقوب إلى الحسن
يسأله أن يبعثه إليه ويرجع عنه، فإنه إنما جاء لذلك لا لحربه فلم يسلمه الحسن، فحاربه
يعقوب فانهزم الحسن ودخل بلاد الديلم ودخل يعقوب سارية وآمل، وجبى من أهلها خراج
سنة، ثم سار في طلب الحسن بن زيد فصار إلى بعض جبال طبرستان، فتتابعت عليه

الأمطار نحوا من أربعين يوماً فلم يتخلص إلا بمشقة شديدة، وهلك عامة ما معه من الظهر،
ثم أراد الدخول خلف الحسن فوقف على الطريق الذي يريد يسلكه، وأمر أصحابه
بالتوقف عن المسير، ثم تقدم وحده فتأمل الطريق ورجع إليهم، فأمرهم بالانصراف وقال: إن
لم يكن طريق غير هذا فلا طريق إليه، وكان نساء تلك الناحية قلن للرجال: دعوه يدخل
فإنه إن دخل كفيناكم أمره وعلينا أسره لكم، فلما خرج من طبرستان عرض رجاله ففقد
منهم أربعين ألفا، وذهب أكثر ما معه من الخيل والإبل والأثقال.
وكتب إلى الخليفة بما فعله من هزيمة الحسن، وسار إلى الري في طلب عبد الله السجزى،
فإنه كان قد سار إليها بعد هزيمة الحسن فلما قاربها كتب إلى واليها الصلابى، يخبره بين
تسليم عبد الله إليه ويرحل عنه وبين المحاربة، فسلمه إليه فانصرف يعقوب عنه وقتل عبد
الله السجزى.

ذكر عود يعقوب إلى بلاد فارس
والحرب بينه وبين محمد بن واصل

كان سبب ذلك أن محمد بن واصل كان قد تغلب على فارس وقتل الحارث بن سيما،
فأضاف المعتمد على فارس والأهواز والبصرة والبحرين واليمامة إلى موسى بن بغا مع ما
كان إليه، فوجه موسى عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز، وولاه إياها مع فارس وأضاف
إليه طاشتمر، فقاتله محمد بن واصل برام هرمز، فانهزم عبد الرحمن وأخذ أسيراً وقتل
طاشتمر، وغنم ما كان عسكرهما، فأرسل الخليفة إلى محمد بن واصل في إطلاق عبد
الرحمن، فلم يفعل وقتله وأظهر أنه مات، وسار ابن واصل من هذه الوقعة - وقد أظهر أنه
يريد واسط - لحرب موسى بن بغا، فلما رأى موسى شدة الأمر استعفى من ولاية فارس؛
فلما بلغ ذلك يعقوب - وكان بسجستان، تجدد طعمه في ملك بلاد فارس، وأخذ ما غنمه
ابن واصل من الخزائن والسلاح من عبد الرحمن بن مفلح وطاشتمر، فسار يعقوب حتى نزل
البيضا من أرض فارس، فبلغ ابن واصل خبره وهو بالأهواز، فعاد منها لا يلوى على شيء
وأرسل خاله أبا بلال مرداساً إلى يعقوب فوصل إليه وضمن له طاعة محمد بن واصل،

فأرسل يعقوب إلى محمد كتباً ورسلاً في المعنى فحبسهم ابن واصل، وسار يطلب يعقوب
والرسل معه، وهو يريد بذلك أن يخفي خبر مسيره، وأن يصل بغتة فينال منه غرضه ويوقع
به، فسار في يوم شديد الحر في أرض صعبة المسلك، وهو يظن أن خبره قد خفي عن
يعقوب، فلما كان وقت الظهر تعبت دوابهم، فمات من أصحاب ابن واصل أكثر الرجالة
جوعاً وعطشاً وتعباً، وبلغ خبرهم يعقوب فجمع أصحابه وأعلمهم الخبر، وقال لأبي بلال:
إن ابن واصل قد غدر بنا وحسبنا الله ونعم الوكيل، وسار يعقوب إليه فلما قاربه ضعفت
نفوس أصحاب ابن واصل عن مقاومته، فلما صار بينهما رميه سهم انهزم أصحاب ابن
واصل من غير قتال، وتبعهم أصحاب يعقوب وأخذوا منهم جميع ما غنموه من عسكر
عبد الرحمن، واستولى يعقوب على بلاد فارس ورتب بها أصحابه وأصلح أحوالها، ومضى
ابن واصل منهزماً وأخذ أمواله من قلعته، وكانت أربعين ألف ألف درهم، وأوقع يعقوب
بأهل زم لأنهم أعانوا ابن واصل، وحدث نفسه أنه يستولي على الأهواز وغيرها.

حرب الموفق ويعقوب

وفي سنة اثنتين وستين ومائتين في المحرم سار يعقوب من فارس إلى الأهواز، فلما بلغ المعتمد
على الله إقباله أرسل إليه إسماعيل بن إسحاق وبغراج، وأطلق من كان في حبسه من
أصحاب يعقوب، وكان قد حبسهم لما أخذ يعقوب، محمد بن طاهر، وجاءت رسالة
يعقوب إلى الخليفة فجلس أبو أحمد الموفق وأحضر التجار، وأخبرهم بتوليه يعقوب
طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس والشرطة ببغداد، وذلك بمحضر من درهم
حاجب يعقوب؛ وكان قد أرسله يطلب هذه الولاية، فأعاده الموفق إلى يعقوب ومعه عمر بن
سيما بما أضاف إليه من الولايات، فعادت رسل يعقوب تقول: إنه لا يرضيه ذلك دون أن
يصير إلى باب المعتمد، وارتحل يعقوب وسار إليه أبو الساج وصار معه، فأكرمه وأحسن
إليه ووصله، وسار يعقوب إلى واسط فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين

وستين ومائتين، وارتحل المعتمد على الله من بغداد إلى الزعفرانية وقدم أخاه الموفق أمامه،
وسار يعقوب من واسط إلى دير العاقول بالعساكر لمحاربته، فجعل الموفق على ميمنته موسى
بن بغا وعلى ميسرته مسرورا البلخي وقام هو في القلب، والتقوا واقتتلوا فحملت ميسرة
يعقوب على ميمنة الموفق فهزمتها، وقتل جماعة من القواد ثم تراجع المنهزمون، وكشف
الموفق رأسه وقال: أنا الغلام الهاشمي، وحمل معه سائر العسكر فثبت عسكر يعقوب،
وتحاربوا حرباً شديداً فقتل من أصحاب يعقوب جماعة، منهم حسن الدرهمي وأصاب
يعقوب ثلاثة أسهم ولم تزل الحرب قائمة إلى وقت العصر فانهزم أصحاب يعقوب، وثبت هو
في خاصة أصحابه ثم مضوا وفارقوا موضع الحرب، وتبعهم أصحاب الموفق وغنموا ما في
عسكره، وكان فيه الدواب والبغال أكثر من عشرة آلاف، ومن الأموال ما لا يحصى كثرة،
ومن جرب المسك عدة كثيرة، وخلص محمد بن طاهر وكان مثقلاً بالحديد، فخلع عليه
الموفق وولاه الشرطة ببغداد، وسار يعقوب من موضع الهزيمة إلى خوزستان ونزل جند
يسابور، فراسله العلوي فقال لكاتبه اكتب إليه: "قل يا أيها الكافرون. . ." إلى آخرها
وسير الكتاب إليه، وكانت هذه الوقعة إحدى عشرة ليلة خلت من شهر رجب، وكتب
المعتمد إلى محمد بن واصل بولاية فارس فعاد إليها.

ذكر استيلاء يعقوب على الأهواز وغيرها

وفي سنة ثلاث وستين ومائتين أقبل يعقوب من فارس، فلما بلغ النوبندجان انصرف أحمد
بن الليث عن تستر، فبلغ يعقوب جنديسابور ونزلها، فارتحل عن تلك الناحية من كان بها
من عسكر الخليفة، ووجه يعقوب إلى الأهواز رجلاً من أصحابه يقال له الخضر ابن العنبر،
فلما قاربها خرج عنها علي بن أبان ومن معه من الزنج ونزل نهر السدرة، ودخل الخضر
الأهواز وجعل أصحابه وأصحاب علي بن أبان يغير بعضهم على بعض وينال بعضهم من
بعض، إلى أن استعد علي بن أبان وسار إلى الأهواز، فأوقع بالخضر ومن معه من أصحاب
يعقوب وقعة عظيمة، قتل فيها من أصحاب الخضر خلقاً كثيراً وهرب الخضر ومن معه،

وأقام علي بالأهواز يستخرج ما كان فيها، ورجع إلى نهر السدرة وسير طائفة إلى دورق بمن
كان هناك من أصحاب يعقوب، فأنفد يعقوب إلى الخضر مدداً، وأمره بالكف عن قتال الزنج
والإقتصار على المقام بالأهواز، فلم يجب على ابن أبان إلى ذلك دون نقل طعام كان هناك،
فأجابه يعقوب إلى ما طلب ونقل الطعام، وترك العلف بالأهواز وكف بعضهم عن بعض.
ذكر وفاة يعقوب بن الليث وولاية أخيه عمرو
كانت وفاته من تاسع عشر شوال سنة خمس وستين ومائتين بجند يسابور من كور الأهواز،
وكانت علته القولنج فأمره الأطباء بالاحتقان بالدواء، فامتنع واختار الموت على ذلك، وكان
المعتمد على الله قد أنفذ إليه رسولاً وكتاباً يستمليه ويسترضيه، وقلده أعمال فارس،
فوصل الرسول ويعقوب مريض فجلس له، وجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار
وبصلاً، وأحضر الرسول وسمع رسالته وقال له: قل للخليفة إنني عليل، فإن مت فقد
استرحت منك واسترحت مني، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف حتى
آخذ بثأري أو تكسرني وتعقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول، فلم يلبث
يعقوب أن مات.
وكان الحسن بن زيد العلوي - صاحب طبرستان - يسمى يعقوب السندان لثباته، وكان
يعقوب قد افتتح الرخج وقتل ملكها البتبر وكان هذا الملك يحمل على سريره من ذهب
يحمله اثنا عشر رجلاً، وابتنى بيتاً على جبل عال سماه مكة، وكان يدعى الإلهية فقتله
يعقوب، وافتتح الخلجية وزابل وغير ذلك، وكان عاقلاً حازماً وكان يقول: كل من عاشرته
أربعين يوماً فلا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة.
ولاية عمرو بن الليث
كانت ولايته بعد وفاة أخيه يعقوب في تاسع شوال سنة خمس وستين ومائتين، ولما ولى كتب
إلى الخليفة بطاعته، فولا الموفق خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة
ببغداد وأشهد عليه بذلك وسير إليه العهد والخلع، فاستحلف عمرو بن الليث، عبيد الله
بن عبد الله بن طاهر على الشرطة ببغداد وسامرا في صفر سنة ست وستين، وخلع عليه

الموفق أيضاً، ولم يزل عمرو في هذه الولايات إلى أن عزله المعتمد في شهور سنة إحدى
وسبعين ومائتين، وأدخل عليه حاج خراسان وأعلمهم أنه عزل عمرو بن الليث عما كان
قلده، ولعنه بحضرتهم وأعلمهم أنه قد قلد خراسان لمحمد ابن طاهر، وقد يلعن عمرو على
المنابر فلعن.
وسار صاعد بن مخلد إلى فارس لحرب الصفارية، واستخلف محمد بن طاهر على
خراسان رافع بن هرثمة، ثم كانت الحرب بين عمرو بن الليث وعسكر الخليفة وعليهم
أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، ودامت الحرب بينهم من أول النهار إلى الظهر، فانهزم
عمر وأصحابه وكانوا خمسة عشر ألفا، وجرح الدرهمي مقدم جيش عمرو، وقتل مائة
رجل من جماعتهم وأسر ثلاثة آلاف أسير وغنموا معسكر عمرو، وكان الذي غنموه من
الدواب ومن البقر والحمر ثلاثين ألف رأس، وما سوى ذلك فلا يدخل تحت الإحصاء،
وذلك في عاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين.
وفي سنة أربع وسبعين سار الموفق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث في شهر ربيع الأول،
فبلغ عمرو الخبر فسير عباس بن إسحاق في جمع كثير من العسكر إلى سيراف، وأنفذ ابنه
محمد بن عمرو إلى أرجان، وسير أبا طلحة شركب صاحب جيشه على مقدمته،
فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق، وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصد الموفق، ثم عزم أبو
طلحة على العود إلى عمرو فبلغ الموفق خبره، فقبض عليه بقرب شيراز وجعل ماله لابنه
المعتضد، وسار يطلب عمرا فعاد عمر إلى كرمان ثم إلى سجستان على المفازة فتوفي ابنه
بالمفازة، وعاد الموفق.

ذكر أسر عمرو بن الليث وقتله وانقراض الدولة الصفارية

وفي سنة سبع وثمانين ومائتين في شهر ربيع الأول منها كانت الحرب بين عمرو بن الليث
وإسماعيل بن أحمد الساماني، صاحب ما وراء النهر، فأجلت الحرب عن هزيمة أصحاب
عمرو وأسره كما قدمناه مبيناً في أخبار الدولة السامانية، وخيره إسماعيل في المقام عنده

أو إرساله إلى الخليفة المعتضد بالله، فاختار أن يتوجه إلى المعتضد فسيره إليه، فوصل إلى
بغداد في سنة ثمان وثمانين، فلما وصل أدخل بغداد على جمل، ثم حبس إلى أن قتل في
سنة تسع وثمانين ومائتين.
ذكر أخباره وشيء من سيرته
كان عمرو أعور شديد الشره عظيم السياسة، قد منع قواده وأصحابه أن يضرب أحد
منهم غلامه إلا بأمره، وكان يشتري المماليك الصغار ويربيهم ويهبهم إلى القواد، ويجري
عليهم الجرايات السنية ليطالعوه بأخبار القواد، فلا ينكتم عنه شيء من أمرهم ولا يعلمون
من ينقل إليه الأخبار، وكان كثير المصادرات لعماله وخواصه.
حكى عنه أن محمد بن بشير أكبر حجابه - وكان يخلفه في جلائل الأمور والحروب
المعضلة- فدخل عليه يوماً، فأخذ يعدد عليه ذنوبه فحلف محمد بن بشير بالله وبالطلاق
أنه لا يملك غير خمسين بدرة وهو يحملها إلى الخزانة ولا يجعل له ذنباً لم يعلمه، فقال له
عمرو: ما أعقلك من رجل؟ احملها فحملها، ولا شيء أقبح من هذا الفعل، ومع ذلك فقد
حكى القاضي عياض بن موسى في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه
وسلم عن الإمام أبي القاسم القشيري أن عمراً رؤية في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال:
غفر لي، فقيل: بماذا؟ قال: صعدت ذروة جبل يوماً فأشرفت على جنودي، فأعجبتني
كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته، فشكر الله
لي ذلك وغفر لي.
وانقرضت هذه الدولة بأسر عمرو، وكانت مدتها خمساً وثلاثين سنة، أيام يعقوب ثلاث
عشرة سنة وأيام عمرو اثنتين وعشرين سنة.
أحمد الخجستاني
وهذه النسبة إلى خجستان وهي من جبال هراة من أعمال باذغيس وكان أحمد بن عبد
الله هذا من أحاب محمد بن طاهر، فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور ضم أحمد
هذا إلى أخيه علي بن الليث وكان بنو شركب ثلاثة أخوة: إبراهيم وأبو حفص يعمر وأبو
طلحة منصور بنو مسلم، وإبراهيم أسنهم، وكان قد أبلى بين يدي يعقوب عند مواقعته

للحسن بن زيد العلوي بجرجان بلاء حسناً، فقدمه يعقوب فدخل عليه يوماً بنيسابور وكان
اليوم شديد البرد، فخلع عليه يعقوب وبرسمور كان على كتفه، فحسده أحمد الخجستاني
وجاء إليه وقال: إن يعقوب يريد الغدر بك، لأنه لا يخلع على أحد من خاص ملبوسه إلا
غدر به فقال إبراهيم: فكيف الخلاص؟ فقال: الحيلة أن نهرب جميعاً إلى أخيك يعمر،
وكان يحاصر بلخ ومعه خمسة آلاف رجل، فاتفقا على ذلك وتواعدا للخروج في تلك الليلة،
فسبقه إبراهيم إلى الموعد وانتظره ساعة فلم يره، فسار نحو سرخس وذهب الخجستاني
إلى يعقوب فأعلمه، فأرسل في لأثر إبراهيم فأدركوه بسرخس فقتلوه، ومال يعقوب إلى أحمد،
فلما أراد يعقوب العود إلى سجستان استحلف على نيسابور عزيز بن السري وولى أخاه
عمرو بن الليث هراة، فاستحلف عمرو وعليها طاهر بن حفص الباذغيسى، وسار يعقوب
إلى سجستان في سنة إحدى وستين ومائتين، وأحب الخجستاني التخلف لما كان يحدث به
نفسه، فقال لعلي بن الليث: إن أخويك قد اقتسما خراسان، وليس لك بها ما يقوم بشغلك،
وأحب أن تردني إليها لأقوم بأمورك، فاستأذن أخاه يعقوب في ذلك فأذن له، فلما حضر
أحمد لوداع يعقوب أحسن إليه وخلع عليه، فلما ولى عنه قال: أشهد أن قفاه قفا غادر
مستعص، وهذا آخر عهدنا بطاعته، فلما فارقهم جمع نحو مائة رجل فورد بهم بست
نيسابور، فحارب عاملها وأخرجه عنها وجباها ثم خرج إلى قومس، فغلب على بسطام
وقتل بها مقتلة عظيمة وذلك في سنة إحدى وستين وسار إلى نيسابور وبها بن السري
فهرب منها، وأخذ أحمد أثقاله واستولى على نيسابور، ودعا للطاهرية وذلك في أول سنة
اثنتين وستين.
وكتب إلى رافع بن هرثمة يستقدمه فقدم عليه، فجعله قائد جيشه، وكتب إلى يعمر ابن
شركب-وهو يحاصر بلخ-يستقدمه ليتفقا على تلك البلاد، فلم يثق إليه لما تقدم له مع أخيه
إبراهيم، وسار يعمر إلى هراة فحاربه طاهر بن حفص فقتله واستولى على أعماله فسار

إليه أحمد وكان بينهما مناوشات، وكان أبو طلحة منصور ابن شركب غلاماً من أحسن
الغلمان، وكان عبد الله بن بلال يميل إليه وهو أحد قواد يعمر، فراسل ابن بلال، الخجستاني
أن يعمل ضيافة ليعمر وأصحابه ويدعوهم إليه وأن يكسبهم أحمد وأنه يساعده، واشترط
عليه أنه إذا ظفر يسلم إليه أبا طلحة، فأجابه أحمد إلى ذلك وتواعدا على يوم، وعمل ابن
بلال ضيافة وحضرها يعمر، فكسبهم أحمد وقبض على يعمر وسيره إلى نيسابور فقتله،
واجتمع لأبي طلحة جماعة من أصحاب أخيه فقتلوا ابن بلال، وساروا إلى نيسابور وبها
الحسين بن ظاهر أخو محمد، وقد وردها من أصفهان طمعاً أن أحمد يخطب لهم، كما كان
يظهر من نفسه فلم يفعل، فخطب ابن طاهر بها لأبي طلحة وأقام معه، فسار الخجستاني
من هراة في اثنتي عشر ألف عنان، فأقام على ثلاث مراحل من نيسابور، ووجه أخاه إليها
فخرج إليه أبو طلحة وقاتله، فقتل العباس وانهزم أصحابه فعاد أحمد إلى هراة ثم كاتبه أهل
نيسابور في الحضور إليهم، فسار إليهم وقدم البلد ليلاً، ففتحوا له الباب ودخلها، وسار
عنها أبو طلحة إلى الحسن ابن زيد، فأمده بالجنود فعاد إلى نيسابور فلم يظفر بشيء،
فتوجه إلى بلخ وذلك في سنة خمس وستين، ثم سار الخجستاني لمحاربة الحسن بن زيد
لمساعدته لأبي طلحة، فاستعان الحسن بأهل جرجان فأعانوه، فهزمهم الخجستاني وجبى
منهم أربعة آلاف ألف درهم وذلك في شهر رمضان من السنة.
وتوفي يعقوب بن الليث في
هذه السنة وولى مكانه أخوه عمرو، فوافى الخجستاني نيسابور واقتتلا فهزمه الخجستاني،
فرجع إلى هراة وأقام أحمد بنيسابور، ثم سار إلى هراة في سنة سبع وستين فحصر عمراً
ولم يظفر بشيء، ثم كان له حروب مع أبي العباس النوفلي وغيره، فظفر بالنوفلي وكان قد
جاء لحربه من قبل محمد بن طاهر في خمسة آلاف رجل وقتله، ثم سار إلى أبيورد وجبى
خراج مروا، ولم يزل كذلك إلى سنة ثمان وستين ومائتين، فقتله غلامه زامجور غيلة وكان قد
سكر ونام ثم قتل الغلام، واجتمع أصحاب أحمد الخجستاني وانضموا إلى رافع بن هرثمة.

وكان أحمد هذا كريماً جواداً شجاعاً حسن العشرة كثير البر لإخوانه الذين صحبوه قبل
إمارته، ولم يتغير عليهم ما كان يعاملهم به من التواضع والأدب.
رافع بن هرثمة
كان رافع بن هرثمة من أصحاب محمد بن طاهر، فلما استولى يعقوب بن الليث على
نيسابور وأزال الطاهرية عنها التحق رافع به، فلما عاد يعقوب إلى سجستان صحبه رافع،
وكان طويل اللحية كريه المنظر قليل الطلاقة، فدخل يوماً على يعقوب فلما خرج من عنده
قال: إنا لا نميل إلى هذا الرجل فليلحق بما شاء من البلاد، فقيل له ذلك ففارقه وعاد إلى
منزله بتامين، فأقام إلى أن استقدمه أحمد الخجستاني كما ذكرنا وجعله صاحب جيشه،
فلما قتل اجتمع الجيش عليه، وسار من هراة إلى نيسابور وكان أبو طلحة قد وردها من
جرجان، فحصره فيها رافع وقطع الميرة عنها، فاشتد العلاء ففارقها أبو طلحة إلى مرو،
وخطب رافع لمحمد بن طاهر، ثم قلد الموفق محمد بن طاهر أعمال خراسان وكان ببغداد،
فاستخلف رافع بن هرثمة على أعمال خراسان، وسار رافع إلى خوارزم في سنة اثنتين
وسبعين ومائتين فجبى أموالها، ورجع إلى نيسابور.
وفي سنة خمس وسبعين استولى رافع على جرجان، وأزال عنها محمد بن زيد وسار محمد
إلى استراباد فحصره بها رافع نحو سنتين فغلت الأسعار وعدمت الأقواد وبيع وزن درهم
ملح بدرهمين فضة، ففارقها محمد ليلاً في نفر يسير فتبعه رافع إلى أرض الديلم حتى اتصل
بحدود قزوين، وعاد إلى الري وأقام بها إلى أن توفي المعتمد على الله في سنة تسع وسبعين
ومائتين.
وإنما ذكرنا أخبار أحمد ورافع في هذا الموضع لتعلقهما بالدولة الصفارية.
الدولة الديلمية الجيلية
هذه الدولة كانت ببلاد طبرستان، والري، وجرجان، وقزوين، وزنجان وأبهر، وأصفهان،
والكرج، وغير ذلك من البلاد على ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وملوك هذه الدولة
مسلمون، وكان على دعاهم إلى الإسلام الحسن بن علي الأطرش العلوي، وهو من

أصحاب محمد بن زيد، فلما قتل محمد بن زيد سار الحسن إلى الديلم، وأقام بينهم ثلاث
عشرة سنة، ودعاهم إلى الإسلام، واقتصر منهم على العشر، وبنى في بلادهم المساجد،
فأجابه منهم طائفة، وخرج بهم إلى طبرستان، وملكها، وكان مها ليلى بن النعمان، وكان
أحد قواده، وتولى جرجان، وقتل حمويه في سنة ثمان وثلاثمائة، ومنهم سرجاب، وهو مقدم
جيش الحسن، مات في سنة عشرة وثلاثمائة، ومنهم ما كان بن كالى، وكان من قواده أيضاً،
واستخلفه على استراباذ، فاجتمع عليه الديلم، وقدموه عليهم استولى على جرجان،
وأخذها من بغرا نائب السعيد الساماني، ولم يكن لهؤلاء الذين ذكرناهم كبير مملكة، وإنما
كانوا يستولون على بلد من البلاد، ويقيمون بها مدة، ثم يخرجون عنها ويستولون على
غيرها.
أول من تقدم من الدَّيلم، وكثرت أتباعه، وعلا اسمه؛ واتسعت مملكته.
أسفار بن شيرويه
الديلمي
ونحن نذكر حاله من ابتداء أمره، وما آل إليه، ومن ملك بعده من الديلم والجيل إلى حين
انقراض دولتهم إن شاء الله تعالى، فتقول:
كان أسفار هذا من أصحاب ما كان بن كالى الديلمي، وكان سيئ الخلق والعشرة، فكرهه
ما كان، وأخرجه من عسكره، فالتحق ببكر بن محمد بن اليسع بنيسابور، وأقام في خدمته
إلى أن قتل ابن الأطرش الحسن بن كالى أخا ما كان بجرجان، واستقل ابن الأطرش بالأمر،
وجعل مقدم جيشه علي بن خرشيد، فكتب إلى أسفار يستقدمه، فاستأذن بكراً بن
محمد، وسار إلى جرجان، واتفق مع علي بن خرشيد، وضبطا تلك الأعمال لا بن
الأطرش، فسار إليهم ما كان بن كالى، وقاتلهم، فهزموه، وأخرجوه عن طبرستان، وملوكها،
وأقاموا بها، ثم اتفقت وفاة ابن الأطرش، وعلي بن خرشيد، فاستقل أسفار بالأمر، وانفرد
به، فجاءه ما كان ابن كالى، وهزمه، وأخرجه عن البلاد، فرجع إلى بكر بن محمد ابن
اليسع بجرجان، فأقام بها إلى أن توفي بكر، فتولاها أسفار من قبل السعيد نصر بن أحمد

السامانى في سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وأرسل أسفار إلى مرداويج بن زياد الجيلي
يستدعيه إليه، فجاءه وجعله أسفار أمير جيشه، وأحسن إليه، وقصدا طبرستان
واستولوا عليها. وكان ما كان بن كالى مع الحسن بن القاسم الداعي العلوي بالريّ، وقد
استولى عليها، وأخرج عنها نواب السعيد، واستولى على قزوين، وزنجان، وأبهر، وقم،
فسار نحو طبرستان، والتقى هو وأسفار عند سارية، واقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم معظم
أصحاب الحسن؛ قصدا للهزيمة لكراهيتهم له، فإنه كان يمنعهم من المظالم، وشرب الخمر،
وارتكاب المحارم، فكرهوه، وكان أيضاً قد قتل جماعة منهم، فخذلوه في هذه الحادئه، فقتل
الداعي، واستولى أسفار على البلاد على بلاد طبرستان، والري، وجرجان، وقزوين،
وزنجان، وأبهر، وقم، والكرج، ودعا بها لصاحب خراسان نصر بن أحمد، واستعمل
هارون سندان، وهو أحد رؤساء الجيل وخال مرداويج على آمل، وكان هارون يحتاج أن
يخطب فيها لأبي جعفر العلوي، وخاف أسفار ناحية أبى جعفر أن يجدد له فتنة وحربا،
فاستدعى هارون غليه، وأمره أن يتزوج من أعيان آمل، ويحضر عرسه أبو جعفر، وغيره
من رؤساء العلويين، وأن يفعل ذلك في يوم ذكره له، ففعل، ثم سار أسفار من سارية مجدّاً
لموافاة العرس، فوصل آمل في يوم الموعد، وقد اجتمع العلويون عند هارون فهجم على الدار
على حين غفلة، وقبض على أبى جعفر، وغيره من أعيان العلويين، وحملها إلى بخارى،
فاعتقلوا بها. ولما فرغ أسفار من ذلك سار إلى الري وبها ما كان بن كالى، فأخذها منه،
وسار ما كان إلى طبرستان، فأقام هناك. وأحب أسفار أن يستولي على قلعة ألموت، وهي
قلعة على جبل عال شاهق في حدود الديلم، وكانت لسياه جشم، ومعناه: الأسود العين
لأنه كان على إحدى عينيه نقطة سوداء، فراسله أسفار، ومنّاه فقدم عليه، فسأله أن يجعل
عيال في قلعة ألموت، وولاه قزوين، فأجابه إلى ذلك، ونقلهم إليها،ثم كان آيهم من يثق به من
أصحابه، فلما حصل له بها مائة رجل استدعاه من قزوين، وقبض عبيه وقتله، وعظمت

جيوش أسفار، وطار اسمه، فتجبر وعصى على الأمير السعيد نصر بن احمد صاحب
خراسان وما وراء النهر، فسير الخليفة المقتدر هارون بن غريب إلى أسفار في عسكر،
فالتقوا، واقتتلوا نحو قزوين، فانهزم هارون، وقتل من أصحابه خلق كثير بباب قزوين، وكان
أهل قزوين قد ساعدوا هارون، فحقد عليهم أسفار، ثم سار الأمير نصر بن أحمد من
بخاري، وقصد حرب أسفار لخروجه عن طاعته وبلغ نيسابور، فجمع أسفار عسكره،
فأشار عليه وزيره مطرف ابن محمد بمراسلته، والدخول في طاعته، وبذل المال له، إن
أجاب، وإلا فالحرب بعد ذلك، وكان في عسكره جماعة من الأتراك أصحاب صاحب
خراسان، فخوفه الوزير منهم، فرجع إلى رأيه، وراسله، فقبل صاحب خراسان ذلك منه،
وشرط عليه شروطا منها: حمل الأموال، والطاعة، وغير ذلك، فشرع أسفار بعد تمام
الصلح في بسط الأموال على الريَّ وأعمالها، وجعل على كل رجل ديناراً إلا أهل البلد،
والمحاربين، فحصّل من ذلك مالا عظيما أرضى منه صاحب خراسان بالبعض ورجع عنه،
وعظم أمر أسفار، وزاد تجبره، وقصد قزوين بما في من أهلها، فأوقع بهم، وأخذ أموالهم،
وقتل كثيرا منهم، وسلط الديلم عليهم، وسمع المؤذن يؤذن، فأمر بإلقائه من المنارة إلى
الأرض، فاستغاث الناس من شره وظلمه. وخرج أهل قزوين إلى الصحراء: والرجال،
والنساء، والولدان يتضرعون إلى الله تعالى، ويدعون عليه، ويسألون الله تعاى كشف ما
بهم، فبلغه ذلك، فضحك وسبهم استهزاء بهم، فقابله الله تعالى في الغد من نهار الدعاء
عليه بما سنذكره.

مقتل أسفار
بن شيرويه

كان سبب قتله أن مرادويج كان اكبر قواده، وكان قد أرسله إلى سلار صاحب سميران
الطّرم يدعوه إلى طاعته، فلما وصل إليه مرادويج تشاكيا ما الناس فيه من الجهد والبلاء،
فتعاقدا، وتحالفا على قصده، والتساعد على حربه، وكان أسفار قد وصل إلى قزوين، وهو

ينتظر وصول مرادويج بكتابه، فكتب مرادويج إلى جماعة من القواد يثق بهم يعرفهم ما اتفق
هو وسلار عليه، فأجابوه إلى ذلك، وكان الجند قد سئموا أسفار، وسوء سيرته، وظلمه،
وجوره، وكان الوزير مطرف بن محمد، ممن أجاب مرادويج، ووافقه، فسار مرادويج نحو
أسفار، فبلغه الخبر، وأحس بالشر وثار الجند به، فهرب في جماعة من خاصته، وذلك
عقب حادثة أهل قزوين، ودعائهم عليه.
فورد الريّ، وأراد أن يأخذ من مال من كان بها، فمنعه نائبه المقيم بها، ولم يعطه غير
خمسة آلاف دينار، فتركه، وانصرف إلى خراسان وأقام بناحية بيهق. وأمّا مرداويج، فإنه
وصل إلى قزوين، وسار منها إلى الري، وكتب إلى ما كان بن كالى، وهو بطبرستان
يستدعيه ليتساعدا على أسفار، فسار ما كان إلى أسفار، فسار أسفار إلى بست، وركب
المفازة نحو الري ليقصد قلعة ألموت التي بها أهله وأمواله، فانقطع عنه بعض أصحابه،
والتحق بمرداويج واعلمه بخبره، فخرج مرداويج من ساعته في أسره وقدم بعض قواده بين
يديه، فلحقه القائد، ونزل ليستريح، فسلم عليه بالإمرة، فقال له أسفار: لعلكم اتصل بكم
خبري، وبعثت في طلبي قال: نعم، فضحك، ثم سأل القائد عن قواده الذين خذلوه، فأخبر
أن مرداويج قتلهم، فتهلل وجهه، وقال كانت حياة هؤلاء غصة في حلقي، وقد طابت الآن
نفسي، فامض لما أمرت به، وظن أنه أمر بقتله، فقال ما أمرت به فيك بسوء، وحمله إلى
مرداويج، فقتله، وانصرف إلى الريّ.
وقيل في قتله: إنه لما قصد ألموت نزل في دار هناك، واتفق أن مرداويج خرج إلى الصيد
فرأى خيلا يسيرة، فسيَّر من يكشف خبرها، فوجد رجل أسفار، فقبض عليه، وذبحه
بيده، وقيل: بل دخل أسفار إلى رحآ وقد نال منه الجوع، فطلب من الطحّان ما يأكله، فقدم
إليه خبزا ولبنا، فينما هو يأكل وغلام له ليس معه غيره، إذ أقبل مرداويج إلى تلك الناحية
في طلبه، فأشرف على الرحآ فرأى أثر الخيل، فوصل إلى الرحآ، وأخذه وقتله.
ملك مرداويج

وهو الثاني من ملوك الدولة الديلمية الجيلية. كان ابتداء ملكه عند هرب أسفار، ولما قتله
عاد إلى قزوين، وأحسن إلى أهلها، ووعدهم الجميل، وتمكن ملكه، وتنقل في البلاد،
وملكها مدينة بعد أخرى، وولاية بعد ولاية، فملك قزوين، والري، وهمذان، كنكور،
والدينور، وبروجرد، وقم، وقاجان، وأصفهان خاصة، واخذ الأموال، وهتك المحارم،
وطغى وتجبر، وعمل سريرا من ذهب يجلس عليه، وسرراً من فضة يجلس عليها أكابر
القواد، وإذا على السرير يقف عسكره صفوفا بالبعد منه، ولا يخاطبه أحد غير الحجاب
الذين رتبهم لذلك، وخافه الناس خوفا عظيما.

ملك طبرستان وجرجان

وقد ذكرنا أن مرداويج كان قد كاتب ما كان، وطلب منه المعاضدة على أسفار وموافقة
ما كان له، فلما ملك مرداويج، وقوى أمره طمع في طبرستان، وجرجان، وكانتا مع ما كان،
فجمع عساكره، وسار نحو طبرستان، فاستظهر على ما كان، واستولى على البلد، ورتب
فيها أبا القاسم بن باحين، وهو اسفهسلار عسكره، وكان حازما شجاعا جيد الرأي، ثم
سار مرداويج نحو جرجان، وكان بها من قبل ما كان شيرزيل ابن سلار وياغلى بن ترلى،
فهربا من مرداويج، فملكها، ورتب فيها سرجان نائبا عن أبى القاسم، فاجتمع لأبي القاسم
جرجان، وطبرستان، وعاد مرداويج إلى أصفهان، وسار ما كان إلى الديلم واستنجد بأبي
الفضل الثائر بها، فأكرمه، وسار معه إلى طبرستان، فلقيهما نائب مرداويج، وتحاربوا، فانهزم
ما كان والثائر، فعاد الثائر إلى الديلم، وقصد ما كان بنيسابور، ودخل في طاعة السعيد
الساماني صاحب خراسان، واستنجد به، فأمّده بأكثر جيشه، فالتقوا، فانهزم أبو علي
وماكان، وعاد إلى نيسابور، وعاد ما كان إلى الدمغان ليملكها، فمنعه نائب مرداويج
بجرجان من ذلك، فعاد إلى خراسان. وهذه الوقائع كلها ساقها أبن الأثير الجزري في تاريخه
الكامل في حوادث سنة ست عشرة وثلاثمائة، وما أظنها في هذه السنة خاصة، بل فيها
وفيما بعدها، لكنه والله أعلم قصد أن يكون الخبر سياقة حتى لا ينقطع، وهذا كان دأبه

في كثير من الوقائع، وهو حسن.
حرب مرداويج وهارون
قال: ولما استتب لمرداويج الأمر أتاه الديلم من كل ناحية لبذله، وإحسانه إلى جنده،
فعظمت جيوشه، وكثرت عساكره، وكثر الخرج عليه، فلم يكفه ما بيده، ففرق نوابه في
النواحي المجاورة له، وبعث إلى همذان ابن أخت له في جيش كثيف، وكان بها أبو عبد
الله محمد بن خلف في عسكر للخليفة، فتحاربوا وأعان أهل همذان عسكر الخليفة،
فظفروا بالديلم، وقتل ابن أخت مرداويج، فسار إلى همذان، فلما سمع أصحاب الخليفة
بمسير مرداريج انهزموا، وفارقوا همذان، ونازلها مرداريج، فتحصن أهلها منه، فقاتلهم،
وظفر بهم، وقتل منهم خلقا كثيرا، وأحرق وسبى، ثم رفع السيف وأمر بنفيهم، فأنفذ
المقتدر هارون بن غريب في عساكر كثيرة لمحاربته، فالتقوا بنواحي همذان، واقتتلوا قتالا
شديدا، فانهزم هارون، واستولى مرداويج على بلاد الجيل جميعها، وما وراء همذان، وسير
قائدا من قواده يعرف بابن عجلان القزويني إلى الدينور، ففتحها بالسيف، وقتل كثيرا من
أهلها، وبلغت عساكره، إلى نواحي حلوان فغمت وقتلت، ونهبت، وسبت، وعادت إليه.
ذكر ملكه أصفهان
قال: ثم أنفذ مرداويج طائفة أخرى إلى أصفهان، فملكوها، واستولوا عليها، وبنواله فيها
مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فسار مرداويج إليها، ونزلها، وهو في أربعين ألفا،
وقيل خمسين ألفا، وأرسل جمعا آخر إلى الأهواز، فاستولوا عليها وعلى خوزستان، وجبوا
أموال تلك البلاد، والنواحي، فقسمها في أصحابه، وادخر منها ذخائر كثيرة، ثم أرسل إلى
المقتدر رسولا يقرر على نفسه مالاً على هذه البلاد، ونزل للمقتدر عن همذان، فأجابه إلى
ذلك، وقرر عليه مائتي ألف دينار في كل سنة.
وشمكير ومرداويج
قال: ولما استقرّ ملك مرداويج أرسل في طلب أخيه وشمكير، وهو ببلاد جيلان
يستدعيه. قال الجعد: أرسلني إليه فجئته فإذا هو في جماعة يزرعون الأرز، فلما رأوني

قصدوني وهو عرايا حفاة عليهم سراويلات ملونة الخرق مرقعة، فسلمت علي وشمكير،
فأبلغته رسالة أخيه، وأعلمته ما هو فيه، وما حازه من الملك، فضرط بفيه في لحية أخيه،
وقال: إنه ليس السودا، وخدم المسودة يعني الخلفاء، فمازلت أمنيِّه وأطعمه حتى خرج
معي، فلما بلغنا قزوين اجتهدت به حتى لبس السودا، ورأيت من جهله أشياء أستحي أن
أذكرها، ثم أعطته السعادة ما كان في الغيب، فجاء من أعرق الملوك بتدبير الممالك،
وسياسة الرعايا، وكان وصوله إلى أخيه في سنة عشرين وثلاثمائة.

مقتل مرداويج

كان مقتله في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وسبب ذلك أنه كان كثير الإساءة إلى الأتراك،
وكان يقول: إن روح سليمان بن داود حلت فيه، وإن الأتراك هم المردة والشياطين، فإن
أقهرهم، وإلا افسدوا، فثقلت وطأته عليهم، فلما كان في ليلة الميلاد من هذه السنة، لأمر
بأن يجمع الحطب من الجبال والنواحي، وأن يجعل على جانبي الوادي المعروف بزندره،
ويعمل مثله على الجبل المعروف بكر ثم كوه المشرف على أصفهان من أسفله إلى أعلاه
بحيث إذا اشتعلت النيران يصير الجبل كله ناراً، وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي
هناك، وجمع النفط، ومن يلعب به، وجمع له أكثر من ألفي غراب وحدأة ليجعل في أرجلها
النفط، وترسل لتطير في الهواء، وأمر بعمل سماط عظيم كان فيه مائة فرس، ومائتا رأس من
البقر مشوية صحاحا، وثلاثة آلاف رأس من الغنم شواء، غير المطبوخ ومن الأرز والدجاج
عشرة آلاف طائر، وما يناسب ذلك من الحلوي، وركب آخر النهار بغلمانه فطاف
بالسماط، ونظر إليه وإلى تلك الأخطاب، فاستحقر الجميع لسعة البرية، ولعن وغضب
وعاد فدخل خركاه، وقام، فلم يجسر أحدٌ أن يكلِّمه، واجتمع الأمراء والقواد وغيرهم،
وكادت الفتنة تقوم لخوفهم منه، فأتاه وزيره العميد، وتلطف به، وعرَّفه ما الناس فيه، فخرج،
وجلس على السِّماط، وأكل ثلاث لقم، ونهب الناس الباقي، ولم يجلس للشراب، وعاد إلى

مكانه، وأقام ثلاثة أيام لا يظهر، فلما كان في اليوم الرابع أمر بإسراج الخيل ليعود إلى منزله،
فاجتمع خلق كثير وشغبت الدواب مع الغلمان، وصهلت، ولعبت، فصار الغلمان يصيحون
بال لتسكن، فاجتمع من ذلك أصوات هائلة مختلفة منكرة، وكان مرداويج نائما، فاستيقظ،
فسمع ذلك، وسأل عنه، فعرف صورة الحال، فازداد غضبا، وقال ما كفى من إخراق
الحرمة ما فعلوه من نهب السماط، وما أرجفوا به حتى انتهى أمر هؤلاء الطلاب إلى هذا،
وسأل عن أصحاب الخيل، فقيل: إنها للأتراك، وقد نزلوا للخدمة، فأمر أن تحط السروج
عن الدواب، وتوضع على ظهور أصحابها، ويأخذون بإرسال الدواب إلى الاصطبلات،
ومن امتنع من ذلك ضربه الديلم، ففعلوا ذلك، فكانت صورة قبيحة أنفت منها نفوسهم.
قم ركب مع خاصته، وهو يتوعد الأتراك حتى صار إلى داره بعد العشاء بعد أن ضرب
جماعة من أكابر الأتراك،فاجتمعوا، وقالوا ما وجه صبرنا على هذا الشيطان، وتحالفوا على
الفتك به، واتفق دخوله الحمام، وكان كورتكين يحرسه في حمامه وخلواته، فأمره في ذلك اليوم
أن لا يتبعه، فتأخر مغضبا، وكان هو الذي يجمع الحراس، فلم يأمر الحرس باتباعه. وكان له
خادم أسود يتولى خدمته بالحمام، فاستمالوه، فمال إليهم، وهجم الأتراك على الحمام، فقام
أستاذ داره، وهو خادم ليمنعهم، فضربه بعضهم بالسيف، فقطع يده، فصاح، فعلم مرداريج،
فغلق باب الحمام، وتربسه بسرير كان يجلس عليه إذا غسل رأسه، فصعدوا السطح،
وكسروا الجامات، ورموه بالنشاب، ثم كسروا باب الحمام، ودخلوا عليه، فقتلوه، وكان
الذي جمع الناس على قتله توزون، وهو الذي صار أمير العساكر بالعراق، وياروق، ومحمد
ابن ينال الترجمان، وبجكم وهو الذي تولى إمرة العراق. وقال:
ولما قتلوه أعلموا أصحابهم، فنهبوا قصره، وهربوا.هذا لم يعلم بهم الديلم، فلما علموا
ركبوا في آثارهم، فلم يلحقوا منهم إلا نفرا يسيراً، فقتلوهم، وعادوا، واجتمع على طاعة
أخيه وشميكر.
ملك وشميكر بن زياد

وهو الثالث من ملوك الدولة الديلمية الجيلية. وقال: ولما قتل مرداويج كان وشمكير بالري،
فحملوا تابوت مرداويج، وساروا نحو الري، فخرج وشمكير، ومن عنده من أصحابه، وتلقوا
التابوت مشاة حفاة على أربعة فراسخ، وكان يوما مشهودا.
واجتمع على وشمكير عساكر
أخيه. قال: وكان ركن الدولة بن بويه في جيش مرداويج رهينة عن أخيه عماد الدولة، فإنه
كان قد بذل من نفسه الطاعة لمرداويج، ورهن عنده أخاه، فلما قتل مرداويج بذل للموكلين به
مالا، فأطلقوه، فهرب إلى أخيه عماد الدولة بفارس.
ما فعله الأتراك بعد قتل مرداويج
قال: ولما قتلوه تفرقوا على قزوين، ففرقة سارت إلى عماد الدولة بن بويه بفارس، وفرقة
سارت نحو الجبل مع بجكم، وهي أكثرها، فنجبوا الأموال، وخراج الدينور وغيرها،
وصاروا إلى النهران، فكاتبوا الخليفة الراضي بالله في المسير إلى بغداد، فإذن لهم، فدخلوا،
فظن الحجريّة أن ذلك مقلة بذلك، وأطلق لهم مالا، فلم يرضوا به، وغضبوا فكاتبهم ابن
رائق، وهو بواسط، وله البصرة، فاستدعاهم فمضوا إليه، وقدم عليهم بجكم وأمره بمكاتبة
الأتراك والديلم أصحاب مرداويج، فكاتبهم، فقدم منهم عدة، فأحسن إليهم، وأمره أن
يكتب إلى الناس في كتبه بجكم الرائقي، وكان من أمر بجكم ما قدمناه في أخبار الدولة
العباسية.
وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة أرسل وشمكير جيشا كثيفا من الري إلى أصفهان، وبها
ركن الدولة بن بويه، فأزالوه عنها، وخطبوا لوشمكير، وسار وشكمير إلى قلعة ألموت،
واستولى عليها، ودامت أيام وشمكير إلى سنة سبع وخمسين.
وفاة وشمكير
كانت وفاته في المحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. وذلك أنه ركب للصيد، فعارضه خنزير
قد رمى بحربه، وهي ثابتة فيه، فحمل الخنزير عليه، وهو غافل، فضرب الفرس الذي تحته
فشبّ به، فألقاه إلى الأرض، فخرج الدم من انفه وآذنيه، فمات.
وكانت مدة ملكه أربعا
وثلاثين سنة تقريبا، ولما مات قام بالأمر بعده ابنه بهشيتون.
ملك ظهير الدولة
بهشيتون بن وشمكير

وهو الرابع من ملوك الدولة الديلمية الجيلية. ملك ما كان في مملكة أبيه بعد وفاته، وذلك
في المحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، قال: ولما ملك صالح ركن الدولة بن بويه، فأمدَّه
بالخيل، والمال، والرجال، وكان وشمكير قد قصد ركن الدولة، وأتته العساكر من قبل الأمير
منصور بن نوح الساماني، وكتب إلى ركن الدولة يهدده ويسبه في كتابه، ويقول: والله إن
ظفرت بك لأفعلن، ولأصنعن، فلم يجسر الكاتب أن يقرأه على ركن الدولة،فقرأه هو، وقال
للكاتب اكتب إليه: أما تهددك، فو الله لئن ظفرت بك لأعاملنك بضد ما كتبت،
ولأحسنن إليك، ولأكرمنك، فلما مات استقر الصلح بين ظهير الدولة، وركن الدولة، ودامت
أيام بهشيتون إلى سنة ست وستين وثلاثمائة، فتوفي بجرجان، وكانت مدة ملكه تسع سنين
وشهورا، ولما مات ملك بعده أخوه.

ملك شمس المعالي
قابوس بن وشمكير

وهو الخامس من ملوك الدولة الديلمية الجيلية. كان مالكه بعد وفاة أخيه بهشيتون في
سنة ست وستين وثلاثمائة، وكان عند وفاته عند خاله بجبل شهريار، وخلف بهشيتون ابنا
صغيرا بطبرستان مع جده لأمه، فطمع جده أن يأخذ الملك، فبادر إلى جرجان، فرأى بها
جماعة من القواد قد مالوا إلى قابوس، فقبض عليهم، وبلغ قابوس الخبر، فسار إلى جرجان،
فلما قاربها خرج جيش إليه، واجتمعوا عليه، وأطاعوه، وملكوه، فهرب من كان مع ابن
بهشيتون، وتركوه فأخذه عمه قابوس وكفله، وجعله أسوة أولاده، واستولى على جرجان،
وطبرستان، ودام ملكه إلى أن خلع، وقتل، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

خلع قابوس
بن وشمكير وقتله وولاية ابنه ملك المعالي منوجهر

وفي سنة ثلاث وأربعمائة خلع شمس المعالي قابوس بن وشمكير، فكانت مدة ملكه سبعا
وثلاثين سنة، وكان سبب خلعه أنه مع ما كان فيه من الفضائل الجمّة، وحسن السياسة
كان شديد المؤاخذة، قليل العفو، يقتل على الذنب اليسير، فضجر أصحابه منه،

واستطاعوا أيّامه، واجمعوا على خلعه، والقبض عليه، وكان حينئذ غائبا عن جرجان
ببعض قلاعه، فلم يشعر إلا وقد أحاط العسكر به، وانتهبوا أمواله ودوابّه، وقصدوا
استنزاله، فمانع عن نفسه، فرجعوا إلى جرجان، واستولوا عليها وعصوا بها، وبعثوا إلى
ابنه منوجهر وهو بطبرسان يعِّفونه الحال، ويستدعونه ليولوه أمرهم، فسار عجلاً خوفا من
خروج الأمر عنه، فالتقوا، واتفقوا على طاعته إن هو خلع أباه، فأجابهم على كرهٍ منه،
وكان شمس المعالي قد توجّه إلى بسطام، فقصدوه، فلما وصل منوجهر إلى أبيه اجتمع به،
وخلا معه، وعرفه ما هو فيه، وعرض عليه أن يقاتل معه من خرج عليه، ولو كان فيه
ذهاب نفسه، فرأى قابوس خلاف ذلك، وسهل عليه الأمر حيث صار إلى ابنه، وسلم له
خاتم الملك، وانتقل إلى قلعته: جناشك ليتفرغ للعبادة، وسار منوجهر إلى جرجان، وضبط
الملك، واخذ في مداراة الذين خرجوا على أبيه، فدخلوا عليه في بعض الأيام وحسنوا له
قتل والده، وخوفوه، وصمموا على إعدامه، وهو لا يجيبهم بكلمة، ثم فرقوه وجاءوا إلى
أبيه، وقد دخل الطهارة، وهو متخفف، فأخذوا ما كان عليه من الكسوة، وكان فصل
الشتاء، فصار يستغيث ويقول: أعطوني، ولو جلَّ دابة حتى مات من شدة البرد، وجلس
ولده منوجهر للعزاء
وكان قابوس غزير الأدب، وافر العلم، له رسائل، وشعر حسن.
وكان عالما بالنجوم.
قال: ولما ملك منوجهر لقبه الخليفة القادر بالله ملك المعالي، ثم أرسل يمين الدولة محمود بن
سبكتكين، ودخل في طاعته،
وخطب له سائر منابر بلاده، وتزوج ابنته، فقوي عضده به، وشرع منوجهر ف التدبير
على قتله أبيه، فأبادهم بالقتل والتَّشريد.واستمر في الملك إلى سنة عشرين وأربعمائة، فتوفي
فيها، فكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة.
ولما مات ملك بعده ابنه.
ملك أنوشروان
داره بن ملك المعالي منوجهر ابن قابوس شمس المعالي
وهو السابع من ملوك الدولة الديلمية الجيلية ملك بعد وفاة أبيه منوجهر في سنة عشرين

وأربعمائة، وقام بتدبير دولته أبو كالجار القوهي، وتقدم على جيشه، وتزوج بأمه، ثم قبض
عليه أنو شروان بعد ذلك بمساعدة أمه، فلما قبض عليه طمع فيه السلطان طغرلبك
السلجقي، فسار إلى جرجان في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ومعه مرداويج بن بسو،
ونازلها، فلم يمانعه أهلها، وفتح له أبوابها، وقرر على أهلها مائة ألف دينار صلحاً، وسلمّها
إلى مرداويج، وقرر عليها في كل سنة خمسين ألف دينار عن جميع الأعمال، ثم اصطلح أنو
شروان ومرداويج، وتزوج بأم أنو شروان، وضمن له أنو شروان في كل سنة ثلاثين ألف دينار،
وبقي أنو شروان يتصرف بأمر مرداويج لا يخالفه في شيء، وأقيمت الخطبة لطغرلبك.
وانقرضت الدولة الديلمية الجيلية، وكانت مدة هذه الدولة منذ أسفار بن شيرويه. في سنة
ست عشرة وثلاثمائة، وإلى أن استولى طغرلبك على جرجان في سنة ثلاث وثلاثين
وأربعمائة، مائة سنة وثمان عشرة سنة تقريبا، وعدة من ملك منهم سبعة ملوك، وهم:
أسفار بن شيرويه، ثم مرداويج بن زياد، ثم وشمكير بن زياد، ثم ظهير الدولة بهشيتون بن
وشمكير، ثم شمس المعالي قابوس ابن وشمكير، ثم ملك المعالي منوجهر قابوس، ثم ابنه أنو
شروان دارا. وعليه انقرضت دولتهم. والله أعلم بالصواب.
الدولة الغزنويه
كان ابتداء هذه الدولة بغزنة في سنة ست وستين وثلاثمائة، ثم استولت على خراسان،
والغور، والهند، وغير ذلك، وأول من قام منهم سبكتكين، ونحن نذكر أخباره، وابتداء أمره
إلى أن ملك بعده من أولاده، وأولادهم، إلى حين انقراض دولتهم.
أخبار سبكتكين
وابتداء أمره وماكان منه إلى أن ملك
كان سبكتكين من غلمان أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية، وكان
مقدما عنده، وعليه مدار أمره، وقدم إلى بخارى أيام الأمير منصور بن نوح مع أبى إسحاق،
فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الرأي، وعاد معه إلى غزنة، ثم لم يلبث أبو
إسحاق أن توفي، ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح المتقدم، فأجمع أصحابه رأيهم على

سبكتكين، فقدموه عليهم، وولُّوه أمرهم، وحلفوا له وأطاعوه، فأحسن السيرة فيهم،
وساس أمورهم، وجعل نفسه كأحدهم في الحال والمال، وكان يدخر من إقطاعه ما يعمل
منه طعاما لهم في كل أسبوع مرتين. فعظم شأنه، وارتفع قدره، وحسن ذكره، وتعلقت
الأطماع بالاستعانة به.

ولايته قصدار وبست

كان سبب ذلك أن طغان خان صاحب بست خرج عليه أمير يعرف ببابي تور، فملك
مدينة بست منه. وأجلاه عنها بعد حرب شديدة، فاستغاث بسبكتكين، والتزم بمال يحمله
إليه في كل سنة، وطاعة يبذلها، فسار معه، ونزل على بست، وقاتل الخارج على طغان
قتالا شديدا، وهزمه، وتسلم طغان البلد، فلما استقر فيه طالبه سبكتكين بما استقر عليه،
فأخذ يماطله، فأغلظ له في القول لكثرة مطله، فحمل طغان الجهل على أن ضرب سبكتكين
وحجز العسكر بينهما، وقامت الحرب بينهما على ساق، فانهزم طغان، واستولى
سبكتكين على بست، وسار طغان إلى قصدار وكان يتولاها أيضا فعصى بها، واستعصم،
وظن أن ذلك بمنعه من سبكتكين، فسار إليه جريدة، فلم يشعر إلا والخيل معه، فأخذه من
داره ثم منَّ عليه، وأطلقه، ورده إلى ولايته، وقرر عليه مالاً يحمله في كل سنة.

غزوه الهند

وما كان بينه وبينهم

قال: ولما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند، فافتتح قالعا حصينة على شواهق
الجبال، وعاد سالما ظافرا، فلما رأى جيبال ملك الهند ما دهاه منه حشد، وجمع،
واستكثر من الفيلة، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين، فسار سبكتكين من غزنه
بعساكره، وتبعه خلق كثير من المتطوعه، والتقوا واقتتلوا أياما كثيرة، وكانوا بالقرب من عقبة
عورك، فلما طال الأمر على ملك الهند طلب الصلح، وقرر على نفسه مالاً يؤديه
لسبكتكين وخمسين فيلا وبلاداً يسلمها، فجهل المال والفيلة، وأعطى جماعة من أهله رهائن
على البلاد، وسيَّر معه سبكتكين من يتسلَّمها. فلما أبعد ملك الهند قبض على من معه

من أصحاب سبكتكين، وجعلهم عنده عوضاً عن رهائنه، فلما اتصل ذلك بسبكتكين،
جمع العساكر وسار نحوه، وأخرب كل ما مرَّ عليه من بلاد الهند، وقصد لمغان، وهي
أحصن بلادهم، فافتتحها عنوة، وهدم بيوت الأصنام، وأقام فيها شعائر الإسلام، وسار
عنها يفتح البلاد، ويقتل أهلها، فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة، فجمع جيبال ملك الهند
العساكر، وسار في مائة ألف مقاتل، ولقيه سبكتكين، وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع
الهنود، ففعلوا ذلك حتى ضجر الهند من دوام القتال، وحملوا حملة واحدة، واشتد القتال،
فانجلت الحرب عن هزيمة الهنود، وأخذهم بالسيف، وأسر منهم خلق كثير، وغنم من
أموالهم، وأثقالهم، ودوابهم مالا يحصى كثرة، فذلَّ الهنود بعد هذه الوقعة، وأطاع
سبكتكين الأفغانية والخلج ودخلوا تحت أمره وطاعته، فعظمت هيبته، واتسعت مملكته.

ملكه خراسان

قال: وفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة كانت ولاية محمود بن سبكتكين خراسان من قبل الأمير
نوح بن منصور الساماني عوضا عن أبي علي بن سيمجور، ولقَّبه الأمير نوح سيف الدولة،
ولقَّب سبكتكين ناصر الدولة، وأقام محمود بنيسابور، فانهزم محمود، ثم جمع عساكره
وعساكر أبيه، فأخرجا بن سيمجور عنها في بقية السنة، واستقر ملك محمود بخراسان
على ما قدمناه في أخبار الدولة السامانية.

وفاه ناصر الدولة
سبكتكين وولاية ولده اسماعيل

كانت وفاته رحمه الله في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائه، وكان إذ ذاك ببلخ، وقد جعلها
مقر ملكه، وابتنى بها دورا ومساكن، فمرض وطال مرضه، فارتاح إلى هواء غزنة، فسار
عن بلخ، فمات في طريقه، ونقل إلى غزنة، فدفن بها. وكانت مدة ملكه نحوا من عشري
سنة، وكان عادلاً خيِّراً،ة كثير الجهاد، حسن الاعتقاد، فاضلاً عارفاً، له نظم ونثر وخطب
في بعض الجمع، وكان يقول بعد الدعاء للخليفة: رب قد آتيتني من الملك، وعلمتني من تأويل
الأحاديث، فاطر السموات والأرض أنت ولِّي في الدنيا والآخرة، توفَّني مسلماً، وألحقني

بالصالحين.
ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل بالملك، وكان أصغر من أخيه محمود، فبايعه
الجند بعد وفاة أبيه، وحلفوا له، فأطلق لهم الأموال، ثم استصغروه، فاشتطّوا في الطلب
حتى فنيت الخزائن التي خلفها سبكتكين. ثم استولى محمود على الملك فكانت مدة ملك
اسماعيل سبعة أشهر.

سلطنة يمين الدولة
محمود بن سبكتكين

وهو الثالث من ملوكها. وهو أول من تلقب بالسلطان، ولم يتلقب بها أحد قبله
قال: ولما بلغه خبر وفاة والده كان بنيسابور، فجلي للعزاء، ثم أرسل إلى أخيه إسماعيل
يعزِّيه، ويعرفه أن أباه إنما عهد إليه بالملك لبعده عنه، ويذكر له ما يتعيَّن من تقديم الكبير،
وطلب منه الوفاق، وإنفاذ ما يخصه من ميراث أبيع، فلم يفعل. وترددت الرسائل بينهما،
فلم تستقر قاعدة، فسار محمود عن نيسابور إلى هراة عازما على قصد غزنة، واجتمع بعمه
بغراجق، فساعده على إسماعيل، وسار إلى بست، وبها أخوه نصر، فتبعه، وأعانه، وسار
إلى غزنة، وبلغ الخبر إسماعيل وهو ببلخ، فسار عنها مجدّاً فسبق أخاه محموداً إلى غزنة،
وكان الأمراء الذين مع إسماعيل قد كاتبوا أخاه محموداً يستدعونه، ووعدوه الانحياز إليه
فجد في السير، والتقى هو وإسماعيل بظاهر غزنه، واقتتلا قتالا شديداً، فانهزم إسماعيل،
واعتصم بقلعة غزنة، فحصروه أخوه محمود، واستنزله منها بأمان، لما نزل إليه أكرمه،
وأحسن إليه، وشاركه في ملكه، وعاد إلى بلخ، واستقامت له الممالك، وعظم شأنه،
وأطاعته العساكر.

استيلاء محمود على خراسان
وانتزعها من السامانية

كان سبب ذلك أن فايقا وبكنوزون مدبري دولة الأمير منصور ابن نوح قبضا عليه، وسماه
كما قدمنا ذكر ذلك في أخبار السامانية، فسار السلطان محمود نحوهما، والتقوا بمرو في
جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، واقتتلوا قتالاً شديدا، فانهزم السامانية، فلحق

عبد الملك، وفايق ببخارى، وقصد بكتوزون نيسابور، ثم قصد نواحي جرجان، فأرسل
محمود خلفه أرسلان الجاذب، فاتبعه حتى ألحقه بجرجان، وعاد، فاستخلفه محمود على
طوس، وسار إلى هراة،فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد إليها وملكها،
فقصده محمود، فهرب منه إلى بخارى بعد أن نهب مرو على طريقه، واستقر ملك محمود
بخراسان، وزال هذا التاريخ للطائع بعد خلعه،وولي محمود قيادة جيوش خراسان أخاه
نصرا، وجعله بنيسابور، وسار هو إلى بلخ، وهي مستقر ملك أبيه، واتخذها دار
ملك،واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته كآل قريغون أصحاب الجوزجان.
وكالشار الساه صاحب غرشستان، والشار: لقب امن ملك غرشستان ككسري الفرس،
وقيصر الروم. وفي سنة تسعين وثلاثمائة قتل بغراجق عم يمين الدولة؛ قتله طاهر بن خلف
بن احمد صاحب سجستان في حرب بينهما، فسار يمين الدولة نحو خلف بن احمد أبو
طاهر، فتحصن منه بحصن أصهنه، فحاصره، وضيق عليه، فبذل الأموال، فأجابه إلى ما
طلب، وأخذ رهائنه على ما تقرر من المال. والله أعلم بالصواب.

غزوة الهند

وفي المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة أحب يمين الدولة أن يغزو الهند ويجعل ذلك كفارةً
لقتاله مع المسلمين، فسار ونزل على مدينة برشور، والتقى هو وجيبال ملك الهند، واقتتلوا
إلى نصف النهار، فانهزم الهند، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر ملكهم جيبال وجماعة
كثيرة من أهله وعشيرته، وغنم المسلمون أموالهم وجواهرهم، وأخذ من عنق جيبال
قلادة من الجوهر قومت بمائتي ألف دينار، واخذ أمثالها من أعناق مقدميه الأسرى، وغنم
المسلمون خمسمائة ألف من الرقيق، وفتح كثيراً من بلاد الهند، ثم احب أن يطلق جيبالا
ليراه الهنود في شعار الذل، فأطلقه على مال قرره عليه، فأدى جيبال المال، ومن عادة
الهنود أنه من حصل منهم في أيدي المسلمين أسيراً لم يعقد له بعدها رئاسة، فلما رأى
جيبال حاله بعد خلاصه حلق رأسه وألقى نفسه في النار فاحترق

ثم سار محمود نحو ويهند، فحاصرها، وأخذها عنوة، ثم بلغه أن طائفة من الهند
اجتمعوا في شعاب تلك الجبال، فجهز إليهم من عساكره من قتلهم، فلم يسلم منهم إلا
الشريد، وعاد إلى غزنة مؤيدا منصورا سالماً ظافرا.
ملكه سجستان
وفي سنة تسعين وثلاثمائة ملك يمين الدولة سجستان، وانتزعها من خلف ابن محمد؛ وكان
سبب ذلك أن يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد مصالحته على المال كما قدمناه عهد
خلف لولده طاهر، وسلم إليه مملكته، وانقطع للاشتغال بالعالم، وإنما فعل ذلك ليظهر ليمين
الدولة تخلّية عن الملك لينقطع طمعه عن بلاده، فعقَّه ولده، واستقلَّ بالملك فأخذ أبوه
بلاطفه، وادعى المرض، فزره ابنه طاهر، فقبض عليه، وسجنه إلى أن مات في سجنه،
فتغير العسكر لذلك، وكاتبوا يمين الدولة في تسليم سجستان إليه، فجهّز من تسلمها، وقصد
خافاً، وهو في حصن الطاق، وهذا الحصن له سبعة أسوار محكمة يحيط بها خندق
عريض لا يغبر إليها إلا من جسر منه، فرفع الجسر بأمر يمين الدولة بطم الخندق بالأخشاب
والتراب، فطموا منه ما يعبرون عليه إلى السور، وتقدم الفيل الكبير إلى باب السور واقتلعه
بنابيه، وملك سورا بعد سور، فطلب خلُف الأمان، فأمنه وحضر إليه، فأكرمه، وملك
الحصن، وخير خلفاً في المقام حيث شاء، فاختار أرض الجوزجان، فسيره إليها مكرما،
فأقام نحو أربع سنين، ثم بلغ يمين الدولة أنه كاذب إيلك خان ملك ما وراء النهر يحثه على
قصد يمين الدولة، فنقله إلى جرذين، فكان بها إلى أن مات في شهر رجب سنة تسع
وتسعين وثلاثمائة، فسلم محمود جميع ما خلفه إلى ولده أبي حفص، وكان خلف ها من
العلماء، وله كتاب صنفه في تفسير القرآن العظيم من أكبر كتب التفاسير. وقال: ولما ملك
يمين الدولة سجستان استخلف عليها أميراً كبيراً من أمرائه يسمى قنجى الحاجب، ثم
اقطعها لأخيه نصر بن سبكتكين مضافة إلى نيسابور.
والله اعلم.
غزوه بهاطية وملكها

وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا يمين الدولة بهاطيه من أعمال الهند، وهي وراء
المولتان، وصاحبها بجراء. وهي مدينة حصينة عالية السور يحيطها خندق عميق، فامتنع
صاحبها، ثم ظهر، فقاتل ثلاثة أيلام، وانهزم في اليوم الرابع، وقصد المدينة، فسبقه المسلمون
إلى بابها، وملكوها، فهرب بخاصته إلى رءوس الجبال، فجهز إليه يمين الدولة من يقاتله، فلما
رأى الغلبة قتل نفسه بخنجر، وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أحوالها، وعاد عنها
بعد أن ترك بها من يثق به، ومن يعلَّم من أسلم شرائع الإسلام، ولقي في عوده شدة كثيرة
من كثرة الأمطار، وزيادة الأنهار، وغرق من عسكره خلق كثير.

غزوة المولتان

وفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة بلغ يمين الدولة أن أبا الفتوح والي المولتان خبث اعتقاده،
ونسب إلى الإلحاد، وأنه دعا أهل ولايته إلى ذلك، فأجابوه، فرأى أن يغزوه، فسار نحوه،
فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة لا سيما سيحون فأرسل إلى آنندیال عظيم الهند
يطلب إذنه في العبور ببلاده إلى المولتان، فلم يجب إلى ذلك، فابتدأ محمود به، وجاس خلال
بلاده، وأكثر فيها النهب والقتل والإحراق، ففر آنندیال بين يديه، وتبعه إلى أن وصل إلى
قشمير، فلما سمع أبو الفتح بمقدم يمين الدولة علم العجز عنه، فنقل أمواله إلى سرنديب،
وأخلى المولتان، فوصل يمين الدولة إليها، وملكها عنوة، وألزم أهلها بعشرين ألف درهم
عقوبة لعصيانهم

غزوة كواكير

قال: ثم سار إلى قلعة كواكير، وكان صاحبها يعرف ببيدا، وكان بها ستمائة صنم
فافتتحها، وحرق الأصنام، فهرب صاحبها إلى قلعته المعروفة بكالنجار، فسار خلفه إليها،
وهي حصن عظيم يسع خمسمائة إلف إنسان، وفيه خمسمائة فيل، وعشرون ألف دابة،
وفيه من الأقوات ما يكفي الجميع مدة، فلما صار منه على سبعة فراسخ رأى من الغياض
ما يمنعه عن سلوك الطريق، فأمر بقطعها،فقطعت، ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد
القعر، فأمر أن يطم بالجلود المملوءة بالتراب فطموه، ووصلوا القلعة، فحاصرها ثلاثة وأربعين

يوما، فراسله صاحبها في الصلح، فامتنع عليه، ثم بلغه عن خراسان اختلاف بسبب قصد
إيلك خان، فصالحه على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منّ من الفضة، ولبس خلعة يمين الدولة
بعد أن استعفى من شد المنطقة، فلم يعفه، وشدها، وقطع خنصره، وأنفذها ليمين الدولة،
توثقه فيما يعتقدونه على عادة الهنود، وعاد يمين الدولة إلى خراسان.

عبور عسكر ايلك خان إلى خراسان

كان يمين الدولة لما ملك خراسان من السامانية، وملك إيلك خان ماوراء النهر منهم
تراسلا، وتوافقا، وتزوج يمين الدولة أبنة إيلك خان وانعقدت بينهما مصاهرة ومصالحة، فلم
تزل السعادة حتى أفسدوا ذات بينهما، وكتم إيلك خان ما في نفسه، فلما سار يمين الدولة
إلى المولتان اغتنم إيلك خان غيبته عن البلاد، فسير سباشي تكين صاحب جيشه إلى
خراسان، وذلك في سنة ست وتسعين وثلاثمائة في معظم جنده، وجهز أخاه جعفر تكين
إلى بلخ في عدة من الأمراء، وكان يمين الدولة قد جعل بهراة أميراً من أمرائه يقال له أرسلان:
الجاذب، وأمره إذا ظهر عليه مخالف ينحاز إلى غزنة، فلما عبر سباشي تكين غلى
خراسان سار أرسلان إلى غزنة، وملك سباشي هراه، وأرسل إلى نيسابور من استولى
عليها، فوصلت الأخبار يمين الدولة وهو بالهند، فعاد لا يلوي على شيء، فلما قارب غزنة
فرق الأموال في عساكره، وقواهم، واستنفر الأتراك الخلجيه، فجاءه منهم خلق كثير، فسار
بهم إلى نحو بلخ، وبها جعفر تكين أخو إيلك خان، فعبر إلى ترمذوونزل نحو مرو ليعبر النهر،
فقاتله التركمان، فهزمهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم سار نحو أبيورد، فتبعه عسكر يمين
الدولة، فوصل إلى جرجان، فأخرج عنها، ثم عاد إلى خراسان، فعارضة يمين الدولة،
فمنعه من قصده وأسرا أخو سباشي تكين، وجماعة من قواده، ونجا هو في بعض
أصحابه، فعبر النهر، وانهزم من كان ببلخ مع جعفر تكين، وتسلم يمين الدولة خراسان.

انهزام ايلك خان من يمين الدولة

قال: ولما اخرج يمين الدولة عساكر إيلك خان من خراسان راسل إيلك خان قدرخان ابن

بغراخان ملك أتختن لقرابة بينهما، واستعان به، فاستنفر الترك من أقاصي بلادها، وسا
نحو خراسان، واجتمع هو وآيك خان فعبرا النهر، واتصل خبرهم بيمين الدولة، وهو
بطخارستان، فسبقهما إلى بلخ، واستعد للحرب، وجمع الترك الغزية والخلج والهند
والأفغانية والغزنوية، وخرج عن بلخ، فعسكر على فرسخين منها بمكان فسيح، وقدم إيلك
خان، وقدر خان في عساكرهما، ونزلوا بإزائه، واقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل، فلما كان الغد
برز بعضهم لبعض، فاقتتلوا، فاعتزل يمين الدولة على نشر مرتفع ينظر إلى الحرب، ونزل عن
دابته، وعفرَّ وجهه على الصعيد تواضعا لله تعالى، وسأل النصر والظفر، ثم حمل بفيلته
على قلب عسكر إيلك خان، فأزاله عن مكانه ووقعت الهزيمة، وتبعهم أصحاب يمين
الدولة يقتلون، ويأسرون، ويغنمون، إلى أن عبروا النهر. وأكثر الشعراء القول في تهنئة يمين
الدولة بهذا الفتح، وذلك في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

غزوه الهند وعوده

قال: ولما فرغ يمين الدولة من حرب الترك بلغه أن بعض أولاد ملوك الهند وأسمه نواسد
شاه، وكان قد اسلم على يد يمين الدولة، واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم ارتد
عن الإسلام، وعاد إلا الكفر، فسار إليه مجدا، فحين بلغ الهندي قربه فر من بن يديه،
واستعاد يمين الدولة البلاد، واستخلف عليها بعض أصحابه، وعاد إلى غزنة في السنة
المذكورة.

غزوة بهيم نغز

وما غنمه من الأموال وغيرها

وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة استعد يمين الدولة لغزو الهند وسار في شهر ربيع الآخر من
السنة، فانتهى إلى شاطئ نهر ويهند، فلاقاه هناك ابرهمن نال بن آنندیال في جيوش الهند،
فاقتتلوا مليا في النهار، وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم كان الظفر للمسلمين، فانهزم الهند
على أعقابهم، وأخذهم السيف، وتبع يمين الدولة الملك حتى بلغ بهيم نغر، وهي على
جبال عال كان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم، فينقلون إليها أنواع الذخائر قرنا

بعد قرن، وهم يرون ذلك تقربا لآلهتهم وعبادة، فقاتلهم عليها، وحصرها، ووالي الحصار،
فلما رأى الهنود كثرة جموعه، وشدة قتاله جبنوا، وطلبوا الأمان، وفتحوا باب الحصن،
فملكه المسلون، فصعد يمين الدولة إليه في خواص أصحابه وثقاته، فأخذ من الجواهر ما لا
يحدّ، ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية، ومن الأواني الذهب والفضة سبعمائة
ألف وأربعمائة منّ. وكان في الحصن بيت مملوء من الفضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه
خمسة عشر ذراعا، فأخذ جميع ما فيه إلى غير ذلك من الأمتعة، وعاد إلى غزنة بهذه
الغنائم، ففرش الجواهر في صحن داره، وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك، فشاهدوا ما لم
يسمعوا مثله.
وفي سنة أربعمائة غزا يمين الدولة الهند وأحرقها، واستباح، ونكس أصنامها، فلما رأى
ملك الهند انه لا قوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه إليه وخمسين فيلا، وأن
يكون له في خدمة يمين الدولة ألفا فارس لا يزالون، فقبض ذلك منه، وصالحه، وعاد إلى
غزنة.

غزوة بلاد الغور
واستيلائه عليها

وبلاد الغور تجاور غزنة، وهي جبال منيعة، ومضايق، وكان أهلها قد كثر فسادهم،
وتعديهم يقطعون الطريق ويخيفون السبيل، فأنف يمين الدولة من ذلك، فسار إليهم في سنة
إحدى وأربعمائة، وقاتلهم أشد قتال، ثم سار إلى عظيم الغورية آلاف مقاتل، فقاتلهم إلى أن
أنتصف النهار، فأمر يمين الدولة أن ينهزم المسلمون، فانهزموا وتبعهم ابن سوري حتى
أبعدوا عن المدينة، ثم عطف المسلمون على الغوريه، ووضعوا فيهم السيف، وملك
المدينة، وأسر بن سوري، فشرب سماً كان معه، فمات، وأظهر يمين الدولة شعائر الإسلام في
بلاد الغور، وجعل عندهم من يعلمهم شعائر الإسلام وشرائعهم.
ثم سار إلى طائفة أخرى
من الكفار، فقطع مفازة رمل، ولحق عساكره عطش عظيم حتى كادوا يهلكون بسببه،
فأرسل الله تعالى عليهم مطرا سقاهم، وسهل عليهم سلوك الرمل، فوصلوا إلى الكفار

ومعهم ستمائة فيل، فقاتلهم أشد قتال كان الظفر فيه لمسلمين، وانهزم الكفار، واخذ غنائمهم وعاد سالما.

ملكه قصدار

وفي سنة اثنتين وأربعمائة ملك يمين الدولة قصدار. وسبب ذلك أن ملكها كان قد صالحه على قطيعة ف كل سنة يؤديها إلا يمين الدولة، ثم قطعها اغترار بحصانة بلده، وكثرة المضايق في الطريق إليه، واحتمى بأيلك خان، وكان يمين الدولة إذا قصد المسر إليه رجع عن ذلك إبقاءً لمودة إيلك خان، فلما فسد ما بينهما سار إليها في جمادى الأول من السنة، فسبق خبره، فلم يشعر صاحبها إلا وعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلا، فطلب الأمان، فأجابه غليه، وأخذ منه ما كان قد اجتمع عنده من المال، وأقره على ولايته وعاد. وفي سنة ثلاث وأربعمائة كانت وفاة إيلك خان، وولاية أخيه طغان حان، وكان قد تجهز للعود إلى خراسان لقتال يمين الدولة. فلما مات طغان خان راسل يمين الدولة، وتصالحا، واتفقا أن كلا منهما يستقل بغزو من يليه من الكفار، فكان يمين الدولة يقاتل الهند، وطغان حان يقاتل الكفار.

فتح نادرين

وفي سنة أربع وأربعمائة سار يمين الدولة إلى الهند، فسار شهرين حتى قارب مقصده، فسمع عظيم الهندبه فجمع، وبرز إلى جبل صعب المرتقي فاحتمى به، وطال المسلمين، وكتب إلى الهنود، فاجتمع إليه كل من حمل السلاح، فلنا تكاملت عدته نزل من الجبل والتقوا، واقتتلوا، واشتد القتال، فهزمهم المسلمون، وأكثروا فيهم القتل، وغنموا ما معهم من مال وفيلة وسلاح. ولما عاد إلى غزنة أرسل إلى القادر بالله يطلب منه منشورا وعهداً بولاية خراسان وما بيده من الممالك، فكتب له ولقب نظام الدين.

غزوة تانيشر

قال: وذكر ليمين الدولة أن بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصليمان الموصوفة بالحرب، وأن صاحبها غال في الكفر، فعزم على غزوه، فسار في سنة خمس وأربعمائة، فلقي في

طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك، وقفارا فسيحة الأطراف قليلة المياه، فقاسي شدة،
ومشقة عظيمة، فلما قارب المقصد لقي نهراً شديد الجرية صعب المخاضة، وقد وقف
صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التي كان يدلّ لها، فأمر
يمين الدولة شجعان عساكره بعبور النهر، ففعلوا ذلك، وشغل الهنود بالقتال عن حفظ النهر،
فما كان إلا وقد عبر سائر العسكر، وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم
الهنود، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والفيلة، وعاد إلى غزنة.

قتل خوارزم شاه
وملك يمين الدولة خوارزم

وفي سنة سبع وأربعمائة قتل خوارزم شاه أبو العباس مأمون بن مأمون. وسبب ذلك انه
كان قد ملك خوارزم الجرجانية، وحضر عند يمين الدولة، وتزوج أخته، ثم بعث إليه يمين
الدولة أم يخطب له على منابر بلاده، فأجابه إلا ذلك، واستشار أمراءه، فغضبوا من ذلك،
وامتنعوا منه، وتهددوه بالقتل إن فعل، فعاد الرسول إلى يمين الدولة، وأخبره بما شاهده، ثم
خافه الأمراء فقتلوه غيلة، ولم يعلم قاتله، وأجلسوا أحد أولاده مكانه، وتعاهدوا على قتال
يمين الدولة إن قصدهم، واتصل الخبر به، فجمع العساكر، وسار نحوهم والتقوا، واشتدت
الحرب، فثبت الخوارزمية إلا نصف النهار ثم انهزموا، فأخذهم بالسيف، ولم يبق منهم إلا
القليل، وجمع من اسر منهم وسيرهم إلى أطراف بلاده الهند، وملك يمين الدولة خوارزم،
واستناب بها حاجبه التونتاش.

غزوة قشمير وقنوج
وغيرهما من الهند

وفي سنة سبع وأربعمائة أيضا بعد فراغ يمين الدولة من خوارزم سار إلى غزنة، ثم منها إلا
الهند عازما على غزو قشمير، واجتمع له من المتطوعة من بلاد ما وراء النهر وغيره نحو
عشرين ألف مقاتل، وسار من غزنة إليها مسيراً دائما في ثلاثة أشهر، وعبر نهر سيحون،
وجيلم، وهما نهران عميقان شديدا الجرية، ووطئ أرض الهند، وأتته رسل ملوكها بالطاعة،

وبذل الإتاوة، فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسم من شهر رجب، وفتح ما خولها من
الحصون المنيعة، حتى بلغ حصن هودب، وهو أحد ملوك الهند فنظر هودب من أعلى
حصنه، فرأى من العساكر ما هاله، فعلم أن لا ينجيه إلا الإسلام، فنزل في نحو عشرة آلاف
ينادون بكلمة واحدة الإخلاص، فاقبل عليه يمين الدولة وأكرمه وسار عنه إلى قلعة كلجند،
وهو من أعيان الهند، وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا
بمشقة، فسير كلجند عساكره وفيلته إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها، فترك
يمسن الدولة عليهم من يقاتلهم، وسلك طريقا مختصرا إلا الحصن، فلم يشعروا به إلا وهو
معهم، فقاتلهم قتالا شديدا، فانهزموا وأخذهم بالسيف من ورائهم، ولقوا نهرا عميقا،
فاقتحموه، فغرق أكثرهم، فكان القتلى والغرق قريبا من خمسين ألفا. وعمد كلجند غلا
زوجته، فقتلها ثم قتل نفسه، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه، ثم سار نحو بيت
متعبد لهم وهو مهرَّة بالهند، وهو من أحصن الأبنية علة نهر، ولهم فيه كثير من الأصنام
من جملتها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجوهر زنتها ستمائة ألف وسبعون
ألف وثلاثمائة مثقال، وبه من الأصنام المصنوعة من الفضة نحو مائتي صنم، فأخذ يمين
الدولة جميع ذلك، وأحرق الباقي، وسار نحو قنَّوج وصاحبها جيبال،فوصل إليها في عبن،
فرأى صاحبها قد فارقها وعبر النهر المعروف نهر كنك، وهو نهر شريف معظم عندهم
وتقدّم خبره في باب الأنهار فأخذها يمن الدولة وسائر قالعها وأعمالها وهي على نهر
المذكور أنها عملت من مائتي ألف إلى ثلاثمائة ألف سنة كذبا منهم. ولما افتتحها أباحها
عسكره. ثم سار إلى قلعة البراهمة، فقتلهم فتثبتوا واستسلموا للقتل، فقتلوا، ولم ينج منهم
إلا القليل. ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها جندياك، فلما قاربها هرب صاحبها،
فأخذها يمين الدولة بما فيها، ثم سار إلا قلعة شروه وصاحبها جنداري، فلما قاربه نقل ما
له وفيلته إلى جبال هناك منيعة، فنازل يمين الدولة حصنه وافتتحه، وغنم ما فيه وسار في

طلب جنداري جريدة، فلحقه في آخر شعبان فقاتله، وقتل رجاله، وأسر كثيرا منهم،
وغنم ما معه من مال وفيلة، ونجا جذاري في نفر يسير من أصحابه. ثم عاد يمين الدولة
إلى غزنة، فبنى بها الجامع الذي لم يسمع بمثله، وأنفق ما غنم في هذه الغزوة على بنائه.
والله أعلم بالصواب.
أخبار الخانية
بما وراء النهر والأتراك
وفي سنة ثمان وأربعمائة خرج الترك من الصين، وسبب ذلك أن طغان خان مرض مرضا
شديدا، وطال به المرض، فطمعوا في البلاد، وساروا من الصين في عدد يزيد عن ثلاثمائة
ألف خركاه من أجناس الترك منهم الخطا الذين ملكوا ما وراء النهر، فساروا إلى أن قربوا
من بلاد ساغون، ويبقى بينهم وبينها ثمانية أيام واستولوا على أطراف البلاد، فسأل طغان
خان الله تعالى أن يعافيه لينتقم منهم، ويحمي البلاد، ثم يفعل به ما يشاء، فعافاه الله تعالى،
فجمع العساكر واستنفر جميع بلاد الإسلام، فاجتمع له من المتطوعة مائة ألف وعشرون
ألف مقاتل، فلما بلغ الترك ذلك رجعوا، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر، فأدركهم وهم آمنون،
فكسبهم، وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل وأسر نحو مائة ألف، وغنم من الدواب،
والخركاهات، والأواني الذهبية والفضية، ومعمول الصين مالا عهد بمثله، وعاد إلى
بلاساغون، فعادوه المرض، فمات رحمه الله تعالى. وكان عادلا خيرّا دنيا يحب العلم
وأهله، ويميل لأهل الدين، ويصلهم ويقربهم.
ولما مات ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان، ولقبه شرف الدولة، فخالف عليه قدر
خان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان، وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند،
وكاتب يمين الدولة يستنجده على أرسلان، فعقد يمين الدولة على نهر جيحون جسرا من
السفن، وضبطه بالسلاسل وعبر عليه، ولم تكن تعرف الجسور قبل ذلك هناك، فلما عبر
النهر اتفق قدرخان وأرسلان خان وتعاقدا على قصد بلاد يمين الدولة واقتسمها، فعاد يمين
الدولة إلى بلاده، وسار قدرخان وأرسلان خان إلى بلخ والتقوا بيمين الدولة واقتتلوا قتالاً

شديدا كان الظفر فيه ليمين الدولة عليهما، فعادا وعبرا جيحون، وكان من غرق منهم أكثر
ممن نجا.
قدرخان وأولاده
كان قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان عادلاً حسن السيرة كثير الجهاد،
فمن فتوحه ختن، وهي بلاد بين الصين وتركستان، كثيرة العلماء والفضلاء واستمر إلى سنة
ثلاث وعشرين وأربعمائة، فتوفي. وكان يديم الصلاة في الجماعة. ولما توفي ملك أولاده بعده،
واقتسموا البلاد، فملك أبو شجاع أرسلان خان، ولقبه شرف الدولة، كاشغر، وختن،
وبلاساغون. وخطب له على منابرها. قبل: ولم يشرب الخمر قط. وكانّ ديناً مكرماً
للعلماء وأهل الدين يقصدونه من كل جهة، ويصلهم ويحسن إليهم.
وملك بغراخان بن قدرخان طراز وأسبيجاب فقصد أخاه أرسلان خان وحاربه، وأسره
وحبسه إلى أن مات. وملك بلاده، ثم عهد بغراخان بن قدرخان بالملك لولده الأكبر واسمه
حسين جغرتكين. وكان لبغراخان امرأة له منها ولدٌ صغير، فغاظها ذلك فسمّت بغراخان،
فمات هو وعدّة من أهله، وخنقت أخاه أرسلان خان بن قدرخان، وذلك في سنة تسع
وثلاثين وأربعمائة، وقتلت وجوه أصحابه، وملّكت ابنها واسمه إبراهيم، وسيرّته في جيش
إلى مدينة برسخان، وصاحبها ينالتكين، فظفر به ينالتكين وقتله، وانهزم عسكره إلى أمه
واختلف أولاد بغراخان، فقصدهم طفغاج خان.
طفغاج خان وولده
هو أبو المظفر إبراهيم بن نصر بن إيلك، ويلقب عماد الدولة، كان بيده سمرقند وفرغانه،
وكان أبوه زاهدا متعبداً، وهو الذي ملك سمرقند، وورثها طفغاج هذا منه، وكان طفغاج
متديّناً لا يأخذ مالاً حتى يستعنّي العلماء، وورد عليه أبو شجاع العلوي الواعظ. وكان
من الزهّاد، فوعظه، وقال: إنك لا تصلح للملك، فأغلق طفغاج بابه، وعزم على ترك الملك،
فاجتمع عليه أهل البلد، وقالوا: قد أخطأ الواعظ، والقيام بأمورنا متعيّن عليك، ففتح بابه،
واستمر في الملك إلى سنة ستّين وأربعمائة، ففلج، ثم مات. وكان في حياته قد جعل الملك

في ولده شمس الملك نصر، فقصده أخوه طغان خان بن طفغاج، وحصره بسمرقند،
فاجتمع أهلها إلى شمس الملك، وقالوا له: إن طغان خان قد خرب ضياعنا وأفسدها، ولو
كلن غيره ساعدناك عليه، ونحن لا ندخل بينكما، فوعدهم المناجزة، وخرج من البلد
نصف الليل في خسمسمائة غلام، فكبس أخاه، وهو غير متحِّفظ فهزمه، وكان هذا
وأبوهما باق، ثم قصده هارون بن بغراخان بن قدر خان، وطغرل قراخان. وكان طفغاج
خان قد استولى على ممالكهما، فقصدا سمرقند فلم يظفرا بشيء، فصالحا شمس الملك،
وعادا فصارت الأعمال المتاخمه لنهر جيحون لشمس الملك، وأعمال الخافقة في أيديهما،
والحد بينهما خجندة. ثم مات شمس الملك، فملك بعده أخوه خضرخان، ثم مات، فملك
بعده ابنه أحمد خان، وهو الذي قبض عليه السلطان ملكشاه السلجقي، ثم أعاده إلى
ولايته، أحمد هذا هو ابن أخي تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه، وكان أحمد خان
قبيح الصورة والفعل كثير المصادرات، فنفَّر الرعية منه، وكاتبوا السلطان ملكشاه
السلجوقي، واستغاثوا به، وسألة أن يقدم عليهم ليملك بلادهم، فعبر ما وراء النهر في سنة
اثنين وثمانين وأربعمائة، وملك بخارى، وما جاورها، ثم سار إلى سمرقند، فملكها، وهرب
أحمد خان، واختفى في بيوت بعض العامة، فغمز عليه، وحمل إلى السلطان، وفي عنقه
حبل، فأكرمه السلطان، وأرسله إلى إصفهان، واستولى ملكشاه على سمرقند وبخارى،
واستعمل عليها من قبله على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة السلجقية.
ثم ملك محمود خان، وكان جدّه من ملوكهم، وكان أصمّ، فقصده طغان خان صاحب
طراز، فقتله، واستولى على الملك. واستناب بسمرقند أبا المعالي محمد بن محمد ابن زيد
العلوي البغدادي، فأقام ثلاث سنين وعصى على طغان خان،فحاصروه، وقتله معه خلقا
كثيرا، ثم خرج طغان خان إلى ترمذ يريد خراسان، فلقيه السلطان سنجر السلجقي، فظفر
به وقتله، وصار له أعمال ما وراء النهر، فاستناب بها محمد خان بن كمشتكين بن إبراهيم

بن طفغاج خان، فأخذها منه عمر خان، وملك سمرقند ثم هرب من جنده، وقصد
خوارزم، فظفر به السلطان سنجر، وولي محمد خان سمرقند، وولي محمد تكين بن طغان
تكين بخارى هؤلاء ملوك سمرقند وما والاها.
وأما كاشغر وهي مدينة تركستان، فإنها كانت لأرسلان خان بن يوسف قدر خان، ثم
صارت بعده لمحمود بغرا خان صاحب طراز والشاش خمسة عشر شهرا، ثم مات، فولى
بعده طغرا خان بن يوسف واستولى على املك، وملك بلا ساغون، وكان ملكه ستة عشر
سنة.
ثم توفي، وملك ابنه طغرل تكين فأقام شهرين، ثم أتى هارون بغراخان أخو يوسف طغرل
خان بن طفغاج بغراخان، وعبر كاشغر، وقبض على هارون، وأطاعه عسكره، وملك
كاشغر وختن، وما يتصل بها إلى بلاساغون، وأقام في الملك عشرين سنة، وتوفي في سنة
ست وتسعين وأربعمائة، فولى بعده ابنه أحمد أرسلان خان، وراسل الخليفة المستظهر بالله
يطلب منه الخلع والألقاب. فأرسل إليه ما طلب ولقبه نور الدولة، ثم صار ملك ما وراء
النهر لملوك الخطا، وانقرضت الدولة الخانية، وإنما ذكرناها في هذا الموضع لاتحادها وقربها
من الدولة الغزنوية، ولتكون أخبارهم متوالية.
نرجع إلى أخبار يمين الدولة محمود بن سبكتكين.
غزوة الهند والأفغانية
وفي سنة تسع وأربعمائة جمع يمين الدولة من الجموع ما لم يجمع قبله مثله، وسبب ها
الاهتمام أنه لما فتح قنوُّج، وهرب صاحبها منها ويلقب براي قنوج، وراي لقب لملك
ككسري، وقيصر، فلما عاد إلى غزنة أرسل بيدا عظيم ملوك الهند وقسم مملكته
كجوراهة رسلا إلى راي قنوج واسمه راجيبال يوبخه على هربه، وتسلم بلاده للمسلمين،
وطال الكلام بينهما، فآل ذلك إلى الحرب بينهما، فقتل راجيبال وأكثر جنوده، فازداد بذلك
عظمة وعتوا، وقصده بعض ملوك الهند الذين ملك يمين الدولة بلادهم، وخدموه، وصاروا
في جملة جنده، فوعدهم بإعادة ممالكهم إليهم، فاتصل ذلك بيمين الدّولة، فتجهّز للغزو،

وقصد بيدا، وسار من غزنة، وابتدأ بالأفغانية، وهو كفَّار يسكنون الجبال ويفسدون،
ويقطنون الطريق، فخرّب بلادهم، وأكثر فيهم القتل والأسر، ثم استقل في السير، وبلغ في
الهند ما لم يبلغه غيره، وعبر نهر الكنك، فلما جاوزه وجد قافلةً تزيد على ألف جمل،
فغنمها وسار، فأتاه خبر ملك من ملوك الهند، يقال له تروجينال، أنه قد سار من بين يديه
يريد بيدا ليحتمي به، فلحقه في رابع عشر شوال، فاقتتلوا عامّة نهارهم، فانهزم تروجينال
ومن معه، وكثر فيهم القتل والأسر، وغنم المسلمون أموالهم وأهليهم، وأخذوا منهم
جواهراً كثيرة، وما يزيد على مائتي فيل، وخرج ملكهم، وأرسل يطلب الأمان، فلم يؤمنه،
ولم يقع، منه بغير الإسلام، فسار ثم قتله بعض الهنود، ولما بلغ ذلك ملوك الهند تابعوا
رسلهم إلى يمين الدولة يبذلون الطاعة والإتاوة، وسار بعد الوقعة إلى بارى وهي من أحصن
البلاد، فرآها قد خلت من سكانها، فأمر بهدمها، وعشرة قلاع معها، وقتل من أهلها خلقا
كثيرا، وسار يطلب بيدا، فلحقه، وقد نزل إلى جاني نهر، وأجرى الماء بين يديه، فصار
وحلا، وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل فيه إذا أراد القتال، وكان عدة من معه ستة
وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعمائة وثمانين ألف راجل وأربعين فيلا، فأرسل يمين
الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج إليهم بيدا مثلهم، ولم يزل كل عسكر يمدُّ أصحابه
حتى كثر الجمعان، واشتدت الحرب، ودام القتال حتى حجز بينهما الليل، فلما كان الغد
بكر يمين الدّولة للقتال، فرآهم قد فارقوا موضعهم، وانهزموا، وركب كل فرقة منهم طريقاً،
ووجدوا خزائن الأموال والسلاح بحالها، فغنم المسلمون جميع ذلك، واقتنى آثار من انهزم،
فاكثر فيهم القتل والأسر، ونجا بيدا وعاد يمين الدولة إلى غزنة.

فتح قلعة بلاد الهند

وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة أو عل يمين الدّولة في بلاد الهند، فغنم وقتل حتى وصل إلى
قلعة في راس جبل منيع ليس يصعد إليه إلا من طريق واحد، وفيها خمسمائة فيل، وغلات

كثرة، ومياه، فحصرها يمين الدّولة، ودام الحصار، وضيَّق عليهم، وقتل منهم كثيرا، فطلبوا
الأمان، فأمَّنهم، وأقر ملكها فيها على خراج يؤخذ منه، وأهدى له هديا كثيرة، وقيل إن
هذا الملك هو كابلى، وهو صاحب ألف فيل، وكان فيما أهداه فيلة حوامل ومراضع،
وطائر على هيئة القمري جلبابه أدكن، وعيناه ومنقاره حمر، وجناحاه مخططان بسواد،
ومن خاصيتهَّ انه إذا حضر على راس الخوان، وكان في الطعام سمٌّ دمعت عيناه، وجرى
منهما ماء، ويتحجر فإذا اخذ ذلك الحجر، وحكَّ وطلى به الجراحات الواسعة ألحمها وإن
كان في البدن نصل تعسَّر إخراجه، قوبل به، فيجذبه حتى يمكن إخراجه، فقيل هديتَّه،
وأقرَّه على وجهته، وعاد غزنة مؤيدا منصورا

فتح سومنات

وفي سنة ست عشرة وأربعمائة فتح يمين الدولة عدة حصون ومدن من بلاد الهند، وأخذ
الصنم المعروف بسومنات، وهو اعظم أصنام الهند، وكانوا يحجّون إليه كلَّ ليلة خسوف،
فيجتمع عنده ما ينوف على ألف إنسان، وزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد
اجتمعت إليه فينشئها فيما ينشأ، وان المدَّ والجزر غنما هو عادة للبحر ويحملون إليه كلّ
علق نفيس، ويعطون سدنته الأموال الجليلة، وفيه من نفيس الجواهر ما لا تحصى قيمته،
وبينه وبين نهر الكنك الذي تعظِّمه الهنود نحو مائتي فرسخ يتحملون من ماء هذا النهر إلى
سومنات ماء يغسل به كل يوم، وعنده من البراهمة ألف رجل لعبادته، وتقديم الورّاد إليه،
وثلثمائة رجل تحلق رؤس زواره ولحاهم، وخمسمائة رجل، وخمسمائة امرأة يغنّون،
ويرقصون على باب الصنم، ولكِّل منهم في كل يوم شيء معلوم، وكان لسومنات من الضِّاع
الموقفة عليه ما يزيد على عشرة آلاف ضيعةً. وقال وكان يمين الدولة كلما فتح فتحا من
بلاد الهند، وكسر أصناما، تقول الهنود: إنا هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو
أنه راض عنها لأهلك من تقصدها بسوء. فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه،
وإهلاكه لعل الهنود إذا فقدوه، ورأوا دعاواهم باطلة دخلوا في دين الإسلام، فاستخار الله

تعالى، وسار من غزنة في عاشر شعبان من هذه السنة في ثلاثين ألف رأس من عساكره
سوى المتطوعة، وسلك طريق الملتان فوصلها في منتصف شهر رمضان، وفي طريقه إلى
الهند قفارٌ لا تسلك، لا ماء فيها ولا ميرة، فحمل ما يحتاج إليه هو وعسكره، وزاد بعد
الحاجة عشرين ألف جمل، يحملون الماء والميره، وقصد أنهلوارة، فلما قطع المفازة رأى في
طريقها حصونا مشحونة بالرجال فيسَّر الله فتحها عليه، وامتار منها، وسار إلى أنهلوارة،
فوصلها في مستهل ذي القعدة، فهرب عنها صاحبها المدعو نهيم، وقصد حصناً له يحتمي
به، فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار إلى سومنات، فلقي في طريقه عدة حصون بها
كثير من الأوثان تشبه الحجّاب والنقباء لسومنات، فقاتل من بها، وفتحها وخربهّا وكسر
أصنامها، وسار منها إلى مفازة قفز قليلة المياه، قلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها
لا يدينون لملك، فهزمهم، وغنم مالهم، وامتار من عندهم، وسار حتى بلغ الواره، وهي
على مرحلتين من سومنات، وقد ثبت أهلها ظنا منهم أن سومنات يمنعهم، ويدفع عنهم،
فاستولى عليها، وقتل رجالها، وغنم أموالها، وسار عنها، فوصل إلى سومنات في يوم
الخميس منتصف ذي القعدة، فرأى حصنا حصينا على ساحل البحر تبلغه أمواجه،
وأهله على الأسوار ينظرون المسلمين، فلما كان الغد، وهو يوم الجمعة زحف، وقاتل حتى
قارب السور، فصعده المسلمون. هذا والهنود تتقدم إلى سومنات، وتعِّفر وجوهها في
الأرض وتسأله النصر، واستمر القتال إلى الليل، ثم بكر المسلمون إليهم، وقاتلوهم، فأكثروا
في الهنود، وأزاحوهم عن المدينة، فالتجئوا إلى بيت صنمهم، فقاتلوا على بابه أشد قتال،
فكان الفريق منهم بعد الفريق يفرون إلى الصنم، فيستغيثون به، ويبكون، ويتضرعون إليه،
ويخرجون، فيقاتلون إلى أن يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم وبقي منهم شرذمة دخلوا
البحر في مركبين لهم، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضهم وغرق بعضهم.
وأما البيت الذي فيه سومنات، فإنه مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح

بالرصاص، وسومنات حجر طوله خمسة أذرع، ثلاثة مدوَّرة ظاهرة، وذراعان في البناء،
وليس هو بصورة مصّورة، فكسره يمين الدولة، وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غزنة،
فجعله عتبة لباب الجامع، وكان بيت الصنم مظلما، وإنما كان الضوء فيه من قناديل
الجوهر، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا منٍّ كلما مضت طائفة من
البراهمة من عبادتهم حركوا الجرس، فتأتي طائفة أخرى، وعنده خزانة فيها عدة كثيرة من
الأصنام الذهب والفضة وعليها الستور المرصعة بالجوهر. كل منها منسوب إلا عظيم من
علماء الهند، وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف دينار، فأخذ الجميع وكانت عدة
القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل، ثم ورد الخبر على يمين الدولة أن نهيم صاحب أنهلوارة
قصد قلعة تسمى كندهة، في البحر على بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخا،
فسار يمين الدولة من سومنات، فلما حاذى القلعة رأى صيادين، فسألهم عن خوض البحر
هناك، فقالوا إنه ممكن، ولكن إذا تحرك الهواء غرق من فيه، فاستعان بالله تعالى، وخاض
هو ومن معه، فسلموا، فرأوا نهيم قد فارق القلعة، وأخلاها، فعاد عنها، وقصد المنصورة،
وكان صاحبها قد ارتَّد عن الإسلام، ففارقها واحتمى بغياض منيعة، فأحاط يمين الدّولة
بتلك الغياض؛ فقتل أكثر من ها من الهند وغرق بعضهم ولم ينجح منهم إلا القليل، ثم سار
إلى بهاطية فأطاعه أهلها، فرحل إلى غزنة، فوصلها في عاشر صفر سنة سبع عشره
وأربعمائة، فكانت غيبته في هذه الغزوة ستة اشهر.

ملكه الريّ وبلد الجبل

وفي سنة عشرين وأربعمائة سار يمين الدولة نحو الريّ فانصرف منوجهر بن قابوس صاحب
جرجان وطبرستان بين يديه، وجمل إليه أربعمائة ألف دينار، وكان مجد الدّولة بن فخر
الدولة ابن بويه قد كاتب يمين الدولة يشكو إليه من جنده، وكان متشاغلاً بالنساء، ومطالعة
الكتب، ونسخها. وكانت أمّه تدبر المملكة، فلما ماتت طمع فيه الجند. وقال: فلما
وصلت كتبه إليه سير إليه جيشا، وجعل المقدَّم عليهم حاجبه، وأمره بالقبض على مجد

الدولة، فسار إلى الريّ، ودخلها في شهر ربيع الآخر، وأخذ من الأموال ألف ألف دينار،
ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات
وغيرها مالا يحصى قيمته، وأحضر مجد الدولة وسيَّره إلى خراسان. ثم ملك قزوين،
وقلاعها، ومدينة ساوة، وآوه، وياقت، وقبض على صاحبها، وسيره إلى خراسان.
ولما ملك يمين الدولة الريّ، كتب إلى الخليفة القادر بالله يذكر أنه وجد لمجد الدولة من
النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولدن له نيفا وثلاثين ولدا، وانه لما سئل عن ذلك
قال: هذه عادة سلفي، وصلب من أصحابه الباطنية خلقا كثيرا، ونفى المعتزلة إلى
خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال، واخذ ما سواها من الكتب، فكانت
مائة حمل، وتحَّصن منوجهر بن قابوس بن وشمكير بجبال حصينة، فلم يشعر إلا وقد أطل
يمين الدولة عليه، فهرب إلى غياض ملتفَّة حصينة، وبذل له خمسمائة ألف دينار، فأجابه
يمين الدولة إلى ما طلب. وقبض المال وسار عنه إلى نيسابور. ثم توفِّي منوجهر عقيب
ذلك، وولى بعده ابنه أنوشروان، فأقره محمود على ولايته، وقرَّر عليه خمسمائة ألف دينار
أخرى، وخطب لمحمود في أكثر بلاد الجبل إلى حدود أرمينية. وخطب له بأصفهان،
وملهما من علاء الدولة. وعاد عنها واستخلف بها بعض أصحابه، فثار أهلها، فقتلوه،
فعاد إليهم مسعود، فقتل منهم نحو خمسمائة قتيل. وسار إلى الريّ فأقام بها والله أعلم
بالصواب.

ملك مسعود همذان

وفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة سيّر مسعود جيشا إلى همذان، فملكها من نواب
علاء الدولة بن بويه، وسار هو إلى أصفهان، ففارقها علاء الدولة، فغنم مسعود ما كان له
بها من دواب وسلاح وذخائر وغير ذلك، ثم عاد إلى بلاده.

غزوة للمسلمين بالهند

وفي هذه السنة غزا أحمد بن ينال تكين النائب عن محمود بن سبكتكين ببلاد الهند مدينة
برسى، وهي من أعظم مدن الهند، وكان معه نحو مائة ألف فارس وراجل، فشنّ الغارة

على البلاد، ونهب وسبى، فلما وصل إلى المدينة، دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمون
يوما كاملا، ولم يفرغوا من سوق العطارين والجوهريين فحسب، وباقي أهل الهند، فلما جاء
المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله، وبلغ من كثرة ما نهب المسلمون أنهم
اقتسموا الذهب والفضة بالكيل، ولم يصل لهذه المدينة عسكر المسلمين من قبله ولا بعده.

وفاة يمين الدولة
محمود بن سبكتكين وشيء من سيرته

كانت وفاة رحمه اله في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وأرعمائة ومولده يوم
عاشوراء سنة ست وستين وثلاثمائة، فكان عمره إحدى وستين وثلاثة أشهر تقريبا، ومدة
سلطنته ثلاثا وثلاثين سنة وشهرين، وكان مرضه سوء مزاج وإسهال، وبقي كذلك نحو
سنتين، وكان قوي النفس لم يضع جنبه في مرضه بل كان يستند إلى مخدته، وكان يجلس
للناس طرفي النهار؛ ولم يزل كذلك حتى توفي قاعداً، وكان عاقلاً دينّا خيِّرا عنده علم
ومعرفة، وصنِّف له كثير من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان
يكرمهم ويقبل عليهم ويصلهم، وكان علي الهمة، وقد نظرنا من فتوحه وغزواته ما يستدل به
على ذلك، ولم يكن فيه ما يعاب إلا طمعه في الأموال، فكان على أخذها بكل طريق، وهو
الذي جدد المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا، والرشيد، وكان أبوه قد
أخربه. وقال: وكان يمين الدولة ربعة القامة، وحسن الوجه، صغير العينين، أحمر الشعر.

سلطنة محمد بن محمود

وهو الرابع من ملوك الدولة الغزنويه. ملك بعد وفاة أبيه في شهر ربيع الآخر سنة إحدى
وعشرين وأربعمائة بوصية من أبيه. وقال: وهو أصغر من أخيه مسعود، وكان عند وفاة
أبيه ببلخ، فخطب له من أقاصي الهند إلى نيسابور، ولقِّب جلال الدولة، فأرسل إليه أعيان
الدولة يستدعونه، ويحثونه على الوصول إليهم، ويخيفونه من أخيه مسعود، فسارا إلى غزنة،
فوصلها بعد وفاة أبيه بأربعين يوما، واجتمعت العساكر على طاعته، ففرق فيهم الأموال.

خلع جلال الدولة محمد

وملك أخيه مسعود بن محمود
كان سبب أن يمين الدولة لما توفي كان ابنه مسعود بأصفهان، فكتب إلى أخيه محمد يقول
لا: إنني راض بما أوصي لي به أبي، وبما فتحته من بلاد طبرستان والجبل وأصفهان
وغيرهما، وطلب منه الموافقة وأن يقدمه في الخطبة على نفسه، فأجابه بجواب غبر مرضي،
فسار مسعود إلى الري وأحسن إلى أهلها، ثم سار إلى نيسابور وفعل مذل ذلك، وأما
محمد فإنه استحلف عساكره، وجعل عمه يوسف على مقدمة جيشه، وسار إلى مسعود.
وكان بعض عساكر مجمد يميل إلى مسعود لشجاعته، وبعضهم يخشى سطوته، فلما همّ
محمد بالركوب من داره وقعت قلنسوته من رأسه، فتطير الناس من ذلك. وسار إلى ان
وصل إلى تكينا باد في مستهل شهر رمضان من سنة إحدى وعشرين، وأقام بها إلى ان
عيّد. فلما كان ليلة الثلاثاء ثالث شوال ثار به جنده، فاخذوه وحبسوه ونادوا بشعار
مسعود، وكان الذي يسعى في ذلك ورتَّبه خشاوند الحاجب باتفاق ومساعدة من عمه
يوسف، وأرسلوا إلى مسعود فحضر، والتقته العساكر إلى هراه. وسلّموا إليه الأمر، فكان
أول ما بدأ به أن قبض على الحاجب وقتله، ثم قبض بعد ذلك على عمه يوسف، ثم على
جماعة من أعيان القواد في أوقات متفرقة. وكان اجتماع الملك له، واتفاق الكلمة عليه في
ذي القعدة م السنة، ووصل إلى غزنة في ثاني جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة،
وأتته بها رسل الملك من سائر الأقطار، واجتمع له الملك خراسان وغزنة وبلاد الهند
والسند، وسجستان وكرمان، ومكران، والري، وأصفهان، وبلد الجبل، وغير ذلك، وعظم
سلطانه، وجيف جانبه.
مسيره إلى الهند
وما فتحه بها
وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة بلغ السلطان مسعود أنَّ أحمد نيالتكين النائب بالهند
خرج عن طاعته واستولى على البلاد، فسار إلى الهند، وعاد النائب إلى الطاعة، وفتح في
سفرته هذه قلعة سرستي وهي من أحصن القلاع، وكان تعذَّر فتحها على أبيه، ففتحها في

سنة خمس وعشرين. ثم سار إلى قلعة مقسي، فوصل إليها في عاشر صفر، وحصرها
ووالى الحصار، فخرجت عجوز ساحرة، فتكلمت باللسان الهندي طويلا، وأخذت
مكنسة فبلتها بالماء، ورشت به إلى جهة العسكر، فمرض مسعود واشتد به المرض،
فرحل عن البلد فصح وعاد إلى غزنة.

مخالفة نيالتكين ومقتله

وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة خالف أحمد نيالتكين النائب بالهند على السلطان
مسعود، ونزع يده من الطاعة، واظهر العصيان، فسيّر إليه مسعود جيشا كثيفا فقاتلهم،
وانهزم منهم، وقصد بعض ملوك الهند ببهاطيه، ومعه جمع كثير من عسكره الذين سلموا،
وطلب منه سفنا ليعبر بهم السند، فاحضر إليه السفن، وأمرهم أن يلقوه في جزيرة في
وسط النهر، فألقوه بها وهو يظن أنها متصلة بالبر، فأقام بها تسعة أيام إلى أن نفذت
أزوارهم، وأكلوا دوابّهم، وعجزوا عن خوض الماء لعمقه، فعبر الهندي إليهم في السفن
وقتل
وأسر، فعندها قتل أحمد نفسه، واستوعب أصحابه القتل والأسر.

وفي سنة ثلاثين وأربعمائة، التقى الملك مسعود والسلجقية ببلاد خراسان، ووقع بينه
حروب كان الظفر لمسعود، وفتح قلعة خراسان، واخرج طغرلبك من بلاد خراسان إلى
البرية، وكان آخر الحرب بينهم في سنة إحدى وثلاثين.

القبض على السلطان وقتله
وشيء من سيرته

وفي سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة في شهر ربيع الأول جهّز السلطان ولده مودودا إلى
خراسان في جيش كثيف، لرد السلجوقية عنها، وسار مسعود بعد سبعة أيام إلى بلاد
الهند ليشتي بها على عادة والده، واستصحب معه أخاه محمدا وكان قد سمله، فلما عبر
سيحون وعبر بعض الخزائن جمع أنوشتكين البلخي الخصي الغلمان الداريّة، ونبوا ما تخلف
من الخزائن، وأقاموا أخاه محمدا، وقاتلوا مسعود، فانهزم وتحصن في بعض الحصون،
فحصروه أخوه محمد، فقالت له أمه: إن هذا المكان لا يعصمك، لأن تخرج إليهم بعهد خير

لك من أن يأخذوك قهرا، فخرج إليهم، فقال له أخوه: وأمه لا قاتلتك بفعلك، ولكن اختر
لنفسك جهة تكون فيها بحريمك وأولادك، فاختار قلعة كيدي، فأنفذه إليها، وأرسل مسعود
إلى أخيه محمد يطلب منه مالاً ينفقه، فأعطاه خمسمائة درهم، فبكى وقال: بالأمس
وحكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن، واليوم لا أملك ألف درهم، فأعطاه الرسول ألف
دينار فقبلها، ثم اتفق أحمد بن السلطان محمد، وابن عمه يوسف، وابن علي خشاوند على
قتل مسعود فدخلوا عليه، وقتلوه فأنكر محمد ذلك، وساءه، فكانت مدة سلطنة مسعود
عشر سنين وخمسة شهور تقريبا، وكان شجاعاً كريما ذا فضائل كثيرة، يحب العلماء
ويحسن إليهم، ويتقرب إلى خواطرهم، وصنفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم، وكان
كثير الصدقة، تصدَّق مرة في شهر رمضان بألف ألف درهم، وأكثر الإدرارات والصِّلات،
وعمّر كثيراً من الشعر ويجيز الشعراء، وأعطى شاعراً ألف دينار، وأجاز آخر عن كل
بيت ألف درهم.

سلطنة جلال الدولة محمد بن محمود
السلطنة الثانية وقتله

ملك ثانيا عند انهزام أخيه مسعود في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين
وأربعمائة، كان أخوه قد سمله، وما طلب للولاية امتنع من قبولها، فتهدده القواد بالقتل
فأجاب، وفوض الأمر إلى ولده أحمد، وكان فيه هوج، فقتل عمه مسعودا، وقل: إن مسعودا
حبس دخل عليه الرحمن وعبد الرحيم أولاد محمد، فأخذ عبد الرحمن القلنسوة من على
رأس عمِّه مسعود، فأخذها عبد الرحمن من يده، وأنكر عليه، وقبلها ووضعها على رأس
عمه مسعود، وكان ذلك سبب سلامته.

قال: وكتب السلطان محمد إلى مودود بن أخيه مسعود يقول له: غم والدك قتل قصاصاً،
قتله أولاد أحمد نيالتكين بغير رضاي، فأجابه مودود من خراسان يقول: أطال الله الأمير،
ورزق ولده المعتوه عقلا يعيش به فقد ركب أمرا عظيما، وأقدم على إراقة دم ملك مثل
والدي الذي لقبه أمير المؤمنين سيِّد الملوك والسلاطين، وستعلمون في أي حتف تورّطم،

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ثم كتب شعرا:
نفلّق هاماً من كرامٍ اعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما
قال: وطمع الجند في محمد، ونقصت هيبة الملك، فمدوا أيديهم إلى أموال الرعايا ونهبوها،
فخربت البلاد، فكان الملوك يباع في بعض المدن بدينار. وقال: وسار مودود بن مسعود من
خراسان إلى غزنة، وعاد عمه محمد والتقيا، فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه وعلى
ولده احمد، فقتلهما مودود في شعبان سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة، فكانت مدة سلطنة
محمد الأولى سعة أشهر، والثانية أربعة أشهر وأياما.
سلطنة مودود بن مسعود
بن محمود بن سبكتكين
وهو السادس من ملوك الدولة الغزنوية. كان ملكه بعد انهزام عمه جلال الدولة محمد.
وقال: ولما التقوا وانهزم محمد وعسكره، ثم قبض عليه وعلى أولاده وأنوشتكين البلخي
والخصي وابن علي خشاوند، فقتلهم مودود، ولم يترك منهم إلا عبد الرحمن ابن عمه بن
محمد لإنكاره على أخيه، وأخذ القلنسوة من رأس مسعود، وبنى مودود في موضع الوقعة
قريةً ورباطًا وسهمّاها فتح أباد ، وقتل من كان له تسبب في القبض على أبيه،ودخل غزنة
في الثالث والعشرون من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة،واستوزر أبا نصر أحمد بن
محمد بن عبد الصمد وزير أبيه،وأظهر العدل،وأحسن السيرة،وسلك سيرة جده محمود بن
سبكتكين.
مخالفة محمود بن مسعود على أخيه مودود، ووفاة محمود
كان مسعود قد جهّز ابنه محمودا إلى بلاد الهند في سنة ست وعشرون وأربعمائة، فبلغه
خبر وفاة أبيه، وما آل الأمر إليه من سلطنة أخيه، وكان قد فتح لهاوور، وملتان، فاخذ
الأموال، وأظهر الخلاف على أخيه مودود، فالضطرب لذلك، وجهز جيشا لمنعه، فعرض
محمود العساكر، وانفق فيهم الأموال ليأخذ البلاد من أخيه مودود وعَّيد عيد الأضحى،
وأقام بعده ثلاثة أيام، وأصبح ميتا بلهاوور، فما عرف ما كان سبب وفاته، فعند ذلك ثبت
قدم مودود في الملك، وأرسلته الملوك وخافته، وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ملك مودود
عدة من حصون الهند، فراسله ملوكها وأذعنوا له بالطاعة.

وفاة مودود
وملك ولده، ثم أخيه علي بن مسعود، ثم عبد الرشيد
وفي العشرين من شهر رجب الفرد، سنة إحدى وأربعين
وأربعمائة كانت وفاة مودود
وعمره تسع وعشرون سنة، ومدة ملكه تسع سنين وأحد عشر
شهرا، وكانت وفاته بغزنة،
وعلّته القولنج، وملك بعده ولده، فبقي في الملك خمسة أيام،
ثم عدل الناس عنه إلى عمّه
علي بن مسعود، وكان مودود لما ملك قبض على عمّه عبد
الرشيد ابن محمود، واعتقله
بقلعة مندين بطريق بست، فلما توفي مودود كان وزيره قد
قارب القلعة بعساكر جردها
مودود معه لقتل السلجقية، فنزل عبد الرشيد من القلعة إلى
العسكر، ودعاهم إلى طاعته،
فأجابوه، وسار بهم إلى غزنة، فهرب عّلي بن مسعود، وملك
عبد الرشيد، ولقب شمس
الله سيف الدولة، وقيل جمال الدولة.
مقتل عبد الرشيد
كان مقتله في سنة أربع وأربعين وأربعمائة؛ وسبب ذلك أن
طغرل الحاجب مودود قد نوه
بذكره، وقدّمه وزوّجه أخته، فلما توفي مودود، وملك عبد
الرشيد استمر به على ما كان
عليه، وجعله حاجب حجّابه، فأشار طغرل على عبد الرشيد بقصد
الغز، وإخراجهم من
خراسان، فتوقف استبعاداً لذلك، فلم يزل به حتى جهز معه ألف
فارس، فسار نحو
سجستان، وبها أبو الفضل نائبا عن بيغو، فحاصر قلعة طاق
أربعين يوما، فلم يتهيأ له أن
يملكها، فسار نحو مدينة سجستان، فاتصل خبره ببيغو، فخرج
في عساكره إليه، فلما رآه
بيغو استقلّ من معه، فسيَّر إليه طائفة من أصحابه، فلم يعرِّج
طغرل عليهم، بل اقتحم هو
ومن معه على تلك الطائفة التي كانت خرجت لقتاله، فهزمهم،
وغنم ما معهم، وانهزم بيغو
إلى هراة، ودخل طغرل الحاجب سجستان، وملكها، وكتب إلى
عبد الرشيد يعلمه بذلك
ويستمد ليسير إلى خراسان، فأمده بعدَّة كثيرة من العساكر،
فاشتد أمره بهم، وحدث
نفسه بالاستيلاء على غزنة، فأحسن إلى من معه، واستمالهم
فمالوا إليه، فاستوثق منهم
ورجع بهم إلى غزنة، فلما صار على خمسة فراسخ منها كتب
إلى عبد الرشيد يعلمه ان

العسكر خالفه، وطلبوا الزيادة في العطاء، وانهم عادوا بقلوب متغِّيرة، فلما وقف على ذلك
جمع أصحابه، واستشارهم، فحذَّروه من طغرل، وقالوا، إن الأمر قد أعجل عن
الاستعداد، وليس إلا الصعّود إلى القلعة، والتحصن بها، فتحصن بقلعة غزنة، وعبر طغرل
غزنة، واستولى عليها وجلس بدار الإمارة، وأرسل إلى من بالقلعة يتهددهم إن لم يسلموا
عليها عبد الرشيد، فسلّموه له، فقتله، واستولى على القلعة، وتزوج ابنة السلطان مسعود
كرها، وكان في أعمال الهند أمين يسمى خزخير بعساكر كثيرة، فأرسل إليه طغرل،
واستدعاه للموافقة والمساعدة على إخراج الغزو من الأعمال، ووعده وبذل له الرغائب، فلم
يرض خزخير فعله، وأنكر عليه وأغلظ له في الجواب، وكتب إلى زوجة طغرل ابنة السلطان
مسعود، وإلى وجوه القوّاد يقبح عليهم موافقتهم، وصبرهم على قتل ملكهم، فعبروا على
طغرل، وقتلوه.

ملك فرخ زاد
بن مسعود بن محمود بن سبكتكين

وهو العاشر من ملوك الدولة الغزنوية. وملك بعد مقتل طغرل الحاجب المستولي على ملك
عبد الرشيد، وكان سبب ملكه أنه لما قتل طغرل وصل خرخير بعد مقتله بخمسة أيام إلى
غزنة، وأظهر الحزن على عبد الرشيد، واستشار الأمراء فيمن يلي الأمر، فأشاروا بولاية
فرخ زاد، وكان معتقلاً في بعض القلاع فأحضروه، وأجلس بدار الإمارة ودبر خرخير الأمر
بين يديه، وقتل من أعان على قتل عبد الرشيد. وقال: ولما بلغ داود السلجقي أخا
طغرلبك صاحب خراسان قتل عبد الرشيد جميع عساكره، وسار إلى غزنة، فخرج غليه
خرخير، وقاتله فانهزم داود، وغنم ما كان معه، وفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة ثار
مماليك فرخ زاد به، وقصد واقتله وهو في الحمام، فمانع عن نفسه بسيف كان معه، فأدركه
أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان، واستمر ملكه إلى سنة إحدى وخمسين، وكان
بعد هذه الوقعة بكثير من ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها، فلما كان في هذه السنة أصابه
قولنج، فمات

ملك إبراهيم بن معود
بن محمود
وهو الحادي عشر من ملوكها، ملك بعد وفاة أخيه فرّخ زاد في سنة إحدى وخمسين
وأربعمائة فأحسن السيرة، واستعد لجهاد الهند، واستقر الصلح بينه وبين جعري بك داود
السلجقي صاحب خراسان على أن يكون لكل واحد منهما ما بيده، وترك منازعة الآخر
في ملوكها.
غزو ابراهيم الهند
وما فتحه منها
وفي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة غزا بلاد الهند، ففتح قلعة أجود، وهي على مائة
وعشرين فرسخا من لهاوور، وهي حصينة تحوي عشرة آلاف مقاتل، فحصرها ودام
الزحف، فملكها في الحادي والعشرين من صفر، وفتح غيرها من الحصون في هذه السنة.
فمن ذلك قلعة رومال، وموضع يقال له: دره نوره، وكان به أقوام من الخراسانية جعل
أجدادهم فيع فراسياب التركي، ولم يعترضهم أحد من الملوك، فدعاهم إلى الإسلام
فامتنعوا عليه، وقاتلوه، فظفر بهم وأكثر فيهم القتل، وتفرق من سلم منهم في البلاد،وسبي
من النساء والصبيان مائة ألف، وفي هذه القلعة حوض قطره نصف فرسخ لا يدرك قعره،
ويشرب منه أهل القلعة ودوابهم، ولا يظهر فيه نقص وفتح درة وهي بين جبلين والسبيل
غليها متعذر، فوصلها في جمادى الأولى وأقام بها ثلاثة أشهر، وافتتحها وعاد إلى غزنة.
وفاة ابراهيم
وشيء من سيرته
كانت وفاته في سنة إحدى وثمانين أربعمائة ، وكانت مدة ملكه تزيد على ثلاثين سنة
،وكان عادلاً كريماً مجاهداً، وكان ذا رأى سديد، فمن رأيه أن السلطان ملكشاه السلجقي
قصد غزنة بعساكره وجنوده، فلما علم إبراهيم عجزة عنه كتب إلى جماعة من أمرائه
يشكرهم،ويعدهم الجميل على تحسينهم لصاحبهم، قصد بلاده ليتم له ما اتفقوا عليه من
قبضه،وأمر القاصد أن يتعرض إلى ملكشاه، فتعرض له، فأنكره ملكشاه، وقبض عليه

وقرره بالضرب، فأعطاه الكتب بعد امتناع، فعاد من طرقه، وكتم ذلك عن أمرائه خوفا من
الخلاف عليه. وكان يكتب بخطه في كل سنة مصفحاً، ويبعثه إلى مكة مع الصدقات
والصِّلات، ولما مات ملك بعده ابنه.

ملك علاء الدولة

أبي سعد جلال الدين مسعود بن إبراهيم

وهو الثاني عشر من ملوك الدولة الغزنوية. وملك غزنة وما معها بعد وفاة إبراهيم أبيه في
سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. وهو زوج ابنة السلطان ملكشاه السلجقي، واستمر ملكه
إلى سنة ثمان وخمسمائة فتوفي في شوال منها بغزنة، لم أظفر بشيء من أخباره فأورده، ولما
مات ملك بعده ولده

ملك أرسلان

بن علاء الدولة مسعود

وهو الثالث عشر من ملوك الدولة الغزنوية، وأمه سلجقيه وهي أخت السلطان ألب
أرسلان ملك بعد وفاة أبيه في شوال سنة ثمان وخمسمائة ولما ملك قبض على أخواته
وسجنهم، فهرب أخٌ له اسمه بهرام شاه إلى خراسان، فوصل إلى السلطان سنجر بن ملك
شاه، فأرسل إلى أرسلان شاه في معناه، فلم يجبه، فأعد السير وقصد غزنة ومعه بهرام شاه
والتقى هو وسنجرين ملكشاه على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ، وكان أرسلان شاه
في ثلاثين ألفا، ومعه مائة وستون فيلا، فكادت الهزيمة تكون على سنجر ثم كانت
وخمسمائة ومعه بهرام شاه، وتسلَّم قلعة البلد، وكان أرسلان شاه قد اعتقل أخاه طاهرا
بالقلعة الكبيرة التي بينها وبين غزنة تسعة فراسخ، وهي عظيمة لا يطمع فيها ولا عليها،
واعتقل بها أيضا زوجة بهرام شاه، فلما انهزم أرسلان شاه استمال أخوه طاهرا المتحفظ
بها حتى سلم القلعة للملك سنجر، وكان قد تقرر بين السلطان سنجر وبهرام شاه أن
يجلس بهرام شاه على سرير جده محمود بن سبكتكين وجده، وان الخطبة بغزنة للخليفة،
ثم للسلطان محمد بم ملكشاه، والملك سنجر، وبعدهم لبهرام شاه، فلما دخلوا غزنة كان
سنجر راكبا، وبهرام شاه راجلا بين يديه حتى جاء إلى السرير، فصعد بهرام شاه بالسلطان

على عادة آبائه، وحصل لسنجر من الأموال مالا يحد، وكان على حيطان دور ملوك غزنة
ألواح الفضة، وسواقي المياه إلى البساتين من الفضة، فقلع أصحاب سنجر كثيرا من ذلك،
فمنعهم سنجر، وصلب جماعة منهم، وأقام بغزنة أربعين يوما وهو أول سلجقي خطب له
بغزنة، وعاد إلى خراسان.

ملك بهرام شاه
بن مسعود بن إبراهيم

وهو الرابع عشر من ملوك الدولة الغزنوية.وملك غزنة عند انهزام أخيه أرسلان شاه لعشر
بقين من شوال سنة عشر وخمسمائة، وأما أرسلان شاه فإنه لما انهزم قصد هند وخان،
وأجتمع معه أصحابه، فلما عاد الملك سنجر إلى خراسان توجه إلى غزنة، ففارقها بهرام
شاه إلى باميان، وأرسل إلى الملك سنجر يعلمه الحال، فأمده بجيش، وأقام أرسلان شاه
بغزنة شهرا، وسار في طلب بهرام شاه فبلغه وصول عسكر سنجر، فانهزم بغير قتال،
للخوف الذي وقع في قلوب أصحابه، ولحق بجبال أوغان، فسار بهرام شاه في طلبه بعسكر
سنجر، وضايقوا البلاد التي هو فيها وأخربوها، وتهددوا أهلها، فسلموه إليهم، فخنقه أخوه
بهرام شاه، ودفنه بغزنة بتربة أبيه، وكان قتله في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة
وخمسمائة، وعمره سبعا وعشرين سنة، واستقر بهرام شاه في الملك، وكان بينه وبين الملوك
الغورية من الوقائع ما نذكره في أخبارهم إن شاء الله تعالى.

وفاة بهرام شاه

كانت وفاته في شهر رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، فكانت ولايته ستا وثلاثين سنة،
وكان عادلا حسن السيرة جميل الطريقة يحب العلماء ويكرمهم، ويبذل لهم الأموال الكثيرة،
ولما مات ملك بعده ولده.

ملك خسروشاه
ابن بهرام ساه بن مسعود

وهو الخامس عشر من ملوك الدولة الغزنوية، ملك غزنة بعد وفاة والده في شهر رجب سنة
ثمان وأربعين وخمسمائة، وكان عادلاً حسن السيرة في رعيته محبا للخير وأهله يقرب
العلماء، ويحسن إليهم ويرجع إلى أقوالهم ويقتدي بآرائهم، لم يزل كذلك إلى مدة ملكه سبع

سنين وقيل غنه عاش إلى سنة تسع تسعين. وأن الدولة انقرضت باعتقاله، ولما مات ملك
بعده ولده.
ملك ملكشاه
بن خسروشاه بن مسعود
ابن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين
وهو السدس عشر من ملوك الدولة الغزنوية، وعليه انقرضت دولتهم. وملك غزنة بعد وفاة
والده الحسين ملك الغور إلى غزنة، وكان له مع ملكشاه ما نذكره إن شاء الله تعالى في
أخبار الدولة الغورية. وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة قصد الأتراك الغزية بلاد غزنة
ونهبوا وخربوا، وقصدوا مدينة غزنة، ففارقها ملكشاه إلى لهاوور وملكها الغزية، وكان
القيّم بأمرهم زنكي بن علي بن خليفة الشيباني، ثم جمع ملكشاه العساكر، وعاد إلى
غزنة، ودخلها في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين، وتمكن في دار ملكه إلى أن ظهر أمر
الملوك الغورية، فانقرضت الدولة الغزنوية على يد الملوك الغوريه.
وذكر ان الأثير الجزري في تاريخه الكامل أن دولتهم انقرضت في أيام خسروشاه بن بهرام
شاه والده ملكشاه، وان خسروشاه لما ملك الغورية غزنة سار إلى لهاوور، فحاصره شاب
الدين الغوري بها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وشدّد الحصار عليه، وبذل له الأمان
على أن لا يطأ بساطه، وان شهاب الدين يجعل لخسروشاه مهما اختار من الإقطاع،
ويزوجه ابنته، فاستحقه على ذلك ومكنه من لهاوور، واجتمع به، فأكرمه وعظمه، وبقي
كذلك مدة شهرين، فورد رسول غياث الدين الغوري إلى أخيه شهاب الدين وهو يستدعي
خسروشاه وولده إليه، فأعلمه بذلك، فامتنع، فمناه شهاب الدين، وطيب خاطره، ثم جهزه
هو وابنه إلى غياث الدين، فساروا على كره، فلما وصلا إليه رفعهما إلى بعض القلاع،
فكان آخر العهد بهما. وانقرضت الدولة الغزنوية.
وكان ابتداؤها في سنة ست وستين وثلاثمائة، وانقرضت في سنة تسع وتسعين وخمسمائة،
فتكون مدتها مائتي سنة وثلاثة عشر سنة تقريبا، وعدة ملوك هذه الدولة ستة عشر ملكا،

وهو ناصر الدولة سبكتكين، ثم ولده محمود بن سبكتكين، ثم ولده محمد ولي مرَّتين، ثم
أخوه مسعود بن محمود، ثم مودود بن مسعود بعد عمه محمد في السلطنة الثانية، ثم ولي
ولدٌ لمودود خمسة أيام. ثم على بن مسعود، ولم تطل مدته أيضا، ثم عبد الرشيد بن محمود
بن سبكتكين، ثم فرخ زاد، ثم أخوه إبراهيم بن مسعود، ثم ابنه علاء الدولة أبو سعد
جلال الدولة بم مسعود، ثم ابنه أرسلان شاه، ثم أخوه بهرام شاه، ثم ابنه خسروشاه، ثم
ابنه ملكشاه، وعليه انقرضت دولتهم، وكانت هذه الدولة من احسن الدول وأكثرها جهادا
وفتوحا، وقد ذكرنا من أخبار ملوكها ما يستدل به على بعد هممهم، وتمكن سلطانهم.

الدولة الغورية

كان ابتداء هذه الدولة بلاد الغور في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ثم أزالت ملوك الدولة
الغزنوية آل سبكتكين عن غزنة، وملكوا بعض بلاد الهند، وأول من نبغ وظهر اسمه الحسين
بن الحسين بن الحسن. وكان قد ملك قبله بلاد الغور محمد بن الحسين، وكان قد صاهر
بهرام شاه صاحب غزنة، فعظم شأنه بمصاهرته وعلت همته، فجمع جموعا كثيرة، وسار
إلى غزنة ليملكها، واظهر الخدمة والزيارة لبهرام شاه وهو يريد المكر فعلم به بهرام شاه،
فقبض عليه وسجنه ثم قتله، فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الأخذ بثأره لتمكن الدولة
الغزنوية، ثم ملك بعد محمد أخوه سام بن الحسين، فمات بالجدري، وملك بعده محمد أخوه
سام بن الحين بلاد الغور، وقوي امره، وتمكن في مملكته، فجمع العساكر، وسار إلى غزنة
طالبا لثأر أخيه محمد، فلما وصل إليها وملكها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين
وخمسمائة، فارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند، وجمع جموعا كثيرة، وعاد إلى غزنة، وكان
عسكر غزنة الذين أقاموا مع سوري قلوبهم مع بهرام شاه، فلما التقوا انضم عسكر غزنة
إلى بهرام وسلّموا إليه سوري وذلك في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فصلبه بهرام
شاه، وكان سوري هذا من الملوك الأجواد الكرام، حتى إنه كان يرمي الدرهم بالمقاليع

ليتوصَّل بذلك إلى راحة الفقراء، ثم ملك بعده أخوه الحسين ابن الحسين هذا بلاد الغور
ومدينتها فيروز كوه، فسار في سنة خمس وأربعين إلى مدينة هراة وحصرها، وكان أهلها قد
كاتبوه، وطلبوه ليسلوها له هربا من ظلم الأتراك، فلما حاصرها امتنع أهلها عليه ثلاثة
أيام، ثم سلموها له، فدخلها واظهر طاعة السلطان سنجر ابن ملكشاه السلجقي.
الحرب بينه وبين السلطان سنجر
وفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة كانت الحرب بين علاء الدين الحسين صاحب الغور وبين
السلطان سنجر السلجقي؛ وسبب ذلك أن علاء الدين هذا قوي أمره، فكثرت أتباعه،
وتلقت وتعرّض إلى أعمال غزنة، وسار إلى بلخ، فملكها، فسار إليه السلطان سنجر فثبت
له، واقتتلوا، فانهزمت الغوريّة، وأسر علاء الدين، وقتل من أصحابه خلق كثير، واحضر بين
يدي السلطان، فقال له: ياحسين لو ظفرت بي ما كنت تصنع؟ فأخرج له قيداً من الفضة،
فقال له: كنت أقيدك بهذا، وأحملك إلى مدينة فيروزكوه. فخلع السلطان عليه، ورده إلى
فيروزكوه.
ملكه غزنة
وخروجه عنها، وقتل أخيه
قال: ولما أطلقته السلطان سنجر أقام بفيروز كوه مدة حتى اجتمع له أصحابه، وأصلح ما
تشعّث من حال عسكره وقصد غزنة، وملكها يوم ذاك بهرام شاه، فلم يثبت له وفارقها إلى
مدجينة كرمان. وهي مدينة بين غزنة والهند، وليست كرمان المشهورة بل غيرها، وملك
علاء الدين غزنة، واحسن السيرة في اهلها، واستعمل عليهم أخاه سيف الدين، وأجلسه
على تخت المملكة، وخطب لنفسه ولأخيه سيف الدين عده، ثم عاد علاء الدين إلى
الغور، وأمر أخاه أن يخلع على أعيان البلد خلعاً نفيسة، ويصلهم بصلات سنية، ففعل
ذلك وأحسن إليهم، فلما جاء الشتاء ووقع الثلج، وعلم أهل غزنة أن الطريق قد انقطع
بينهم، وبين الغور كاتبوا بهرام شاه واستدعوه، فسار نحوهم في عسكره، فلما قارب البلد
ثار أهلها على سيف الدين، فأخذوه بغير قتال، وانهزم من كان معه، فمنهم من نجا ومنهم

من اخذ ثم سودّوا وجه سيف الدين، وأركبوه بقرة، وطافوا به البلد، ثم صلبوه، وهجوه
بالأشعار، وغنى بها حتى النساء، ثم توفِّي بهرام شاه، وملك بعده ابنه خسروشاه، فتجهز
علاء الدين إلى غزنة في سنة خمسين وخمسمائة، فسار خسروشاه إلى لهاوور وملك علاء
الدين البلد، ونهبها ثلاثة أيام، وأخذ الذين أسروا أخاه، وهم من العلويين، فألقاهم من
شواهق الجبال، وأخرب المحلَّة التي صلب فيها أخوه، وأخذ النساء الذين تغنين بجهو
أخيه، فأدخلهن حماما، ومنعهم الخروج حتى متن فيه، وأقام بغزنة حتى أصلحها، ثم عاد
إلى فيروزكوه وتلقب بالسلطان المعظم وحمل الجنر على عادة السلجقية.

خروج غياث الدين
وشهاب الدين ابني أخي علاء الدين الحسين على عمهما وموافقته

قال: لما قوي أمر عمهما علاء الدين استعمل العمال والأمراء على البلاد، فكان ممن
استعمل غياث الدين أبو الفتح محمد، وأخوه شهاب الدين أبو المظفر محمد ابنا سام، على
بلد من بلاد الغور، فأحسنا السيرة في أعمالها، واستمالا قلوب الناس، فانتشر ذكرهما،
فسعى بهما إلى عمهما من حسدهما، وأهمه أنهما يريدان الوثوب به، وقتله، والاستيلاء
على ملكه، فأرسل يستدعيهما فامتنعا، وكان قد علما الخبر، فجهز إليهما عسكر عمهِّما،
وقطعا خطبة، فتوجه إليهما وسارا إليه، والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر علاء
الدين، وأخذ أسيراً، فأجلساه على التخت، ووقفا في خدمته، ونادوا في عسكره بالأمان،
فبكى عند ذلك، وقال: هذان صبيان قد فعلا ما لو قدرت عليه منهما لم أفعله، وأحضر
القاضي، وزوج غياث الدين بنتاً له، وجعله ولي عهده بعده، وبقي إلى أن مات، وكان وفاته
في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وخمسمائة.

ملك سيف الدين
محمد بن علاء الدين بن الحسين بن الحسين

وهو الثاني من الملوك الغورية. وملك وفاة أبيه، وأطاعه الناس، وراسل الملوك وهاداهم،
واستمَّر إلى أن قتل في شهر رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وذلك أنه جمع عساكره

وحشد فأكثر وسار أنه خرج جريدة في جماعة من خاصته، فسمع به الغز فركبوا وأوقعوا
به فقتل.
وكان ملكا عادلاً حسن السيرة، فمن ذلك أنه لما ملك هراه أراد عسكره نهبها، فنزل
على درب المدينة، وأحضر الأموال والثياب، وفرقها في عسكره، وقال: هذا خير من نهب
أموال الناس، فإن الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم. ورحمه الله تعالى.
ملك محمد بن سام
ابن الحسين بن الحسن
وهو الثالث من الملوك الغورية. وكان استقلاله بالملك بعد وفاة ابن عمه سيف الدين في
شهر رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وخطب له في الغور، وغزنة، منه ملك الغز
وغزنة منه، وبقيت بأيديهم خمسة عشر سنة يصبون على أهلها العذاب، ويتابعون الظلم،
هذا غياث الدين يحسن السيرة في رعيته، والناس يشكون إليه حالهم، وهو يدبر ملكه إلى
أن قوي أمره، وكثرت أتباعه، واشتد بأسه.
ملك غياث الدين غزنة
قال: ولما قوي غياث الدين، وتمن في ملكه، وزاد طغيان الغز، وأذاهم للناس، جهز جيشا
كثيفا مع أخيه شهاب الدين إلى غزنة، وفيه أصناف الغورية، والخراسانية، والخلج، فساروا
إليها، فلقيهم الغز واقتتلوا، فانهزمت الغورية أولاً، ثم كانت الدائرة على الغز، فقتل أكثرهم،
ودخل شهاب الدين غزنة، وتسلمها وأحسن السيرة في أهلها، وأفاض العدل، وسار منها
إلى كرمان، وسوران، فملكها، ثم تعدى بعد ذلك على السند، وقصد العبور، إلى بلد،
وملك لهاوور، وملكها يومئذ خسر وشاه بن بهرام شاه، فسار فيمن معه إلى ماء السند،
فمنعه من العبور فرجع عنه، وقصد خرشابور، فملكها، وما يليها من جبال الهند، وأعمال
الأفغان ورجع
ملك شهاب الدين لهاوور
وانقراض الدولة الغزنوية
وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة سار شهاب الدين إلى لهاوور في جمع عظيم، وحشد
كبير، فحصرها، وتهدد أهلها إن منعوه، وبذل لخسرو شاه الأمان على أن يطأ بساطه،

ويخطب لأخيه فامتنع، فلما طال الحصار خذله أهل البلد، فطلب الأمان، فأمنه شهاب
الدين، وحلف له، ودخل الغورية البلد، وبقي كذلك شهرين، ثم جهز خسرو شاه هو وولده
إلى أخيه غياث الدين كما ذكرناه في أخبار الدولة الغزنوية.
قال: ولما كثرت جموع غياث الدين، واتسعت مملكته باسلطنة، ويلقبه بألقاب السلاطين،
وكان لقبه أولا شمس الدين، ثم تلقب غياث الدين، ولقي الآن غياث الدنيا والدين معين
الإسلام قسيم أمير المؤمنين، ولقب أخاه عز الدين. قال: ولما استقر أمر لهاوور، سار
شهاب الدين إلى أخيه غياث الدين، واتفقا على المسر إلى خراسان، فقصد مدينة هراة،
فملكها واستناب بها، وملك عدة من بلاد خراسان، ورجع غياث الدين إلى مدينة
فيروزكوه وشهاب الدين إلى غزنة.
مسير شهاب الدين إلى الهند
قال وسار شهاب الدين إلى الهند، وحاصر بلدا من بلادها، وملكها، وكان قد حصرها
طويلا فلم يظهر منها بطائل، فراسل زوجة الملك الهندي في أن يتزوجها، وكانت غالبة على
أمر الملك، فأعادت عليه أنها لا تصلح لذلك، وأن لها ابنة جميلة تزوجه بها، فأجابها إلى
ذلك، فسقت زوجها سما، فمات، وسلمت إليه البلد، فأخذ الصبيةَّ فأسلمت، وتزوجها
وحملها إلى غزنة، ووكل بها من يعلمها القرآن، وتشاغل عنها فتوفيت والدتها، ثم توفيت
بعد عشر سنين، ولم يرها فبنى لها مشهداً، ودفنها فيه، فأهل غزنة يزورون قبرها، ثم عاد
إلى بلاد الهند، وملك كثيرا منها
ظفر الهنود بالمسلمين
قال: ولما اشتدّت نكاية شهاب الدين بلاد الهند تجمع ملوكها من كل جهة، وتحالفوا على
التعاضد، والتناصر على حربه، وجاءوا من كل فج عميق، وركبوا الصعب والذلول، وكان
الحاكم على جميع الملوك امرأة من ملوكها، فلما سمع شهاب الدين باتفاقهم وتعاضدهم؛ تقدم
إليهم في عسكر عظيم، والتقوا، واقتتلوا، فانهزم المسلمون، وقتل منهم خلق كثير، وأصاب
شهاب الدين ضربة بطلت منها يده، وضربة على رأسه سقط منها على الأرض، وحجز

الليل بين الفريقين، ثم حمل شهاب الدين إلى مدينة أخيه على رؤوس الرجال، فعمد إلى أمراء
الغورية الذين انهزموا أن ملأ لهم مخالي خيلهم شعيرا، وحلف لئن لم يأكلوه ليضربن أعناقهم،
فأكلوه.

ظفر المسلمين بالهنود

قال: اتصل الخبر بغياث الدين أخي شهاب، فأمد المسلمين بالعساكر، فرجع شهاب الدين
إلى الهنود، وجمع الهنود جموعا عظيمة، وجددوا أسلحتهم، ووفروا جموعهم، وساروا
بملكتهم في عدد كثير، فراسلها شهاب الدين، وخدعها أن يتزوجها، فلم تجبه إلى ذك،
وقالت: إما الحرب، وإما أن تسلِّم بلاد الهند، وتقتصر على ملك غزنة، فأجابها إلى العود
إلى غزنة، وأن يرسل إلى أخيه في ذلك، وإنما فعل ذلك مكرا، وكان بين العسكرين نهر، وقد
حفظ الهنود مخائضه، وأقاموا ينظرون جواب غياث الدين، فجاء رجل من الهنود إلى
شهاب الدين، وأعلمه بمخاصته، فاستوثق منه، وجهز جيشا فعبروا المخاضة والهنود على
غرَّة، فلبسوهم، وكان مقدم الجيش الحسين بن حرميل الغوري، وهو الذي صار بعد ذلك
صاحب هراة، فوضع السيف في الهنود، فاستغلوا به، وأغفلوا المخائض، فعبر شهاب الدين
وبقية العسكر، ونادوا بشعار الإسلام، وأكثروا في الهنود القتل، فما سلم منهم إلا القليل،
وقتلت ملكتهم، وتمكن شهاب الدين بعد ذلك من بلاد الهند، ودانت له ملوكها، وأقطع
مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلي، وهي كرسي الممالك التي فتحها من بلاد الهند،
وأرسل عسكرا مع محمد بن بختيار، فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل إليها مسلم
قبلهم، حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق، ولعل ذلك كان في سنة ثلاث وثمانين.

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة كانت الحرب بين غياث الدين، وسلطان شاه أخي خوارزم
شاه. وذلك أن سلطان شاه تعرض إلى بعض بلاد غياث الدين، وجمع عساكره، والتقوا،
فانهزم سلطان شاه، واستعاد غياث الدين بلاده وعاد إلى غزنة.

الحرب بين شهاب الدين وملك بنارسي الهندي

وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة كانت الحرب بين شهاب الدين، وبين ملك بنارسي؛

وسبب ذلك أن قطب الدين أيبك لما أقطعه شهاب الدين مدينة دهلي أوغل في بلاد الهند،
وقتل وسبى وعاد، فبلغ ذلك ملك بنارسي، وهو أكبر ملوك الهند، وولايته من حدود
الصين إلى بلاد ملاو طولا، ومن البحر إلى مسيرة عشرة أيام من لهاوور عرضا، فجمع
جيوشه، وسار يطلب بلاد الإسلام، ومعه سبعمائة فيل، وقيل إن عسكره بلغ ألف ألف
رجل، وسار شهاب الدين نحوه، فلتقى العسكران على جون، وهو نهر كبير يقارب دجلة،
فاقتتلوا، فانتصر المسلون منهم تسعين فيلا من جملتها فيل أبيض، وباقي الفيلة قتل بعضها،
وانهزم بعضها، ودخل شهاب الدين باد بنارسي وحمل من خزائنها على ألف وأربعمائة
جمل، وعاد إلى غزنة. وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.
ستار شهاب الدين إلى الهند،
وملك قلعة بهنكر، وهي قلعة عظيمة منيعة ملكها بالأمان، ثم سار منها إلى قلعة كواكير،
وبينهما مسيرة خمسة أيام، فأقام عليها شهرا، وصالحه أهلها على مال، فصالحهم على
وسق فيل ذهبا، فقبض المال، ورحل عنها.
ملك الغورية بلخ
وفي سنة أربع وتسعين وحمسماءة ملك شهاب الدين سام ابن محمد بن مسعود مدينة بلخ،
وسام هو ابن اخت غياث الدين، وله باميان، وكان صاحب بلخ زاير يحمل الخراج إلى ملك
الخطا بما وراء النهر، فتوفي في هذه السنة، فسار شهاب الدين سام إلى بلخ، وملكها،
وخطب فيها لخاله غياث الدين، وفيها انهزم الخطا من الغورية ملك شهاب الدين
وأخيه غياث الدين ما كان لخوارزم شاه بخراسان
وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ملكا ذلك. وسبب ذلك أن محمد بن حرميل نائب
الغورية بالطالقان كان قد استولى على مرو الروذ فكاتبه جقر التركي نائب خوارزم شاه بمرو
أم يكون في جملة عسكر غياث الدين، ويفارق خدمة الخوارزمية، فلما وصل الخبر إلى
غياث الدين علم أنه ما قصد الانتماء إلا لضعف صاحبه، فطمع في البلاد، وجهز شهاب
الدين من غزنة، وسار لذلك، فوصله كتاب جقر يستحثه على السير إليه، ويسلم إليه مرو،

فسار إليها فقاتله أهله مع العسكر الخوارزمي، ثم سألو ا الأمان، فكف عنهم، وتسلم
البلد، ووعده جقر الجميل، ثم حضر غياث الدين إلى مرو، وسلمها إلى هندوخان بن
ملكشاه بن خوارزم شاه، وكان قد هرب إلى مدينة سرخس، فأخذها صلحا، وسلمها
للأمير زنكي بن مسعود، وهو من أولاد عمه، وأقطعه معها نسا، وأبيورد، ثم سار إلى
طوس فامتنع عليه أميرها، واغلق الأبواب دون ثلاثة أيام، فغلت الأسعار، وبلغ الخبز ثلاثة
أمناء بدينار، فضج أهل البلد، فطلب الأمان، فأمّنه، فخرج إليه فأكرمه، وخلع عليه،
وسيره إلى هراة، وملك البلد، ثم أرسل إلى علي شاه أخي خوارزم شاه، وهو ينوب عن
أخيه بنيسابور يأمره بمفارقة البلد، ويحذره من المقام بها، فامتنع عليه، وحصن البلد،
وخرب ما يظاهره من العمارة، فسار العسكر للحصار، فملك البلد عنوة، ونهبه عسكره
ساعة من نهار، فبلغ الخبر غياث الدين، فنادى من نهب أو آذى فدمه حلال فأعاد الناس
ما نهبوه عن آخره، وتحصن الخوارزميون بالجامع، فأخرجهم أهل البلد، فنهب الغورية ما
لهم، واحضر عل شاه بن خوارزم شاه إلى غياث الدين راجلا، فأنكر ذلك على محضره،
وعظم الأمر فيه، وحضرت داية كانت لعلي شاه، وقالت لغياث الدين، هكذا تفعل بأولاد
الملوك، فقال: لا بل هكذا، وأخذه بيده، وأقعده معه على السرير، وطيب نفسه، وسير
جماعة من الأمراء الخوارزمية إلى هراة تحت الاستظهار، وولى غياث الدين ابن عمه ضياء
الدين محمد بن علي حرب خراسان، وضم إليه وجوه الغورية، ورحل إلى هراة، وسلم على
شاه لأخيه هاب الدين، وأحسن إلى أهل نيسابور، وفرق فيهم مالاً كثيرا.
قال: ثم سّار شهاب الدين إلى ناحية قهستان، فأخرب قرية للإسماعلية، وقتل من بها من
الرجال، ونهب الأموال، وسبى الذراري، ثم سار إلى كتابان، وهي من مدن الإسماعلية،
فحصرها، فطلب أهلها الأمان لخرجوا منها، فأمنهم وأخرجهم، وملك المدينة، وسلمها إلى
بعض الغورية، فأقدم بها شعائر الإسلام، فكتب صاحب قهستان إلى غياث الدين يقول له:

إن بيننا عهدا، فما الذي أوجب محاصرة بلادي؟ فأرسل إلى أخيه شهاب الدين يأمره
بالرحيل عنها، وقال لا: ما لك ولرعيتي، فامتنع من الرحيل، فقال له الرسول: فإذا أفعل ما
أمرني به غياث الدين، وحبذ الرسول سيفه، وقطع أطناق سرادق شهاب الدين، فارتحل
كارها، وتوجه إلى الهند، ولم يقم بغزنة غضبا على أخيه.

ملكه أنهلوارة
من الهند

قال: ولما سار شهاب الدين من بلاد الإسماعيلية إلى الهند، أرسل مملوكه قطب الدين أيبك
إلى أنهلوارة، فوصلها في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، فقاتل عسكر الهند بها، فهزمهم،
وملكها عنوة، وهرب ملكها، وجمع وحشد فعلم شهاب الدين أنه لا يستمر له ملكها إلا
بمقامه بها لأنها من أعظم البلاد، فصالح على مال في العاجل والآجل، وسلمها لصاحبها
ولما توجه شهاب الدين إلى الهند عاد خوارزم شاه إلى البلاد، واسترجعها من أيدي غياث
الدين، وهرب هندرخان منه؛ وذلك في بقية سنة سبع وتسعين وسنة ثمان وتسعين.

وفاة غياث الدين
وشيء من سيرته

كانت وفاته في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فأخفيت وفاته، وكان أخوه
شهاب الدين بطوس، وقد عزم على قصد خوارزم، فاتاه الخبر بوفاة أخيه، فعاد إلى هراة،
وجلس للعزاء في شهر رجب، وخلف غياث الدين من الولد ابنه محمودا، وكان غياث
الدين مظفرا في حروبه لم تنهزم له راية، وكان قليل المباشرة للحروب، وغنما كان له ذكر
ومكائد، وكان جوادا، كريما، حسن الاعتقاد، كثير الصدقات، والأوقاف، بنى المساجد،
والمدارس بخراسان للشافعية، وبنى الخانكاهات، واسقط المكوس، وكان عفيفا عن أموال
الناس، ومن مات في بلاده ولا وارث له تصدق بما يخلِّفه، ومن مات من التجار وله أهل بغير
بلاده، سلَّم ما له لرفقته من التجار، فان تعذر ذلك سلمه للقاضي إلى أن يصل مستحقَّه،
وكان إذا وصل إلى بلد عمَّ أهله بإحسانه، سيما الفقهاء وأهل الفضل، فإنه يخلع عليهم،

ويصلهم، ويفرض لهم الأعطيات في كل سنة من خزائنه، وكان يراعي من يقصده من
العاويين، ويجزل صلاتهم وكان حين الخط، ذا فضل وبلاغة، وكان ينسخ المصاحف بخطه،
ويوقفها في المدارس التي أنشأها، ولم يظهر منه تعصب لمذهب على مذهب، وكان يميل إلى
الشافعية لأنه متمذهب بمذهب الشافعي من غير أن يطمعهم في غيرهم، ولا يعطيهم ما
ليس لهم. رحمه الله تعالى.

استقلال شهاب الدين بالملك وما فعله ورئة أخيه

استقل شهاب الدين الغوري بالملك بعد وفاة أخيه غياث الدين في شهر رجب سنة تسع
وتسعين وخمسمائة، وولى ابن أخيه محمودا مدينة بست، ولقبه أبيه، وجعله عن الملك
بمعزل، ولم يحسن الخلافة عليه بعد أبيه، ولا على غيره من أهله، فمن جملة ما فعله أن
غياث الدين كان له زوجة مغنية، فلما مات أخذها شهاب الدين، وضربها ضربا مبرحّا،
وضرب ولدها ربيب غياث الدين، وزوج أختها وأخذ أموالهم، وسيّرهم إلى بلاد الهند
على أقبح صورة، وكانت قد بنت مدرسة، ودفنت فيها أباها وأخاها، فهدمها شهاب
الدين، ونبش قبور الأموات، ورمى عظامهم، وفعل ما يناسب هذه الأفعال الشنيعة، وتوجه
إلى الهند.

حصره خوارزم

وانهزامه من الخطا

وفي شهر رمضان سنة ستمائة عاد شهاب الدين من بلاد الهند، وقصد خراسان. وسبب
ذلك أنه بلغة أن خوارزم شاه حصر مدينة هراة، فعادة من الهند حنقا عليه، وقصد
خوارزم ، فأرسل إليه خوارزم شاه يقول له:إما أن ترجع، إلا حاصرت هراة، ومنها إلى غزنة
، وكان خوارزم شاه بمرو، فأجابه شهاب الدين :لعلك تنهزم على عادتك أول مرّة، وخوارزم
تجمعنا.

فسار خوارزم شاه من مرو إلى خوارزم، فسبق شهاب الدين إليها، وحرَّق العلوفات التي في
الطريق، وقطع الطريق بإجراء المياه، فتعذَّر على شهاب الدين سلوكها، فأقام أربعين يوما
حتى أمكنه الوصول إلى خوارزم، فخرج إليه خوارزم شاه، والتقى العسكران بصوقرا،

ومعناه: المتء الأسود، واقتتلوا، وكان خوارزم شاه أرسل إلى ملك الخطا يستنجد، فسار
من بلاده بما وراء النهر لقصد شهاب الدين، فعاد عن خوارزم، ولقي أوائل عسكر الخطا في
صحراء أيدي جوي في أول صفر سنة إحدى وستمائة، فقتل منهم وأسر، ثم دهمه الخطا
في اليوم الثاني، فانهزم عسكره منهم، وبقي شهاب الدين في نفر يسير، وقتل بيده أربعة من
فيلته كانت قدعيت، وأخذ الخطا فيلين، ودخل شهاب الدين إلى أيدي جوي، فحصروه
الخطا بها، ثم صالحوه على فيل ثالث يعطيه لهم، ففعل، وخلص، وشاع الخبر في جميع بلاده
أنه عدم، ثم وصل الطالقان في سبعة نفر، وقد قتل أكثر عسكره، ونهبت خزائنه، فاخرج
إليه، وسار إلى غزنة، واستصحب معه الحسن بن حرميل لأنه بلغه انه قصد الانضمام إلى
خوارزم شاه، فجعله شهاب الدين أمير حاجب، قال: ولما وصل الخبر بقتله إلى غزنة، جمع
تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين، وهو أول مملوك اشتراه أصحابه، وقصد وصل شهاب
الدين إلى غزنة أنر بقتل الدز، فشفع فيه مماليك شهاب الدين، فأطلقه، وسار مملوك الهند له
أسمه أيبك كان قد سلم من المعركة، فلحق ببلاد الهند، ودخل المولتان، وقتل نائب السلطنة
بها، وملك البلد، وأخذ الأموال السلطانية، وأساء السيرة في الرعية، وأشاع قتل شهاب
الدين، فلما اتصل خبره بشهاب الدين سار إلى الهند، وأرسل إليه عسكراً فأخذوه، وقتل
شر قتلة، وذلك في جمادى الآخرة سنة إحدى وستمائة، وأمر شهاب الدين أن ينادي في
جميع بلاده بغزو الخطا.

قتل شهاب الدين بني كركر

كان سبب ذلك أنه لما شاع قتل شهاب الدين خرجوا من البلاد، وأفسدوا، وقطعوا
الطريق، وأخافوا السبيل، فراسلهم قطب الدين أيبك، فامتنعوا عليه، فسار شهاب الدين
من غزنة، ووصل إليهم في يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستمائة،
فاقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار إلى العصر، فينما هو كذلك، إذ أقبل أيبك نائبه بالهند،
فانهزم الكركرية، ومن انضم إليهم، وقتلوا بكل مكان، وقصد من بقي منهم أجمة هناك،

وأضرموا نارا، وكان أحدهم يقول لصاحبه: لا تنزل للمسلمين يقتلوك، ثم يلقي نفسه في
النار، فيلقي صاحبه نفسه بعده، فعمهم البلاء، وغنم المسلمون أموالهم وأهلهم، وهرب
ابن كركر بعد قتل إخوته وأهله، وكان معهم صاحب قلعة الجوديّ، ثم سار شهاب الدين
نحو لهاوور، فأقام بها إلى سادس عشر شهر رجب من السنة، وعاد إلى غزنة.

مقتل شهاب الدين
وشيء من سيرته

كان مقتله في أول ليلة من شعبان سنة اثنتين وستمائة، وذلك أ،ه لما عاد من لهاوور نزل
بمنزلة يقال لها: دميل. بعد صلاة العشاء، وكان بعض الكركريه لزموا عسكره، وقد عزموا
على قتله لما فعله بهم من القتل والأسر، فلما كان في هذه الليلة تفرق عنه أصحابه، وبقي
وحده في خركاه، فثار أولئك النفر، فقتل أحدهم بعض الحرس بباب السرادق، فثار أولئك
أصحابه ليبصروا ما به، فخلت مواقفهم، وكثر الزحام، فاغتنم الكركرية غفلتهم عن
التحفظ، فدخلوا على شهاب الدين، فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة، فمات،
ودخل أصحابه عليه، فوجدوه قتيلا على مصلاه، وهو ساجد، فقتلوا أولئك النفر
الكركرية، وقيل إن الذي قتله الإسماعيلية لخوفهم من خروجه إلى خراسان.

وكان رحمه الله شجاعاً مقداماً، كثير الغزو إلى بلاد الهند، عادلاً في رعيته، حسن السيرة
فيهما، حاكماً بينهم بإحكام الشرع الشريف، حكي عنه أنه لقي صبيا من العلويين عمره
خمس سنين، فدعا له الصبي، وقال: لي خمسة أيام ما أكلت شيئا، فعاد من الركوب لوقته
والصبيُّ معه، فنزل في داره، وأطعمه من أطيب الطعام بحضرته، وأعطاه مالا، وسلّمه إلى
أبيه، وفرق في العلويين مالا عظيما، وكان شافعي المذهب رحمه الله تعالى.

ما اتفق بعد وفاة شهاب الدين

قال: ولما قتل شهاب الدين اجتمع الأمراء عند وزيره مؤيد الملك ابن خواجا، فتحالفوا على
حفظ الخزانة والملك، وجعلوا شهاب الدين في محفة، وساروا به، فرتَّب الوزير الأمور،

وسكَّن الناس وجعل الشمسيَّة على المحفَّة، وحفَّها بالحشم، وكان شهاب الدين قد جمع
أموالاً عظيمة من بلاد الهند في سفرته، فكانت الخزانة التي معه ألفي حمل ومائتي حمل،
وأعاد الوزير من كان معه من العسكر الهندي إلى خدمة قطب الدين، فإن شهاب الدين
كان قد جمع العساكر لقصد الخطا، وفرق فيهم أموالاً كثيرة، وسار الوزير ومعه العسكر
الغزنوي، وكان الوزير والأتراك يميلون إلى غياث الدين محمود بن غياث الدين، والأمراء
الغوريّة تميل إلى بهاء الدين سام صاحب باميان، فأرسلت كل طائفة إلى من تميل إليه
يعرفونه قتل شهاب الدين، ثم سار الوزير والعسكر إلى أن وصلوا إلى كرمان المدينة التي بين
لهاوور وغزنة، وكان بها تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين، فلم عاين المحفَّة ترجّل، وقبَّل
الأرض على عادته، وتقدّم وكشف شهاب عن شهاب الدين، فلما رآه قتيلا خرَّق ثيابه،
وصاح، وبكى، وأبكى الناس، وكان من أكبر المماليك الشهابية، فطمع في ملك غزنة، فسأل
الوزير عن الأموال والسلاح والدواب، فأخبره بما خرج من ذلك وما بقي، فأنكر عليه،
وأساء جوابه، وقال: إن الغورية قد كاتبوا بهاء الدين سام صاحب باميان ليملّكوه غزنة،
وقد كتب إلى غياث الدين، وهو مولاي وابن مولاي، يأمرني ألا أترك أحداً يقرب من غزنة،
وقد جعلني نائبه فيها، وفي سائر الولاية المجاورة لها لاشتغاله بخراسان، وقد أمرني أيضا أن
أتسلم الخزانة منك، فلم يقدر الوزير على الامتناع لميل الأتراك إلى الدز، فتسلمها، وسار
بالمحفة إلى غزنة، فدفن شهاب الدين بمدرسته، وكان وصولهم إليها لثمان بقين من شعبان
سنة اثنتين وستمائة.

وفاة بهاء الدين سام
صاحب باميان ومسيره إلى غزنة ووفاته بها

وبهاء ادين هذا هو ابن أخت غياث الدين، وشهاب الدين، وكانا قد ملكاه باميان،
فأحسن السيرة، واحبه الأمراء الغوريه، وكاتبوه للحضور إلى غزنة، فأعاد عليهم الجواب
يأمرهم بحفظ البلد، وأنه واصل إليهم، وسار عن باميان مرحلتين، فوجد في رأسه صداعا

اشتدَّ عليه، فنزل وقد وقد أيقن بالموت، وأحضر ولديه: علاء الدين وجلال الدين، وعهد
بالملك إلى علاء الدين، وأصرهما بالأمراء الغورية، ومات.
ملك علاء الدين غزنة
وأخذها منه
قال: ولما توفي بهاء الدين سام، وعهد إلى ابنه علاء الدين ، وسار إلى غزنة، وعه اخوه
جلال الدين، قتلقاهما الأمراء الغورية، وخرج الأتراك معم على كره، ونزلا دار السلطنة في
مستهل شهر رمضان سنة اثنتين وستمائة، فأراد الأتراك منعهم، فنهاهم الوزير عن ذلك
لقلَّتهم، واشتغال غياث الدين بابن حرميل صاحب هراة، فاستثر علاء الدين، وجلال الدين
بدار السلطنة بالقلعة، فراسلهما الأتراك أن يخرجا من الدار، وإلا قاتلوهما، ففرقا فيهم
الأموال كثيرة واستحلفاهم، فحلفوا، واستبوا غياث الدين محمود، فانفذا خلعا إلى تاج
الدين الدز، ووعداه الجميل والحكم في دولتهما، فوصله الرسول، وقد سار عن كرمان لقصد
غزنة، فرده أبح رد، وقال: قل لهما يخرجان من غزنة، ويكتفيان بباميان، فغني لا أقدم أحدا
على ولد سيدي غياث الدين، ولم يقصد الدز بذلك حفظ البيت وإنما أراد التمهيد لنفسه،
فعاد الرسول، وأبلغهما مقالته، ووصل الدز إلى غزنة، فخرج إليه الغورية، والتقوا في خامس
شهر رمضان، فانحاز إليه الأتراك، وخدموه، فهزموا الغوريه، ودخل العسكر المدينة، ونهبوا
دور الأمراء الغورية، والباميانية، وحصر الدز القلعة، فخرج جلال الدين منها إلى باميان في
نحو عشرين فارسا ليجمع العساكر، وأوصى أخاه علاء الدين بحفظ الحصن، فشدد عليه
الدز الحصار، وضيق عليه، فأجاب إلى مفارقة الحصن، وحلف الدز أنه لا يؤذيه، وسار
علاء الدين من غزنة، فلما رآه الأتراك نهبوا ما كان معه، وأقوه عن فرسه، وأخذوا ثيابه،
وتركوه عريانا بسراويل، فبلغ الدز الخبر، فأنكر عليهم، وأرسل إليه بثياب ودواب ومال،
واعتذر إليه، فأخذ ما لبسه، ورد الباقي، ولما وصل إلى باميان لبس ثياب سوداء وركب
حمارا، فاخرجوا له المراكب الملوكية والملابس، فلم يلبس ولم يركب، وقال، أريد أن يراني

الناس على هذه الحال، وما صنع بي أهل غزنة، حتى إذا عدت إليها وخربتها ونهبت
أهلها لا يلومني أحد، ودخل دار الإمارة، وشرع في جمع العساكر.
ملك تاج الدين الدز غزنة
قال: ولما توجّه علاء الدين من غزنة، وأقام الدز بداره أربعة أيام يظهر طاعة غياث الدين
إلا أنه لم يأمر بالخطبة له ولا لغيره، وغنما: يخطب للخليفة، ويترحم على شهاب الدين
فحسب، فلما كان في سادس عشر رمضان أحضر القضاء والفقهاء والقراء والمقدمين،
وأحضر رسول الخليفة، وهو مجد الدين أبو علي بن أبي الربيع مدرس النظامية، وكان قد
حضر برسالة من دار الخلافة إلى شهاب الدين، فوجده قد قتل، وركب الدز الناس في
خدمته، وعليه ثياب الحزن، وجلس في دار السلطنة في غير المجلس الذي كان يجلس فيه
مولاه شهاب الدين، فتغير الناس عليه، وتنكروا له، فإنهم أنما كانوا يطيعونه لإظهار الطاعة
غياث الدين محمود، فلما استقل بالأمر خالفوه، ففرق فيهم الأموال والإقطاعات، واستعان
على ذلك بالخزانة التي أخذها عند مقتل شهاب الدين، وكان عند شهاب الدين جماعة من
أولاد الملوك الغورية، وغيرهم من الأكابر، فأنفقوا من خدمته، واستأذنوه على اللحاق بغياث
الدين، فأذن لهم، فلحق بعضهم به، وبعضهم بأصحاب باميان، وأرسل غياث الدين إلى
الدز يشكره على ما فعل ويطالبه بالخطبة له، ونقش السكة باسمه، فلم بفعل، وغالط في
الجواب، وطلب منه أن يخاطب بالملك، وان يعتقه من الرق، وان يزوج بن غياث الدين،
بابنة الدز، فلم يجبه إلى ذلك: قال، ولما ملك الدز غزنة أحضر مؤيد الملك الوزير، والزمه
الوزارة، فوزر كره منه.
غياث الدين محمود
بن غياث الدين بعد مقتل عمه شهاب الدين
قال: لما قتل شهاب الدين كان غياث الدين هذا ببست في إقطاعه، فبلغه الخبر، وكان
شهاب الدين قد ولي الملك علاء الدين محمود بن أبي علي بلاد الغور، وغيرها مما يجاوزها،
فلما بلغه قتل شهاب الدين، وسار إلى مدينة: فيروزكوه؛ خوفا أن يسبقه غياث الدين إليها،

فملكها، وكان حسن السيرة من أكابر بيوت الغورية إلا ان الناس كرهوا منه أنَّه كان كرَّاميا،
وكانوا يميلون إلى غياث الدين، فأنف الأمراء من خدمة علاء الدين مع وجود ابن سلطانهم،
وكان علاء الدين هذا قد احضر الناس، وحلفهم انهم يساعدونه على قتال خوارزم شاه،
وبهاء الدين صاحب باميان، لوم يذكر غياث الدين احتقارا له، فحلفوا له ولولده من بعده،
هذا وغياث الدين بمدينة بست لم يتحرك انتظارا لما يكون من صاحب باميان لأنهما كانا
قد تعاهدا في أيام شهاب الدين أن تكون خراسان لغياث الدين، وغزنة والهند لبهاء الدين
صاحب باميان، وبعد موت شهاب الدين، فلما بلغه ما اتفق من وفاة بهاء الدين وإخراج
أولاده من غزنة جلس على التخت، خطب لنفسه، وتلقب بألقاب والده، وكتب إلى علاء
الدين محمد بن أبي علي، وهو بفيروزكوه يستدعيه، ويستعطفه ليصدر عن رأيه، ويسلم
مملكته إليه، وكتب إلى الحسن بن حرميل وإلى هراة مثل ذلك، فأما علاء الدين فأغلظ له في
القول ونهدّد الامراء الذين مع غياث الدين، فسار غياث الدين إلى فيروزكوه، فارسل علاء
الدين عسكرا مع ابنه، وفرق فيهم اموالا جمة ليمنعوا غياث الدين، فلقوه بالقرب من
فيروزكوه، فلما تراءى الجمعان كشف إسماعيل الخلجي المغفر عن رأسه وقال: الحمد لله إذ
الأتراك لم يعرفوا أباهم لم يضيعوا حق التربية، وردّوا ابن السلطان ملك باميان، وانتم مشايخ
الغورية الذين لنعم عليكم والد هذا السلطان وربَّاكم، كفرتم إحسانه، وجئتم لقتال ولده
أهذا فعل الأحرار، فقال محمد المرغني، وهو مقدم العسكر: لا والله وترجل عن فرسه،
وألقى سلاحه، وقصد غياث الدين، وقبل الأرض بين يديه، وبكى بصوت عال، وفعل سائر
الغورية مثل فعله، فانهزم خواص علاء الدين مع ولده، فلما بلغه الخبر خرج عن فيروزكوه
هارباً نحو الغور، وهو يقول: أجاور بمكة، فأنفذ غياث الدين خلفه من العسكر من أدركه،
فاخذ وحبس، وملك غياث الدين فيروزكوه، وفرح به أهل البلد، وقبض على جماعة من
الكرّاميّة أصحاب علاء الدين، فقتل بعضهم، وسكن دار أبيه، وأعاد رسومه، وسلك

سبيل العدل والإحسان، ثم لم تكن له همة إلا في أمر الحسن بن حرميل، وملاطفته،
فتكررت المكاتبات منه إليه، وابن حرميل يغالطه في الجواب، ويطاوله، وكان ابن حرميل قد
كتب إلى خوارزم شاه بالانحياز إليه، وبذل الطاعة، وأنه يسلم إليه هراة، فكان بن حرميل
إلى خوارزم شاه، وملكه ما كان للغورية بخراسان، والله أعلم بالصواب.
عود علاء الدين وجلال الدين ابني بهاء الدين سام صاحب باميان إلى غزنة
قال: لما فارق علاء الدين غزنة على الصِّفة التي ذكرنا ها، والتحق بباميان، شرع في
الاستعداد وجمع العساكر لقصد غزنة، واما الدز، فانه استولى على غزنة، واحسن إلى
الناس، وبسط العدل والإنصاف، ولم يخطب لنفسه ولا لغيره، وكان يعد النا، ويقول: إن
رسولي عند مولاي غياث الدين، فغذا عاد خطبت له، فتمسك الناس بقوله، وغنما كان
يفعل ذلك مكرا وخديعة بهم بغياث الدين لأنه كان يضعف من مقاومة صاحب باميان،
وكانوا كذلك إلى خامس ذي القعدة سنة اثنتين وستمائة، فينما الناس على ذلك إذ ورد
عليهم الخبر أن صاحب باميان قد جمع الجيوش، واقبل بها، وعزم على نهب غزنة، فجهز
الدز جيوشا كثيفا من عسكره، وسيرهم إلى طريق صاحب باميان ليمنعوه من الوصول
إلى غزنة، فلم يكن لهم قبلٌ به، فلما التقوا قتل من الأتراك جماعة، وانهزم من سلم، وتبعهم
علاء الدين يقتل ويأسر، فخرج الدز من غزنة هارباً إلى كرمان، فنزل علاء الدين غزنة، واتبع
الدز إلى كرمان، فملكها، وأمن أهلها، وعزم على العود إلى غزنة، ونهبها، فراسله رسول
الخليفة، وشفع في اهلها، فشفَّعه فيهم بعد مراجعات، ثم وصل علاء الدين وجلال الدين
إلى غزنة، ومعها ما بقي من الخزانة التي كان الدز قد اخذها من الوزير مؤيد الملك، فكانت
تسعمائة حمل، وفيها من الثياب المنسوجة بالذهب اثنا عشر ألف ثوب، وقصد علاء الدين
أن يستوزر مؤيد الملك، فسمع جلال الدين بذلك فأحضره، وخلع عليه، واستوزره، فغضب
علاء الدين من ذلك، وقبض على مؤيد الملك، وقيده وحبسه، فتغيرت نيّات الناس،

واختلف علاء الدين، وجلال الدين، واقتسما ما كان في الخزانة وجرى بينهما مشاحَّة في
القسمة لا يجري بين التجار، فعلم الناس أنه لا يتم لهما أمر، ولا يستقيم لهما دولة، وعاد
جلال الدين ببعض العسكر إلى باميان، واستقر علاء الدين بغزنة، فأساء وزيره عماد الملك
السيرة في الأجناد والرعية ونهب أموال الأتراك حتى باع أمهات الأولاد.

عود تاج الدين الدز إلى غزنة

قال: ولما انفرد علاء الدين بغزنة، وأقام بها جمع الدز جمعا كثيرا من الأتراك، وعاد إلى
كرمان، وبها عسكر لعلاء الدين مع أمير يقال له المؤيد، وكان المؤيد قد اشتغل باللهو والعب،
فلم يشعر إلا عسكر الدز هجم على البلد، وقتل من فيه من العسكر عن أخرهم في
المعركة صبرا، وقتل المؤيد، فوصل الخبر إلى غزنة في العشرين من ذي الحجة من السنة،
فصلب علاء الدين الذي جاء بالخبر، فتغيمت السماء وأمطرت حتى خرب بعض غزنة،
ووقع بردٌ كبار مثل بيض الدجاج، فضج الناس إلى علاء الدين، فأنزله آخر النهار،
فانكشفت الطلمة، وكتب علاء الدين إلى أخيه جلال الدين يعلمه بالخبر، ويستنجده،
ووصل الدز آخر ذي القعدة إلى غزنة، وحاصر القلعة، ةكان بينه وبين علاء الدين قتال
شدد، وجاء جلال الدين بأربعة آلاف من عسكر باميان، فلقيه الدز بقرية بلق واقتتلوا،
فانهزم عسكر جلال الدين، واخذ هو أسيرا، وأسر من البامانية ألف أسير، وعاد الدز إلى
غزنة، فبعث إلى علاء الدين في تسليم القلعة أو قتل الأسرى، فامتنع من التسليم منهم
أربعمائة بإزاء القلعة، فراسله عند لك في طلب الأمان، فأنته، فلما خرج قبض عليه ووكل
به وبأخيه من يحفظهما وقبض على وزيره عماد الملك، وكتب إلى غياث الدين بالفتح،
وأرسل أليه الأعلام، وبعض الأسرى وذلك في صفر سنة 603

ما تفق لغياث الدين محمود مع تاج الدين
الدز وأيبك

قال: ولما عاد الدز إلى غزنة كتب غليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له، فأجابه جواب
مدافع، وكان جوابه أشد مما تقدم، فأعاد عليه الجواب يقول: غما أن تخطب لنا، وإما ان

تعرفنا ما في نفسك، فلما وصل إليه الرسول خطب لنفسه بغزنة بعد الترحم على شهاب
الدين، فساء الناس ذلك منه، وتنكروا له، ولم يروه أهلا وأن يخدموه، ولما خطب لنفسه
أرسل إلى غياث الدين يقول: بماذا تشتط على هذه الخزانة، ونحن جمعناها بأسيافنا، وهذا
الملك قد أخذته، وأنت قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة، وأقطعتهم الإقطاعات،
ووعدتني بأمور لم تف لي بشيء منها، فإن أنت عتقتني خطبت لك، وحضرت إلى عندك،
فأجابه غياث الدين إلى العتق بعد الامتناع، واشهد عليه بعتقه، وبعتق قطب الدين أيبك
النائب ببلاد الهند. وأرسل إلى كل منهما ألف قباء، وألف قلنسوة، ومناطق الذهب،
وسيوفا كثيرة، وجترين، ومائة رأس من الخيل، فقبل الدز الخلع، ورد الجير، وقال، نحن
عبيدك والجتر له أصحابه، وسار رسول أيبك، وكان بفرشابور، وقد حفظ المملكة،
وضبط البلاد، فلما قرب الرسول منه تلقاه وترجل وقبل حافر الفرس، ولبس الخلعة، وقال:
أما الجتر فلا يصلح للمماليك، وأما العتق فمقبول، وسوف أجازيه بعبودية الأبد. قال:
وأرسل خوارزم شاه إلى غياث الدين يطلب منه أن يتظاهرا، وانه يسير إليه العساكر إلى
غزنة، فإذا ملكها من الدز اقتسموا غياث الدين إلى ذلك، ولم يبق إلا الصلح، فوصل الخبر
إلى خوارزم ساه بموت صاحب مازندران، فسار عن هراة إلى مرو، وسمع الدز بالصلح،
فجزع لذلك جزعا عظيما، ظهر أثره عليه، وأرسل إلى غياث الدين يقول له: ما حملك على
هذا فأجابه: حملني عليه عصيانك وخلافك، فسار الدز إلى تكيناباد فأخذها، وإلى بت
وتلك الأعمال، وقطع خطبة غياث الدين عنها، وأرسل إلى صاحب سجستان يأمره بإعادة
الترحم على شهاب الدين، وقطع هراة بمثل ذلك، وتهددهما بقصد بلادهما. ثم أن الدز
أخرج جلال الدين صاحب باميان من أسره، وسير معه خمسة آلاف فارس من أيدكز
لإعادته إلى ملك باميان، وكان قد ملكها عباس عم جلال الدين، وعلاء الدين لما أسرهما
الدز، فاسترجعها من عمه.

قال: وبلغ قطب الدين أيبك ما فعله الدز، فكتب إليه يفتح ذلك عليه، وينكر فعله، ويقول:
إن لم تخطب له بغزنة، وتعود إلى طاعته، وغلا قصدك بلادك، ثم بعث أيبك إلى غياث
الدين بالهدايا والتحف، وأشار عليه بإجابة خوارزم شاه إلى ما طلبه الآن، وانه عند الفراغ
من أمر غزنة يسهل أمر خوارزم شاه وغيره، قال: وحلف أيدكز على الدز، فأقام بكابل،
وكتب إلى أيبك يعرفه مخالفته له، وانتصاره لغياث الدين فصوب رأيه، وأشار عليه بقصد
غزنة في غيبة الدز، فإن حصلت له فصوب رأيه، وأشار عليه بقصد غزنة في غيبة الدز،
فإن حصلت به القلعة يقين بها إلى أن يأتيه، وغن تعذرت عليه ينحاز إلى غياث الدين، أو
يعود إلى كابل، فوصل أيدكز إلى غزنة في أول شهر رجب سنة ثلاث وستمائة، فمنعوه
القلعة، فامر أصحابه بنهب البلد فنهبوا عدة مواضع، فتوسط القاضي بينهم أن يسلم إليه
من الخزانة خمسين ألف دينار ركنية، وأخذ له من النجار شيئا آخر، وخطب أيدكز بغزنة
لغياث الدين محمود، وقطع خطبة الدز، ففرح الناس لذلك، واتصل الخبر بالدز، ووصل إليه
رسول أيبك، فخطب لغياث الدين في تكيناباد، وأسقط اسمه من الخطبة، ورحل إلى غزنة،
فلما قاربها فارقها أيدكز إلى بلد الغور، فأرسل إليه خلعا سنية، وأعتقه، وخاطبه بملك
الأمراء، ورد عليه مال الخزانة، وقال له: أما مال الخزانة، فقد أعدناه إليك، وأما أموال
التجار وأهل البلد فقد أرسلناها إلى أربابها لئلا تقبح دولتنا بالظلم، وقد عوضتك عنها
ضعفيها، وأرسل أموال الناس إلى القاضي بغزنة، وأمره بردها على أربابها، ففعل ذلك،
وكثر الدعاء له، وصار الدز بين الطاعة والخلاف لغياث الدين.

مقتل غياث الدين محمود
وانقراض الدولة الغورية

كان مقتله في سنة خمس وستمائة. وسبب ذلك أن خوارزم شاه سلم هراة إلى خاله أمين
ملك، وأمره أن يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام، ويقبض عليه،
وعلى علي شاه بن خوارزم شاه، ويأخذ فيروزكوه، فسار أمين ملك إلى فيروز كوه، واتصل

الخبر بغياث الدين، فبذل الطاعة، وطلب الأمان، فأمنهفلما نزل إليه من فيروزكوه قبض
عليه، وعلى علي شاه أخي خوارزم شاه، فسألهما أن يحملهما إلى خوارزم شاه ليرى فيها
رأيه، فأرسل أمين ملك إلى خوارزم شاه ليرى فيهما رأيه، فأرسل أمين ملك إلى خوارزم شاه
يعرفه الخبر، فأمره بقتلهما، فقتلا في يوم واحد، واستقامت خراسان كلها لخوارزم شاه،
وانقرضت الدولة الغورية بقتل غياث الدين هذا.
وكانت من أحسن الدول، وأكثرها جهادا، وكان غياث الدين هذا عادلا كريما حليما، من
احسن الملك سيرة، وأكرمهم أخلاقا، وهو آخر ملوك الدولة الغورية، وكان ابتداء هذه
الدولة من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وانقراضها في سنة خمس وستمائة، فتكون مدتها
ثلاثا وأربعين وخمسمائة، وانقراضها في سنة خمس وستمائة، فتكون مدتها ثلاثا وستين سنة
تقريبا، وربما ظهرت قبل هذا التاريخ، وإنما انتشرت واشتهرت وتمكنت في سنة ثلاث
وأربعين. فلذلك جعلنا ابتداءها فيها. وعدة من ملك منهم عشرة ملوك، وهم محمد بن
الحسين وهو ين الحسن ملك ببلاد الغور قبل سنة ثلاث وأربعين، ولم أظفر بابتداء ملكه،
فاذكره في سنته، ثم ملك بعده أخوه سام بن الحسين، ثم ملك بعده أخوه سوري بن
الحسين، ثم ملك بعده أخوه الحسين، وهو أول من علا ذكره، وطار اسمه، وتمكّنت دولته،
ثم ملك بعده ابنه سيف الدين محمد بن الحسين، ثم ملك بعده شهاب الدين محمد بن سام،
ثم اضطرب أمر الدولة الغورية بعده، فملك علاء الدين، وجلال الدين ابنا بهاء الدين سام
صاحب باميان، ولم تطل مدتهما. وإنما ذكرناهما في عدد الملوك الغورية، لأنهما استوليا إلى
غزنة، وخطب لهما بها، وملك غياث الدين محمد، وكانت دولته في غاية الاضطراب كما
ذكرنا.

أخبار تاج الدين الدز

وما كان من أمره بعد مقتل غياث الدين

استقبل تاج الدين الدزبملك غزنة بعد مقتل غياث الدين محمودن وأحسن السيرة في الرعية،
ودام ملكه بها إلى أن ملكها السلطان علاء الدين خوارزمشاه محمد بن رتكش في سنة

ثنتي عشرة وستمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة الخوارزمية، ولما
ملكها خوارزم شاه هرب تاج الدين الدز من غزنة، وسار إلى مدينة لهاوور، واستولى عليها
من صاحبها ناصر الدين قباجة وهو من المماليك الشهابية بعد حرب كانت بينهما انتصر
فيها الدز، ثم سار من مدينة لهاوور إلى الهند ليملك ما بيد المسلمين منها، فلقيه شمس
الدين الترمش مملوك قطب الدين أيبك، وكان قد ملك بعد وفاة مولاه، فاقتتلا قتالا شديدا،
أجلت الحرب عن قتل تاج الدين الدر، وكان محمود السيرة في ولايته، كثير العدل والإحسان
إلى رعيته، لا سيما التجار الغرباء، ومن محاسن أعماله ومكارم أخلاقه وحلمه أنه كان له
أولاد، ولهم مؤدِّب يعلمهم القرآن فضرب أحدهم، فمات، فأحضره الدز، وقال له: يا
مسكين ما حملك على ما فعلت، فقال: والله ما أردت إلا تأديبه، فمات. فقال له:
صدقت، وأعطاه نفقة، وقال له: تغيّب، فإن أمه لا تقدر على الصبر، وربما أهلكتك، ولا
أقدر أمنعك، وهذا نهاية الحلم، ولم يشتهر الأحنف بن قيس بالحلم أكثر من هذا، وكان
القاتل ابن أخيه، وهذا أجنبي رحمه الله تعالى.

الباب العاشر من
القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار ملوك العراق، وما والاه وملوك الموصل والديار
الجزيرية، والبكرية والبلاد الشامية، والحلبية، والدولة الحمدانية، والديليمية البويهية،
والسلجوقية، والأتابكية

الدولة الحمدانية

وهذه الدولة كانت بالموصل. وديار ربيعة، وديار بكر، والثغور، وحلب، وجد ملوكها
الذين ينسبون إليه هو مكابد المحل حمدان بن الحرث بن لقمان بن راشد بن رافع بن مسعود
التغلبي العدو، إنما سمى الأمير حمدان مكابد المحل لأن الموصل أجدبت في بعض السنين
حتى عدم القوت بها، فمات الناس أجمع سنتين إلى أن أغيثوا، ففيه يقول الشاعر: مازلت في
قيظ المعيشة جاهداً حتَّى دعيت مكابد المحل وكان لحمدان أبناء كثيرون . منهم الأمير
أبو الهيجاء عبد الله، والمملكة في أولاده.

امارة أبي الهيجاء

الله بن حمدان بن جمدون بالموصل كان ابتداء إمارته في سنة اثنتين وتسعين ومائتين.
وذلك أن الخليفة المكتفى الله استعمله على الموصل وأعمالها في هذه السنة، فسار إليها
وقدمها في أول المحرم، فأقام بها يوما واحدا، وخرج من الغد بمن قدم معه وبمن فيها ، فأتاه
الصريخ من نينوا أن الأكراد الهذانية، ومقدمهم محمد بن بلال قد أغار على البلد، فسار من
وقته، وعبر الجسر إلى الجانب الشرقي، فلحق الأكراد بالعربة على الخازر، فقاتلوه فقتل
رجلٌ من وجوه أصحابه اسمه سيما الحمداني، فعاد عنهم، وكتب إلى الخليفة يستمده ،
فأتته العساكر بعد شهور، فسار في شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين إليهم، وكانوا قد
اجتمعوا في خمسة آلاف بيت، فلما عاين الأكراد الجيش قصدا جبل السلق، وامتنعوا به
وهو جبلٌ عالٍ مشرفٌ على الزاب، وجاء مقدمهم إلى أن قرب من أبي الهيجاء، وراسله
في الحضور عنده، وأن يرهن أولاده عنده، ويتركون القتال، فأجابه أبو الهيجاء إلى ذلك،
ورجع محمد بن بلال ليأتي بالرهائن، فحث أصحابه على المسير نحو أدربيجان، فبلغ بن
حمدان خبره، فأراه النجدة التي وصلت إليه من قبل الخليفة على المسير معه، فتثبطوا
عنه، فسار عبد الله بأصحابه يقفوا أثر الأكراد، فلحقهم وقد تعلقوا بالحبل المعروف
بالقنديل، فقتل منهم جماعة، وانصرف عنهم، ولحق الأكراد بأذربيجان، ورجع عبد الله إلى
الموصل، ثم خرج إلى الأكراد، وحاصرهم بجبل السلق أشد حصار، فنجا محمد بن بلال
بأهله وأولاده ومن لحق بهم، واستولى عبد الله على بيوتهم وسوادهم وأموالهم أهليهم،
فطلبوا الأمان فأمنهم، وأبقى عليهم وردهم إلى بلدهم ،ورد عليهم أموالهم، وقتل منهم قاتل
أصحابه سيما، وأمنت البلاد معه، وأحسن السيرة في أهلها،ثم حضر إليه محمد بن بلال
بأمان، وأقام بالموصل، وتتابع الأكراد الحميدية أهل جبل داسن إليه بالأمان، فأمنت البلاد،
واستقامت، ولم تزل كذلك إلى سنة إحدى وثلاثمائة

مخالفة عبد الله بن حمدان
ورجوعه إلى الطاعة

وفي سنة إحدى وثلاثمائة خالف الأمير أبو الهيجاء عبد الله على الخليفة المقتدر بالله،
فثار، به أهله،ونهبوا داره، فكتب إلى بني تغلب، فأتوه فدخل الموصل، وأوقع بأهلها وقتل
منهم فأرسل إليه الخليفة مؤنسا المظفر في جيش، فقصده أبو الهيجاء واستأمن له، وأظهر
الطاعة، وقال: إنه ما فارقها، وسار معه إلى بغداد، فخلع المقتدر عليه، وولى مكانه نحرير
الصغير ولاه مؤنس المظفر.
القبض على بني حمدان
واطلاقهم
وفي سنة ثلاث وثلاثمائة قبض الخليفة المقتدر بالله على أبي الهيجاء ابن حمدان، وجميع
إخوته وحبسهم، وكان سبب ذلك أخاه الحسين بن حمدان خرج عن الطاعة ، وكان
بالجزيرة، فسير إليه الخليفة جيشاً،وكان بينهم حروب كان آخرها أن الحسين أسر أحضر
إلى بغداد، فقبض المقتدر على جميع إخوته وأهله، وحبسهم واستمروا في الحبس بدار
الخليفة إلى سنة خمس وثلاثمائة فأطلقوا. وفي سنة ثمان وثلاثمائة خلع المقتدر بالله على أبي
الهيجاء بن حمدان، وقلّده طريق خراسان، والدَّينور، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي
السرايا.
وفي سنة عشرة وثلاثمائة. أسر القرامطة أبا الهيجاء بن حمدان، ثم أطلقوه، وقد تقدم ذكر
ذلك في أخبار القرامطة. وفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة ضمن أبو الهيجاء أعمال الخراج
الضياع بالموصل وقردي وبازبدي، وما مع ذلك مضافا إلى ما بيده من ولاية طريق
خراسان، وغيرها، وكان هو مقيما ببغداد وابنه ناصر الدولة يخلفه بالموصل، وأقام على
ذلك إلى أن قتل في يوم الاثنين سابع عشر المحرّم سنة سبع عشرة وثلاثمائة عند خلع المقتدر
بالله وبيعة القاهر على ما شرحناه مبينا في خلافة المقتدر بالله.
وكان القاهر بالله لما بويع بالخلافة في النصف من المحرم اختص بأبي الهيجاء حمدان، فلما
ثار الجند بعد يومين من بيعته كان أبو الهيجاء عنده، فبادر بالقيام ليخرج، فتعلق القاهر
بأذياله، واستجار به، فحملته الحمية العربية على الثبات، ودخل الأجناد على القاهر وهو

وأبو الهيجا يتخللان القاعات حتى حصرا بقاعة، فدخل عليهم الجند من بابها، فجرد أبو
الهيجاء سيفه، وأوقف القاهر وراءه، وصار يحمل على الأجناد، فيردهم إلى الدهاليز، ثم
يعود ويعودون، فصعد بعض الجند إلى أعلى القاعة، ورموه بالنشاب إلى أن مات. هذا
أحد ما قيل في صفة قتله. وكان شجاعاً فاتكا كريما محبوبا إلى الخلفاء والأمراء، وخلف
من الأولاد: أبا محمد الحسن، وأبا الحسين علي، وأبا العطاف خير، وأبا زهير. والمملكة
من هؤلاء في الحسن وعلي وعقبهما، واستبد ابنه الحسن بالأمر على ما نذكره بعد ذكرنا
لأخبار عمه الحسين بن حمدان.

أخبار الحسين بن حمدان

بن حمدون، وهو أخو أبي الهيجاء

كان الحسين هذا من أمراء بني حمدان المشهورين ولي قمّ وأعمالها، والموصل، والجزيرة،
وغير ذلك من الأعمال الجليلة، وكان شجاعاً، سفاكاً، ذا همّة عالية، اجتمع عنده نيِّف
وعشرون طوقا من خلع الخلفاء كلّ طوق منها لقتله خارجيّاً، ولم يزل عند الخلفاء يعدّ
للمهمات إلى أن خالف على المقتدر بالله في سنة ثلاث وثلاثمائة. وكان إذ ذاك بالجزيرة،
وجمع نحواً من عشرة آلاف، فبعث المقتدر لحربه رائقاً الحجري في جيش كثيف، فانهزم
الحسين، وقصد ابن أبي الساج بأذربيجان، ومرَّ على أرزن فخرج إليه واليها ليردَّه، فهزمه
الحسين، وكان مؤنس المظفَّر بالقرب من أرزن، فبعث إليه من أدركه، وقبض عليه، وأدخل
إلى بغداد، وهو مشهور علة جمل في زي شنيع وابنه كذلك، وقبض عند ذلك على سائر
إخوته، وهم أبو الهيجاء، وأبو العلاء سعيد، وأبو السرايا، وأبو الوليد، وحمدون، واعتقلوا
في دار الخلافة، ولم يترك منهم إلا داود، وأقام الحسين في الحبس إلى أن عزم الخليفة على
إخراجه في سنة خمس وثلاثمائة وتوليته مقدمة الجيش لمحاربة يوسف بن أبي الساج، فلم
يفعل، وامتنع، وقال: الساعة لما احتجتم لي، فغضب الخليفة لذلك، وأمر قاهرا الخادم أن
يقتله، فقتله في الحبس، ورمى رأسه إليه ورميت جثَّته في دجلة، وأطلق عند ذلك سائر بني

حمدان، وما منهم، إلا من له ذكر وتقدم، وإنما خصصنا عبد الله والحسين بالذكر دون
غيرهما من إخوتهما لاشتهارهما في الدولة العّباسية،
وتقدمهما، ولأنهما وليا جلائل الأعمال،
وتقدما على الجيوش في الحروب. وقد تقدم من أخبارهما في الدولة العباسية ما يستدل به
على تقدمهما وشجاعتهما، وذكرنا أيضاً في أخبار الخوارج بالموصل كيف كان ظفر الحسين
بهارون الخارجي الذي كانت فتنته قد عمت، فلنذكر الطبقة الثانية منهم، وهم أولاد عبد
الله بن حمدون.

ناصر الدولة

هو أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ابن حمدون. لما قتل والده كان
يخلفه بالموصل وأعمالها، فتقدم في خدمة الدولة العباسية، وتنقل في الولايات إلى أن تولى
الموصل في أيام الراضي بالله، وتغلب عليها في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة لما ضعفت
الدولة العباسية، فندب ابن مقلة الوزير إليه عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان، وولاه
الموصل، وأمره بالقبض على ناصر الدولة، فلما قرب من الموصل، خرج ناصر الدولة لتلقيه،
فخالفه سعيد، ودخل البلد ونزل داره، وقبض على خزائنه، فبلغه الخبر فرجع عجلا،
ودخل الدار، وقبض على عمه، وأمر بعض الغلمان بعصر مذاكيره، فعصرت حتى مات،
وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، فاتصل الخبر بابن مقلة، فتجهز في
العساكر الخليفية، وسار من بغداد إلى الموصل لخمس خلون من شعبان، وكان ناصر الدولة
لدهائه ومكره لا يصافف من يقصده، فلما بلغه خبر مسير بن مقلة، رفع أمواله وخزائنه
وحرمه إلى قلعة الموصل، وجعل فيها من خواص غلمانه من يدفع عنها، ثم خرج من
الموصل في عسكره، وأخرج معه كل تاجر في البلد، ولم يترك بالموصل علوفة ولا قوتا إلا
رفعه إلى القلعة، فوصل الوزير بن مقلة إلى الموصل، وهي بهذه الصفة، فأقام بحال سيئة،
وبعث بالعساكر مع علي بن خلف بن طيَّاب في طلب ناصر الدولة، فسار خلفه ودخل
ناصر الدولة إلى أرمينية، فعاد ابن طياب ولم يتبعه، وطال المقام على ابن مقلة، ونفدت

الأقوات، فقلد الموصل لعلي بن خلف، وقلد جزيرة ابن عمر لما كرد الدّيلمى، وقلد عبد الله
بن أبي العلاء المقتول والده نصيبين وعاد إلى بغداد، وانتهى الخبر إلى ناصر الدولة، فخرج
من أرمينية، وقد أطاعه سائر ملوكها وجبى خراجها، وقصد الجزيرة وبها ما كرد، فكاتب
ما كرد من كان مع ناصر الدولة من الأمراء، ووعدهم عن الوزير ابن مقلة، فاستأمنوا إليه،
وفارقوا ناصر الدولة، فانفصل عن الجزيرة كالمنهزم وراسل علي بن أبي جعفر الديلمى وهو
مع علي بن خلف بالموصل، ووعده الجميل والإحسان إليه، فأفسد من مع ابن طياب،
ووصل ناصر الدولة إلى الموصل ودخلها، فاستأمنوا إليه، وخرج بن طياب هارباً في ليلة
الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ثم جهز ناصر
الدولة الجيوش مع علي بن أبي جعفر إلى الجزيرة لقتال ما كرد، وإخراجه منها، فلما قرب
منها، فارقها ما كرد وسار إلى نصيبين، واستنجد بأبي ثابت العلاء بن المعمر، فجمع له،
العرب وأنجده، فكتب عليٌّ لناصر الدولة بالخبر بأخيه سيف الدولة على بن عبد الله،
وأمر علي بطاعته، ثم سار ناصر الدولة بنفسه تابعاً لأخيه وقاتل ما كرد وأبا ثابت، فقتل
أبو ثابت، وهرب ما كرد إلى الرقة، وانهزمت بنو حبيب بعد مقتل أبي ثابت إلى بلاد الروم
وتنصروا إلى الآن، واستقامت مملكة الموصل، وديار ربيعة، ومضر لناصر الدولة، وفي سنة
سبع وعشرين وثلاثمائة خرج الخليفة الراضي بالله، ومعه بجكم طالباً الموصل، فأخرج
ناصر الدولة جيشه مع ابن عمه الحارث بن سعيد، فلما التقى الجيشان، وقع في جيش
ناصر الدولة أنه استأمن، فانهزموا إلى ناصر الدولة، فدخل الموصل في ليلة الجمعة لليلتين
بقيتا في المحرم، وصلى الجمعة، ثم خرج من الموصل، ودخلها بجكم يوم السبت، وسار
ناصر الدولة إلى الخالدية ثم رحل منها يريد برقعيد، وبقى بها جماعة من أهله، ووافى
بجكم الخالدية، فأوقع بهم وخرج أبو وائل وتمادي الأمر على ذلك، ثم وقع الصلح على مال
بذله الحسن، وعاد ناصر الدولة إلى الموصل لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر منها، واستمر

إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة، والله أعلم بالصواب.
ولاية ناصر الدولة امرة الأمراء بالعراق
كان سبب ذلك أن أبا الحسن بن البريدي لما ملك بغداد، وهرب المتقي لله إلى الموصل،
ومعه أمير الأمراء أبو بكر بن رائق، واستنجد بناصر الدولة، فقتل ناصر الدولة ابن رائق في
شهر رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة كما قدمنا ذكر ذلك في أخبار الدولة العباسية، فرد المتقي
لله تدبير الدولة إلى ناصر الدولة وساروا جميعاً إلى بغداد ومع ناصر الدولة أخوه سيف
الدولة، فانهزم البريديون من بين يديه، وتولى ناصر الدولة إمرة الأمراء، ونعته المتقي بهذا
النعت، ونعت أخاه: سيف الدولة، وخلع عليهما. وذلك في شوال سنة ثلاثين وثلاثمائة،
وزوج المتقي لله ولده أبا منصور بابنة ناصر الدولة، وضرب ناصر الدولة السكة عياداً لم
يضرب قبله مثله إلا السندي، وزاد على نقش السكة محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو أول من فعل ذلك ،وأقام ببغداد ثلاثة عشر شهراً، ثم اجتمعت الأتراك، وقدَّموا
عليهم توزون، وهو بواسط، وسيف الدولة في عسكره معهم، وبلغ ناصر الدولة قيام الأتراك
فسار إلى الموصل صحبة المتقي، وأمر أخاه سيف الدولة بمناصبة الأتراك، فكبسه توزون
ليلا، فانهزم إلى الموصل، ثم راسل توزون المتقي في الصلح فأجاب، ورجع فكان من أمره
والقبض عليه وسمله ما قدمناه.
وأقام ناصر الدولة بالموصل لا يتعرض لبغداد إلى أن ملكها معز الدولة بن بويه الديلمىّ،
فتحرك إليها في جمادى الآخرة سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائة، وحاصر معز الدولة بن بويه حتى
كاد يأخذه، ثم رجع عنها في صورة منهزم وامتنع من حمل المال، فتجهز معز الدولة إلى
الموصل لقتاله، فرفع أمواله إلى القلعة، ولم يترك في البلد قوتا ولا علوفة البتَّة وبقي في خيل
جريده. فلما قرب معز الدولة إلى الموصل فارقها ناصر الدولة، وسار فكان تارة بنصيبين
وتارة بآمد وتارة ببلد، ونزل معز الدولة قصر ناصر الدولة، وأقام بالموصل، فنفدت الأزواد
فبعث بغالاً تقلّه مع سراياه إلى القري لتحصل الأقوات والعلوفات، ففَّرق عند ذلك ناصر

الدولة بنيه، وهم ثمانية كل منهم تزيد مماليكه وغلمانه على خمسمائة رجل، فكانوا لا
يجدون سرية إلا هزموها، ولا قافلة إلا نهبوها، فإذا خرج معز الدولة في طلبهم تكشفوا بين
يديه، ويخلفه ناصر الدولة إلى الموصل، فيأخذ ما يجد بها من الأموال، ويرفعه إلى القلعة،
وإن وجد أحداً من قواده سجنه بها، فكان هذا دأبه إلى أن استقر الصلح بينه، وبين معز
الدولة في سنة خمس وثلاثين. وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في شهر رجب ملك معز
الدولة ابن بويه الموصل، وفارقها ناصر الدولة إلى نصيبين، فتبعه معز الدولة، ففارقها، وبعث
أولاده إلى الموصل لقتال من فيها، فرجع إليهم معز الدولة، فانكشفوا بين يديه، فسار إلى بلد،
واجتمع ناصر الدولة بأولاده، وسار إلى الموصل، فأسروا من أصحاب معزِّ الدولة الذين
تركهم بها نيفا وسبعين قائداً: فقيَّدهم ناصر الدولة، وحملهم إلى القلعة، ومعهم ستمائة من
الجند، ووجد مائة وثلاثين بدرةً لمعزِّ الدولة، فأخذها، وخرج من الموصل ومضى إلى
حلب، وأقام عند أخيه سيف الدولة، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن تم الصلح بين معزِّ
الدولة بن بويه وسيف الدولة، وأبي تغلب بن ناصر الدولة على إطلاق الأسري وردِّ ثمانين
بدرة، فأجاب إلى ذلك ناصر الدولة، ورجع معز الدولة إلى بغداد، وعاد ناصر الدولة إلى
الموصل، ولم يزل بها مالكاً لها من غير منازع إلى أن قبض عليه ولده.

القبض على ناصر الدولة
ووفاته

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة في ليلة الثلاثاء لست بقين من جمادى الأولى، قبض عدة
الدولة أبو تغلب فضل الله على والده ناصر الدولة، وهو نائم بعد أن شاخ وكبر، فحمله
على فراشه إلى قلعة الموصل، واعتقله بها، فكان بها إلى أن مات، وكانت وفات في يوم
الجمعة وقت العصر لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة، فكانت مدة تغلّبه نحواً من ثلاث وثلاثين سنة، سوى ولاية الموصل قبل ذلك.
وكان له من الأولاد عشرة وهم: عدة الدولة الغضنفر أبو تغلب فضل الله، وكان قد ولاّه

الجزيرة، وأبو المظفر حمدان ولاه نصيبين. وأبو الفوارس محمّد ولاه الموصل، وأبو القاسم هبة
الله ولاه بلد، وأبو طاهر إبراهيم ولاه سنجار، وأبو المرجّى جابر. وأبو البركات لطف الله،
وأبو المطاع ذو الرنين، وأبو عبد الله الحسين.
كتّابه: دنجا بن إسحاق، كان كاتب المطيع لله، أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي،
وأبو الحسن الباهلي، وبهلون بن هاشم، وأبو القاسم بن مكرم.
أخبار سيف الدولة
هو أبو الحسن على بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون. كان في ابتداء أمره
في خدمة أخيه ناصر الدولة إلى أن دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، فانفرد سيف
الدولة بديار بكر، والسبب في ذلك أن علي بن أبي جعفر الديلمي لما استأمن إلى ناصر
الدولة كما ذكرناه، وخرج على علَّي بن خلف بن طياب سأله أن يولِّيه الجزيرة عند إخراج
ما كرد منها، فاعتذر عنها، وكان أحمد بن نصر القنسوري بديار بكر في عدّة قليلة، فجهز
ناصر الدولة مع علي ابن أبي جعفر جيشاً، وأمره أن يسير إلى ديار بكر، فانصرف أحمد
ابن نصر عنها، ودخلها عليّ بن أبي جعفر، وسكن أرزن، وأقام الدعوة لناصر الدولة، وهو
في خلال ذلك يحصِّن البلد، ويستكثر من الرجال والأجناد، فنمى الخبر إلى ناصر الدولة،
فلم يأمن شرِّه، وأمره بالقدوم عليه، فأبى ذلك، وأظهر العصيان، فندب ناصر الدولة عند
ذلك أخاه سيف الدولة لحربه، وقال له: إن فتحت ديار بكر، وقبضت على علّي الديلمى،
ملّكتك بلادها وقلاعها من غير أن تحمل عنها شيئاً لخليفة، ولا لغيره، فسار سيف الدولة
في ألف فارس، فتحصَّن منه في قلعة أرزن وهي المعروفة بحصن العيون، فنزل سيف الدولة
تحتها على النهر المعروف بسربط، وحصر عليا بها، فبعث الديلمىّ حاجبه بدر الجستاني
إلى ابن يرنيق ملك أرمينية، وإلى سائر بطارقتها يستنجد بهم على سيف الدولة، فاتّصل
خبر الحاجب بسيف الدولة، فرصده عند عوده، فقبض عليه، فسأله الديلمى الأمان على
أن يمضي إلى بغداد، أو يبقى في خدمته، فأجابه إلى ذلك، وحلف له، ونزل إليه وسلّم

القلعة،فوفّى له سيف الدولة، وأقام عليّ في خدمته إلى أن استأمن إلى ابن رائق، وملك
سيف الدولة بعد ذلك جميع بلاد أرمينية وما جاور بلاد بكر، ثم ملك حلب وانتزعها من
يد الأخشيدية، ثم قلّد بعد ذلك الثغور الجزيرية، وهي طرسوس، وعين زربة، والمصيصة،
وما جاورهم من الثغور، من غير أداء مال عن شيء مما بيده من الأعمال؛ لأنه كفى
المسلمين أمر الروم نحواً من أربعين وقعة له وعليه. وكان بعيد الهمة شجاعاً يلقى الأمور
بنفسه.
وكان شاعره أبو الطيب المتنبي يمدحه في كل غزاة، ويذكر وقائعه، فكان الدمستق يقول:
بلينا بشاعر كذّاب، وأميرٍ خفيف الركاب
وكان لسيف الدولة خمسمائة غلام أقران لهم بأس شديد، إذا حمل بهم في جيش حزقه.
وكان سنه عند ولايته خمس عشرة سنة، فظهرت شجاعته.
وكان أديباً فاضلاً وله شعر
ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر، ومن جملة غزواته أنه خرج غازياً في ذي القعدة سنة ست
وعرين وثلاثمائة، فانتهى إلى حصن دادم وسار إلى حصن زياد، فشارف فتحه، وأقام عليه
تسعة أيام، فوافاه الدمستق في مائتي ألف، فانكفأ راجعاً يريد شمشاط، وخيول الروم
تسايرة، فلما كان يوم النحر وصل إلى موضع بين حصنى زياد، ودادم وسلام، فوقف،
وأقبلت عساكر الروم، فناجرهم القتال، فهزم الله الروم، وأسر سيف الدولة منهم سبعين
بطريقاً، ولم يزل القتل والأسر فيهم إلى الليل، وأخذ سرير الدمستق وكرسيه. ولسيف الدولة
مع الروم وقائع كثيرة مشهورة ذكرها كثير من المؤرخين تركناها لاشهارها.
وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة. ملك سيف الدولة مدينة حلب، وانتزعها من يد أحمد بن سعيد
الكلابّي صاحب الإخشيد، واتفق خروج العدوّ إلى تلك النواحي، فسار إليهم، وأوقع بهم
وقعة عظيمة، فاعتصموا منه بجبل منيع، فصعد إليهم، فكان منهم من ألقى نفسه من الجبل
فمات، وغنم منهم غنيمة عظيمة.
ولما بلغ الإخشيد ذلك أنفذ عسكره مع كافور، فهزمهم سيف الدولة، ودخل حمص

وأعمالها، فملكها وسار إلى دمشق، ودخلها، فكاتبه الإخشيد، وبذل له الموادعة بعد أن
بذل له أن يمل إله من المال نظير ما كان يحمل لابن رائق، فم يجب إلى ذلك، وقال: جوابك
إذا دخلت مصر إن شاء الله. ثم جرت بينهما أمور، واتَّفقا على أن يكون لسيف الدولة
حمص، وحلب، وما بينهما، وأفرج عن دمشق، وتزوج بابنة أخي الإخشيد. ثم مات
الإخشيد عند رجوعه على ما نذكره في أخباره، وذلك في المحرم سنة خمس وثلاثين
وثلاثمائة، فمضى سيف الدولة إلى دمشق، واستأمن إيه جماعة منهم: يانس المونسى، وأقام
بها. ثم سار لحرب كافور الإخشيدي، فنزل اللَّجون والإخشيدية بقربه، والتقوا، فانهزم
جيش سيف الدولة، ورجع هو إلى دمشق، فأخذ والدته وخاصَّته وأمواله، وسار إلى
حلب، ثم وقع الصّلح بينهم في سنة ست وثلاثين على ما وقع بينه وبين الأخشيد أولاً.
وفي فتح سيف الدولة دمشق يقول الخالديان:

ياسيف الدولة آل النبي حويت العلا دولة وابتداء
ليهنك أنَّك داني الندا ومجدك فوق النجوم اعتلاء
وأنَّك لما ملكت الملوك تكبرَّت أن تلبس الكبرياء
ولما حويت العراق انكفيت إلى عرصات الشام انكفاء
وجزت دمشق فطهرتها وأبدلتها بالظلام الضياء
وما مصر عنك بممنوعة إذا ما استعنت عليها القضاء

وفي سنة ست وثلاثين ظفر سيف الدولة القرمطي الملقب بالهادي، واستنفد أبا وائل.
وفي سنة إحدى وأربعين بني سيف الدولة مرعش، فسار إليه الدمستق، فأوقع به سيف
الدولة. وفي سنة اثنتين وأربعين فتح حصن العريمة، وأخرب مدينة ملطية، وكان الدمستق
قد أخرب الحدث في سنة سبع وثلاثين، فسار إليه سيف الدولة، ونزل به في يوم الأربعاء
لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين، فحطّ الأساس، وحفر أوله
بيده، وحفر الناس وأقام إلى أن بناه ووضع بيده آخر شرافة منه لثلاث عشرة ليلة خلت
من شهر رجب من السنة. وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.ورد على سيف الدولة من
سائر الثغور طرسوس، وأذنة، والمصيصة رسل نوابه، ومعهم رسول ملك الروم في طلب

الهدنة، فهادنهم، ولم يزل سيف الدولة في ملكه يوماً له ويوماً عليه إلى أن كبرت سنه.
وضعف في آخر عمره واضطرب أمر دولته.
اختلال دولته
واستيلاء الدمستق على حلب، وما أخذه من أموال سيف الدولة
قال: ولما كبر سيف الدولة وضعفت قدرته لمرض لحقه في آخر عمره فلج منه نصفه،
وتفرقت عنه البوادي وتقاعد عنه المسلمون، وفسد ما بينه وبين ابن الزيات أمير الثغور من
قبله، واشتغل عنه أخوه ناصر الدولة بحرب معز الدولة،فلم ينجده، فقويت الروم، واستولى
الدمستق على الثغور، ثم قصد حلب في حشد عظيم من الروم والأرمن، فلم يشعر به
سيف الدولة إلا وقد أطلَّ على البلد، فقاتله سيف الدولة، وحمل بنفسه وغلمانه وابن
أخيه هبة الله بن ناصر الدولة حتى كاد أن يؤخذ، فانهزم، وملك الروم دالاه بظاهر حلب
وكان ذرعها ستة آلاف ذراع، وأخذ منها ما لا يحصى من الأموال، فكان من جملة ما
أخذ مائة بدرةٍ ذهباً، ومائتا بدرة من الورق، وثلاثمائة حمل من البزّ الفاخر، وخمسون حملاً
من الديباج، ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحصى كثرة، ومن الخيل ثمانمائة فرس، ومن
البغال ألفا جمل، ونقل سقوف الدار معه.
وكان نزوله على حلب في يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة إحدى
وخمسين وثلاثمائة، وفتح البلد في يوم الثلاثاء، وأقام فيه إلى يوم الثلاثاء الكائن بعده، وتحصن
أهل حلب في القلعة بما أمكنهم من الأموال، واستولى الدمستق على البلد بما فيها، ثم
فارقها، ورجع سيف الدولة إليها، وقد ذهب أكثر أمواله، فبعثت له أخته هدية من ميَّا
فارقين كان من جملتها مائة ألف دينار.
وفاة سيف الدولة
كانت وفاته رحمه الله في الضحى من نهار الجمعة لخمس بقين من صفر سنة خمس
وخمسين وثلاثمائة، وكان مولده في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة
ثلاث وثلاثمائة، فكان عمره اثنين وخمسين سنة وشهرين وثمانية أيام، وكانت مدة ملكه نحواً
من ثلاثين سنة، وكان شجاعاً كريماً معجباً بارائه محباً في الفخار والبذخ مظفراً في حروبه

جائراً على رعيته، اشتد بكاء الناس منه وعليه، وكان له من الأولاد خمسة. وهم: أبو
الهيجاء عبد الله، توفي في حياة أبيه في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة. وأبو البركات وهو
أكبرهم، توفي في حياة أبيه في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. وأبو المعالي
شريف، وهو الذي ملك بعد أبيه. وأبو المكارم مات في حياته. وست الناس ابنته.
كتابه: أبو الحسن علي بن الحسين المغربي والد الوزير وأبو محمد بن الفياض. وأبو إسحاق
محمد أحمد القراريطي. وأبو الفرج محمد بن علي السرّمرّائيّ، وأبو عبد الله محمد بن
سليمان بن فهد الموصلي وغيرهم.
حجابه: نجا غلامه، وقرعوية، وبقى.
فهذه الطبقة الثانية من آل حمدان. فلنذكر الطبقة الثالثة منهم.
عدة الدولة الغضنفر
وهو أبو تغلب الغضنفر ابن ناصر الدولة أبي محمد الحسن أبي الهيجاء عبد الله بن
حمدان بن حمدون.
ملك الموصل، وما كان بيد أبيه عند قبضه على والده ناصر الدولة في ليلة الثلاثاء لستٍّ
بقين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وأطاعه سائر إخوته إلا أبو المظفر
حمدان، وهو الذي يليه في العمر. وكان ناصر الدولة قد قلده الرحبة، ولما مات عمه سيف
الدولة سار إلى الرقة ونصيبين، فملكها، وسوَّغه والده ارتفاع جميع تلك البلاد. فكتب أبو
المظفر إلى أخيه أبي تغلب يأمره بإطلاق والدهما ناصر الدولة، وتوعدَّه إن لم يفعل، فغضب
لذلك، وفسد الحال بينهما، وجرت بينهما أمور يطول شرحها، فجهز أبو تغلب جيشاً لقتال
أخيه، وجعل عليه أخاه أبا البركات، فكان له معه حروب ووقائع، آخرها أن أبا المظفر
حمدان ظفر بأخيه أبي البركات، وضربه على رأسه، فسقط إلى الأرض، فأخذه أسيراً
واستباح سواده، وانقسم عسكره بين مستأمن إلى حمدان، وأسير، وقتيل، ثم انكفأ حمدان
إلى قرقيسياء ليعالج أخاه من ضربته، فمات أبو البركات بعد أيام فأنقذه حمدان في تابوت إلى
الموصل، واستحكمت عند ذلك العداوة بين بني حمدان، وبين أخيهم أبي تغلب. واختلف

باقي الأخوة، وكانوا متفرقين في أعمالهم فاحتال أبو تغلب على أخيه محمد، وكان والياً على
نصيبين حتى قبض عليه، وذلك في شعبان سنة ستين وثلاثمائة واعتقله في قلعة أردمشت،
فلم يزل بها حتى هرب أبو تغلب، وملكها عضد الدولة بن بويه، فاطلقه وأكرمه، ورد عليه
ضياعه ومنها قلعة: الشعباني، وقلعة هارون، وغيرهما من القلاع. وفي سنة إحدى وستين
وثلاثمائة سلّم أخو حمدان لأمه لأبي تغلب الغضنفر قلعة ماردين، فأخذ منها جميع أمواله
وحرسه، وكان المحاصر له بجيش أبي تغلب أبو اليقظان عمار بن أبي السرايا نصر بن
حمدان. وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة في آخر يوم من شهر رمضان أوقع أبو القاسم هبة
الله بن ناصر الدولة بالدمستق ملك لروم الوقعة المشهورة، وكان الدمستق في نحو خمسين ألفاً
فأسر أبو القام، وقتل أكثر الجيش وكانت الوقعة على بلد. قال: ثم أخذ أبو تغلب في
استفساد إخوته واحداً بعد واحد حتى صاروا بأجمعهم إليه إلا أبو طاهر إبراهيم، فإنه
استأمن إلى بختيار، ومضى إلى بغداد. وسار أبو تغلب بجماعة إخوته إلى قرقيسياء، فنزل
بها، وبعث أخاه، أبا القاسم هبة الله إلى الرحبة في جيش ليوقع بأخيه حمدان، فخرج
حمدان هارباً، واتبعه ابنه أبو السرايا وسلك طريق البرية، وكاد هبة الله أن يأخذه. وقيل:
إنه قدر عليه وتركه، وسار حمدان إلى بغداد، فدخلها في ذي الحجة سنة ستين وثلاثمائة،
واجتمع بأخيه إبراهيم، وأقاما عند بختيار مدة، ثم كوتب إبراهيم من الموصل بالعودة إلى
طاعة أخيه فهر، فأغضب ذلك غز الدولة بختيار وسار إلى الموصل في شهر ربيع الأول
سنة ثلاث وستين، فدخلها، ورحل أبو تغلب إلى سنجار. ثم تقرر الصلح بينهما على أن
يفرج أبو تغلب لأخيه حمدان عن ضياعه التي كان قبض عليها، فأجاب إلى ذلك، وأفرج له
عنها، واستقر ملك الغضنفر بالموصل إلى أن ملك عضد الدولة بن بويه بغداد، وأخرج ابن
عمه عز الدولة بختيار إلى الشام وشرط عليه ألا يتعرض إلى بلاد عدة الدولة الغضنفر،
فأجاب إلى ذلك، وسار وصحبته حمدان بن ناصر الدولة فلما وصل مبكراً أفسد حمدان

نيته، وحرضه على طلب بلاد أخيه أبي تغلب، فعزم على ذلك، وسار فنزل تكريت،
فوصل إليه علي بن عمر الكاتب بهدية من أبي تغلب، وصحبه في الطرق، فلما خلا به
أفسد بينه وبين حمدان وعرفه أن مصالحة أبي تغلب بإفسادحمدان هي الرأي الصريح،
وذكر أنه سلم حمدان إلى أبي تغلب عاضده على إخراج عضد الدولة من العراق وأعاد
مملكته إليه، ولم يزل يغريه إلى أن بعث لأبي تغلب، وأخذ عليه العهود بذلك، وقبض عند
ذلك على حمدان، وسلمه لأبي تغلب، وأخته جميلة، فحسباه، ثم قتلاه صبراً، وهرب ولده
أبو السرايا إلى عضد الدولة ببغداد.

فساد حال عدة الدولة

وزوال ملك بني ناصر الدولة وما ان من أمر عدة الدولة إلى أن قتل

قال: ولما قتل أخاه جمع الجموع لنصرة عز الدولة بختيار وجمع بختيار أيضاً، وسارا إلى
بغداد وخرج عضد الدولة، فنزل الحصن غربي سامرا، ونزلا تجاهه، وباكروا القتال في يوم
الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من السنة، وبعث الجيوش في طلب أبي
تغلب عدة الدولة، ومحمد ابن عمه معز الدولة،فتنقل أبو تغلب في البلاد من مدينة إلى
أخرى، والجيوش تطلبه إلى أن سار إلى حصن زياد، وكاتب ملك الروم قلاروس المنعوت
بورد يستنجده، وكان ورد قد خرج عليه ملك آخر، وانقضت عنه جموع الروم، فبعث إلى
أبي تغلب يسأله اللحاق به ليلقى الخارج عليه، فإن نصر عليه عاد معه لنصرته، فبعث إليه
أبو تغلب قطعة من جيشه، ثم عاد نزل بآمد وأقام بها قريبا من شهرين، فاستولى عضد
الدولة على ميافارقين والجزيرة، وسائر بلاد عدة الدولة ففارق آمد عند ذلك، وسار إلى
دمشق، وملك عضد الدولة آمد والرحبة، وسائر بلاد بني حمدان إلا ما كان في يد سعد
الدولة بن سيف الدولة، فإنه لم يتعرض إليه كحلب، وديار مضر، وربيعة، وما والاها من
الحصون والبلاد لخدمة خدمه بها سعد الدولة، ثم ملك عضد الدولة بعد ذلك قلاع أبي
تغلب التي فيا أمواله وذخائره وهي من جانب دجلة الشرقي على طريق الجزيرة.

قال: ولما وصل أبو تغلب إلى دمشق وجد قسَّام العيّار متغلباً عليها، فنزل بظاهرها،
وكتب إلى العزيز خليفة مصر يسأله أن يوليِّه الشام، فخاف العزيز عاقبته، وكاتبه بأن يفعل
ذلك، ويأخذها من قسّام، وكاتب قسّام ألاَّ يسلِّم إليه البلد، فطال الأمر على أبي تغلب،
وضجر من تردد الرسائل، واجتمع معه بنو عقيل، فسار وقصد الرملة، وذلك في المحرم سنة
تسع وستين وثلاثمائة، فهرب دغفل بن الجراح منه، ثم حشد، وجمع، وقصد الرملة، والتقى
مع أبي تغلب على باب الرملة في يوم الإثنين لليلة خلت من صفر سنة تسع وستين، فانهزم
بنو عقيل، وسائر من مع عدة الدولة، ولم يبق معه إلا غلمانه، وهم نحو سبعمائة فارس،
فانهزم بهم، وأدركته الخيل، فثنى وجهه لقتالهم، فقتل فرسه، وأسره سبع الطائي وهو ابن
عم لد غفل بن الجراح، وسلمه إلى دغفل، فقتله في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من صفر سنة
تسع وستين وثلاثمائة؛ وكان مولده يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة
ثمان وعشرين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكه إلى حين انفصاله عن آمد نحواً من اثنتي عشرة
سنة. وكان له من الأولاد. أبو الهيجاء أحمد، وأبو الفتح نصر الله.
كتابه: أبو موسى النصراني. وقرة بن ديما. وأبو الحسن علي بن عمر بن ميمون.وعلي بن
عمر بن عمر.
فلنذكر أخبار أولاد سيف الدولة:
سعد الدولة
هو أبو المعالي شريف بن سيف الدولة أبي الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن
حمدان بن حمدون.
ملك حلب وديار بكر، وغير ذلك مما كان بيد والده سيف الدولة بعد وفاته في يوم الجمعة
لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ولما توفي والده سيف الدولة بحلب كان
سعد الدولة بديار بكر، فاجتمعت غلمان أبيه: قرعون. وبقي. وبشاره، وغيرهم على
تقديمه ونصرته، وضبط قرعويه حلباً نيابة عنه، وبعث بتابوت مولاه إلى ديار بكر مع بقى
وبشارة الخادم في جمادى الأولى من السنة وكان بين بقى وبشارة منافرة، فأذاع بقى عن

بشارة أنه قد كاتب حمدان بن ناصر الدولة، وكان قد غلب على الرقة ونصيبين عند وفاة
عمه، وعزم على أخذ حلب وكتب بقى إلى قرعويه بذلك، فقبض على أسباب بشارة
بحلب، ولما بلغ بشارة الخبر داخل بقى وآنسه، وأظهر له المودة فأنسر به، وأخبره بما
أضمره، وأنه يقصد الاستيلاء على ديار بكر، ويقبض على أبي المعالي ابن مولاه، ويملك هو
التدبير، وضمن لبشارة أنه يسلم إليه ميافارقين، فأظهر بشارة القبول، والإقال عليه، وسار
بمسيره، فلما قربوا من ميافارقين، كتب بشارة إلى أبى المعالي يحذره من الخروجللقاء
التابوت، ويعرفه ما عزم عليه بقى، فأظهر أبو المعالي علة، وامتنع من الركوب، وأخرج أهل
البلد لتلقى التابوت، فلم يدخل بقى المدينة، ووكل بأبوابها خلقا من الرجال الذين أعلمهم
بالخبر، وقبض على قوم من الكتاب، وطالبهم بمال ينفقه في رجاله، فدخل بشارة المدينة،
وطلع على السور، وأغلق الأبواب، وخاطب أصحاب بقى عن أبي المعالي بكل جميل،
فمالوا إليه، وفارقوا صاحبهم فبطل ما دبره بقى، وسار إلى منازكرد، وكتب إلى أبي المعالي
يطلب منه الأمان. فأمنه، ولما حصل عنده قبض عليه، وسلمه لبشارة، فقتله، وسار أبو
المعالي إلى حلب في شهر رجب من السنة.

مقتل أبي فراس الحارث
واستيلاء أبا المعالي على حمص

قال المؤرخ: كان سيف الدولة قد أقطع أبا فراس الحارث ابن سعيد بن حمدان، وهو خال
أبي المعالي شريف حمص بعد خلاصه من أسر الروم، فأكثر الظلم والتعدي على أهلها.
فلما توفي الأمير سيف الدولة اضطربت أموره، ثم فسد ما بينه وبين ابن أخته أبي المعالي،
فسار أبو المعالي، فارق حمص، وانحاز إلى ضيعة له في طريق البرية تعرف بصدد، وجمع
سعد الدولة أعراب بني كلاب وظالماً العقيلي، وبعثهم على مقدمته مع قرعويه، فكبس أبا
فراس بصدد، فناوشهم القتال، ثم قتله بعض غلمان قرعويه، وعاد سعد الدولة إلى حمص،
فولاها لذكا غلام قرعويه.

استيلاء قرعويه على حلب
وإخراج أبي المعالي عنه

قل: ثم فسد ما بين سعد الدولة وبين قرعويه، ووافقه أكثر الغلمان، وأهل البلد، فأخرج أبا
المعالي منها، وقطع دعوته، وتغلَّب على البلد، فسار سعد الدولة إلى أرزن، وميّا فارقين،
فمر في مسيرة بحران، فأغلق أهلها الأبواب في وجهه، ومنعوه من الدخول، إليها إلا أنهم لم
يقطعوا دعوته، فمضى إلى ميّافارقين، وكانت والدته بها، فبلغها أن غلمانه قد عزموا على
القبض عليها، وحملها إلى القلعة، فأغلقت أبواب المدينة في وجه ابنها ثلاثة أيام إلى أن
توثقت منه، وممن معه، ومن أجناده، ثم فتحت الأبواب وأطلقت أرزاق غلمانه، فصلحت
أحوالهم، ثم جمع سعد الدولة واحتشد، وسار إلى حلب، فنزل عليها في شهر رمضان
سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وحاصرها، وفي مدة غيبته نزل أبو البركات ابن ناصر الدولة
بجيش على ميّا فارقين، فأغلقت والدة أبي المعالي الأبواب دونه، وضبطت البلد، وراسلته
تتعرف منه سبب مقصده، فعرفها أنه يقصد العدو، وأنه يريد منها ما يتقوى به على قصده،
فبذلت له مائتي ألف درهم، فلم يقنع بها، وطلب منها ضياعاً كانت لسيف الدولة بالقرب
من نصيبين، فأعلمت التدبير إلى أن أفسدت عليه جماعة ممَّن معه، ثم ركبت، وكبسته في
عسكره، وقتلت جماعةً من غلمانه، فانهزم أبو البركات، وراسلها، فردَّت عليه بعض ما
نهبت منه، وأطلقت له مائة ألف درهم، وأطلقت حاجبه، وكانت قد أسرته، فرحل
عنها. ولم يزل أبو المعالي على حصار حلب حتى فتح الروم أنطاكية في يوم النحر سنة ثمان
وخمسين وثلاثمائة، واستقّروا بها، وأنفذوا جيشاً لأخذ حلب، فارتحل أبو المعالي عنها،
ونزلت الروم عليها، وملكوا المدينة، فصالحهم قرعويه على أن يؤدِّي لهم جالية، ويكون في
ذمتهم إلى أن يموت، فإن مات ولي مكانه غلامه بكجور، وكتب فيهم كتاباً، ونزل أبو المعالي
معرة النعمان، ووالدته نائبة عنه بميّافارقين، فورد عليها الخبر أن ملك لروم تحرك لقصد ديار
بكر، فخافت أنها لا تنهض بضبط ميّا فارقين، فتبرأت من الأمر، ودبر البلد أهله، ثم
راسلوا أبا تغلب بن ناصر الدولة في وال. فبعث إليهم أبا الفوارس هزارمرد أحد مماليك

سيف الدولة الكبار.
الصلح بين سعد الدولة وقرعويه
والقبض على قرعويه، وقيام بكجور، وعود ملكحلب إلى سعد الدولة
وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة تمَّ الصلح بين أبي المعالي وقرعويه، ودعا له بحلب، وكان
أبو المعالي ينزل بحماه، وكانت حمص قد أخربها الروم عند دخولهم إليها في ذي الحجة سنة
ثمان وخمسين، فنزل دقطاش غلام سيف الدولة بها وعمرها لأبي المعالي، فنزلها بعد ذلك،
وكان قرعويه قد قدم غلامه بكجور على قرعويه، واعتقله، وملك حلب، وأقام بها نحواً من
خمس سنين، فلم يرض أهلها سيرته، وكاتبوا أبا المعالي، فسار إليها، ونزل معرة النعمان،
ففتحها، ثم نزل على حلب في سنة ست وستين وثلاثمائة، وأقام عليها نحواً من أربعة أشهر،
وافتتحها بحيلة، وتحصن بكجور بالقلعة، ثم صالح على أن يوليه سعد الدولة حمص، وسلم
القلعة بما فيها، فتسلمها سعد الدولة، وفى لبكجور، وعظمت مملكة أبي المعالي عند ذلك،
وقويت حرمته، وتمكنت دولته.
تولية سعد الدولة
من قبل الخليفة وتلقيبه
كان سبب ذلك أن عضد الدولة البويهي لما ملك العرق بعد ابن عمه عز الدولة بختيار
كاتبه ابو المعالي يبذل له الطاعة والدعوة، فتنجز له من الخليفة الطائع لله الخلع واللّقب بسعد
الدولة، والولاية على ما بيده من الأعمال، وأرسل ذلك مع الرسول، وخادم الخليفة. وكان
جلوس الخليفة لذلك في شهر رجب سنة سبع وستين وثلاثمائة.
خلاف بكجور على الأمير سعد الدولة وما كان من أمره
قال: وأقام بكجور في حمص، وعمّرها أحسن عمارة، وأمَّن أهلها وطرقاتها إلى أن وقع
بينه وبين سعد الدولة في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة. فسار بكجور إلى حلب
وحاصرها، فبلغ ذلك ملك الروم، فسار لنصرة أبي المعالي ونزل أنطاكية، وكان معه مفرج
ابن دغفل بن الجراح، وكان بين مفرج وبكجور مودة، فكتب إليه مفرج يخبره بقصد الروم،
فرحل عن حلب، وسار إلى حمص وأخذ ما أمكنه من أمواله، وكان العزيز صاحب مصر

استدعى بكجوراً ليوليه الشام ودمشق لما اشتهر من شهامته، فتولى دمشق بعد خطب
عظيم جرى له، واضطرب حال، ودخلت الروم حمص الدخلة الثانية بإذن سعد لدولة لأنه
خاف أن يملكها بكجور بالمغاربة، وكان دخولهم إليها في يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة
بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.
وتلم بكجور دمشق في يوم الأحد مستهل شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة. ثم
وقع بين بكجور، وبين يعقوب بن كلّس الوزير، فقبض بكجور على وكلاء الوزير بدمشق،
فاستحكمت العداوة بينهما، وأفد الوزير نفس نزار صاحب مصر على بكجور، فبعث
منيراً الخادم في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة لصد بكجور، وإخراجه من دمشق من غير
إظهار ذلك بل أظهر أنه قصد بإرساله طرد مفرج بن دغفل من دمشق، وجرى من الأمور
ما أوجب خروج بكجور بأمواله وحرمه من دمشق. وكان خروجه في يوم الثلاثاء منتصف
شهر رجب سنة ثمان وسبعين. وسار بكجور إلى الرقة، وكان قد بعث غلامه وصيفاً في
سنة ست وسبعين وثلاثمائة إليها، فتسلمها من ديلمى، وكان بها من أصحاب عضد الدولة
بعد وفاته، فلما دخلها بكجور راسل الطائع لله، فلم يجد عنده ما يؤثره، فأقام على الدعوة
لنزار صاحب مصر، وبعث إليه نزار يقول: إني ما أردت إخراجك من دمشق، وإنما أردت
طرد ابن الجراح منها، وأبقى عليه ضياعه، وأمواله بها، وقوي أمر بكجور بالرقة، واشتد
طمعه في أخذ حلب من سعد الدولة وكاتب نزاراً بذلك، وطلب إنجاده، فكتب نزار إلى
والي طرابلس بالمسير إلى بكجور متى استدعاه، وجمع بكجور العرب وكتب إلى نزار وإلى
طرابلس أن يوافيه بحلب، وكان سعد الدولة قد كاتب بسيل ملك الروم يعلمه بذلك،
ويطلب منه أن يأمر نائبه بأنطاكية، وسائر الثغور بإنجاده متى طلبهم، فكتب بسيل لهم
بذلك، ثم أرسل سعد الدولة بكجور، وبذل له أن يقطعه من الرقة إلى حمص، فقال لرسوله:
قل له الجواب ما تراه دون ما تسمعه ثم سار بكجور لحرب سعد الدولة، وتقدمت مقدماتها

فتطاردا، فكان سعد الدولة يخلع على من أبلى من أصحابه، وينعم عليهم ويحملهم،
وبكجور يكتب أسماء من أبلى من أصحابه لينظر في أمرهم، فتغيرت لذلك قلوبهم. ثم
كاتب سعد الدولة أعراب بكجور، وأطمعهم فعصوا على بكجور ونهبوا سواده. ثم سار
كل من العسكرين في يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة إلى
الآخر، والتقوا، واقتتلوا قتالاً شديداً كان الظفر لسعد الدولة وأحابه على بكجور، فانهزم
إلى حلب، واستولى القتل والأسر على غلمانه،واستخفى بكجور في بيت رحى بظاهر
حلب، وتقلبت به الأحوال إلى أن استجار ببعض العرب، فحمله إلى سعد الدولة، فرب
عنقه، ثم سار سعد الدولة بعد أن أعاد الروم إلى بلادهم، وقصد الرقة، فنازلها وتحصن
منه سلامة الرشيفى غلام بكجور بحصن الرافقة، ومعه حرم بكجور وأمواله، وابن المغربي
كاتبه، فكاتبه سعد الدولة في تسليم الحصن، فبعث سلامة إليه يقول: أنا عبدك، ولكن
لبكجور عندي صنائع تمنعني من تسليم الحصن إلا أن أستوثق لحرمه وأولاده، فإن أمنتهم
على أن يكون لك السلاح من أموالهم دون غيره سلمت لك الحصن، فأجابه سعد الدولة
إلى ذلك، وحلف له وتسلم الحصن. ولما نزل أولاد بكجور، وحملوا أموالهم قال ابن أبن
حصين قاضي حضرة سعد الدولة: إن بكجوراً مملوكك لم تعتقه، وأولاده كذلك ولا مال
لهم، ولا إثم عليك في أخذ أموالهم، فقبض عليهم عند ذلك، وأخذ الأموال، وهرب ابن
المغربي إلى الكوفة، وكتب أولاد بكجور بذلك إلى العزيز نزار صاحب مصر، فكتب العزيز
إلى سعد الدولة كتاباً يهدده فيه ويقول: إن لم تطلق آل بكجور وأموالم بعثت الجيوش
لحربك. وانفذ الكتاب مع فائق الصقلبي. فوصل إليه، وقد عاد م الرقة، وهو نازل بظاهر
حلب. فلما وقف سعد الدولة على الكتاب غضب، وأحضر الرسول، وصفعه، وألزمه أن
يأكل الكتاب فتناوله، ومضغه حتى فرغ منه، وقال له: عد إلى صاحبك، وقل له لا حاجة
لك في إرسال الجيوش، فأنا سائر إليك، والخبر يأتيك من الرملة، وعزم سعد الدولة على

قصد العزيز صاحب مصر، فعاجلته منيته.
وفاة سعد الدولة
كانت وفاته ليلة الأحد لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وسبب
ذلك أنه لما عاد رسول العزيز بالرسالة التي ذكرناها قدَّم بعض جيوشه إلى حمص. وأقام هو
بظاهر حلب أياماً ليرتب أحواله، فعرض له قولنج أشفى منه، فأشار أطباؤه عليه بدخول
حلب وملازمة الحمام، ففعل ذلك وانتفع وصح، فلما كان في اليوم الثالث من صحته زين له
البلد ليركب، فجاءته جارية في ليلة ذلك اليوم من جملة حظاياه، وكن أربعمائة حظية، وكان
سعد الدولة يهواها، فلما رآها ما تمالك عند رؤيتها أن واقعها، فلما فرغ سقط عنها، وقد
جف نصفه الأيمن، وفلج فدخل عليه النفي الطبيب، والتمس أن يجس نبضه، فناوله اليد
اليسرى فقال: يا مولاي اليمين، فقال: يا نفيس ما تركت لي اليمين شيئاً، أراد بذلك نقض
اليمين التي حلفها لآل بكجور. وتوفي في هذه المرضة. ومن العجب أن والده سيف الدولة
الأيمن، فاجتمع منهما مفلوج، وكانت مدة ملكه خمساً وعشرين سنة وتسعة أشهر، وكان له
من الأولاد. أبو الفضائل وهو الأكبر. وأبو الهيجاء.
كتابه: أبو الحسن المغربي والمصيصي وغيرهما.
حاجبه: لؤلؤ الكبير الجراحي وغيره. والله أعلم.
أبي الفضائل
بن سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة أي الحسن علي بن عبد الله بن
حمدان بن حمدون
وولي بعد وفاة أبيه في يوم الأحد لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة،
وذلك أن والده سعد الدوّلة لما أدركته الوفاة عهد إليه، وأوصى لؤلؤاً الجراحي، وجعله
مدبر جيشه، وأوصاهما بالسيدة ستَّ النساء، وبولده أبي الهيجاء عبد الله الأصغر.
ما كان بين لؤلؤ الجراحي وبين العزيز نزار صاحب مصر
وفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وصلت جيوش العزيز نزار صاحب مصر لمحاصرة حلب،
وسبب ذلك أن ابن المغربي لما انهزم من سعد الدولة إلى الكوفة عند القبض على آل
بكجور كاتب العزيز يستأذنه في الانضمام إليه، والانحياز إلى جهته، فأذن له. فسار إليه،

ودخل القاهرة في يوم الخميس النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وبلغ
عند العزيز مرتبة عظيمة حتى صار يستشيره في عظائم الأمور، ويأتمنه على الأسرار، فلما
بلغه وفاة سعد الدولة حسّن للعزيز أن يبعث جيشاً إلى حلب، وكان العزيز قد بعث
بمنجوتكين التركي في جيش إلى دمشق في تاسع شهر رمضان سنة إحدى وثمانين، وأمره
بحرب منير الذي كان قد تسَّلم دمشق من بكجور، ولأنه كان قد عصى على العزيز، فأمره
أنه إذا أخذ دمشق يمضي إلى حلب، واستكتب العزيز بن المغربي، فسار إلى دمشق،
وهزم منيراً، واستولى على البلد للعزيز، وأقام بها إلى أن انسلخت نة إحدى وثمانين، وسار
إلى حلب، وكان لؤلؤ قد كتب إلى بسيل ملك الروم، وعقد بينه وبين أبي الفضائل بن سعد
الدولة كما كان بينه وبين أبيه، فأمر بسيل البرجي صاحب أنطاكية، أن يكون ظهراً لأبي
الفضائل على كل من يقصده، وينجده متى طلبه، ولما نزل منجوتكين على حلب قاتلها مدة
شهرين فلم يظفر منها بشيء، فاستظهر عليه أبو الفضائل ولؤلؤ غاية الاستظهار، فعاد عنها
في شهر رمضان وولى حمص لمعضاد الحمداني. ثم سار إلى حلب في سنة ثلاث وثمانين، ثم
عاد عنها وار إليها في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وقد جمع واستعد، فنازلها وضايقها مدة
شهرين، فبعث لؤلؤ إلى البرجي صاحب أنطاكية في الحضور إليه، فجمع الروم، وكان قد
خرج إليه من بلاد الروم رئيس عظيم عندهم يقال له: أصابع الذهب، فجمع أيضاً من
أمكنه، وسارا بمن معهما حتى نزلا على نهر المقلوب، فأقاما هناك ، ورجع منجوتكين عن
حلب، ونزل بإزائهما، وكان عسكره أكثر من جمعهما، فاقتتلوا، فكانت الدائرة على الروم،
وذلك في شعبان سنة أربع وثمانين، وعاد منجوتكين إلى محاصرة حلب، فحاصرها من
شعبان إلى شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين، فاشتد الحصار على ألها، وكانت الأخبار
ترد على بسيل ملك الروم وهو ببلاد البلغر،وله بها سنين كثيرة، وقد استحوذ على أكثرها،
فخاف على حلب فترك قتال البلغر، ورجع إلى القسطنطينية، وخرج في نحو أربعين ألفاً من

خواص أصحابه يركبون البغال الراوين ويجنبون الخيل، وسار لا يلوى على متأخر ولا يقف
لمنقطع فوصل إلى إعزاز في سبعة عشر ألفاً، وعزم على أن يكبس منجوتكين، فنمى الخبر
إليه، فانهزم لوقته، وسار إلى دمشق.
الصلح بين أبي الفضائل والعزيز نزار صاحب مصر
قال: ولما رجع منجوتكين إلى دمشق توسط بدر الحمداني في الصلح بين العزيز وأبي
الفضائل، فتم، وانعقد في بقية سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وورد كتاب الصلح على أبي
الفضائل مع مختار الحمداني، وأقام الأمر على ذلك إلى أن توفي لؤلؤ الحمداني، وانقطع خبر
أبي الفضائل ولم يسمع له ذكر إلا أن لؤلؤاً الجراحي كان يدبر أمر حلب إلى سنة أربع
وأربعمائة، وكتب له سجل في شوال من السنة من قبل الحاكم صاحب مصر بملك حلب،
ولقبه مرتضى الدولة.
وانقرضت الدولة الحمدانية بعد أبي الفضائل، وكانت مدة هذه الدولة منذ ولى أبو الهيجاء
عبد الله بن حمدان ابن حمدون ولاية الموصل في سنة اثنتين وتسعين ومائتين إلى أن استقل
لؤلؤ الجراحي بالملك بعد أبي الفضائل في سنة أربع وأربعمائة مائة سنة واثنتا عشرة سنة
تقريباً. وعدة من ملك منهم ستة ملوك، وهم: أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان. ثم ابنه
ناصر الدولة أبو محمد الحسن، ثم أخوه سيف الدولة أبو الحسن علي. وعدّة الدولة
الغضنفر أبو تغلب بن ناصر الدولة، وسعد الدولة أبوالمعالي شريف بن سيف الدولة. ثم
أبو الفضائل بن سعد الدولة، وعليه انقرضت دولتهم من سائر البلاد، وكان ملك هذه الدولة
بعد وفاة أبي الهيجاء عبد الله في فخذين: الفخذ الأول منها: في ناصر الدولة أبي محمد
الحسن وبنيه، وقاعدة ملكهم الموصل، وآمد وديار ربيعة، وسنجار، وما معها بخروج أبي
تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة من آمد كما ذكرنا، وافترق بعده أبناء ناصر الدولة، فبعضهم
دخل في طاعة الأمير عضد الدولة، وبعضهم دخل في طاعة العزيز نزار صاحب مصر،
وعضهم التحق بابن عمهم أبي المعالي شريف بن سيف الدولة، فممن سار إلى الديار

المصرية: أبو عبد الله الحين بن ناصر الدولة، وأخوه أبو المطاع ذو القرنين، وولد للحيين بمصر
ولده الحسن وهو المنعوت ناصر الدولة، تمكن ناصر الدولة الحسن هذا من دولة المستنصر
بالله أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله صاحب ملك مصر تمكناً عظيماً، وقاد
الجيوش، وعظم شأنه، ونفذت أوامره حتى لم يبق للمستنصر معه بالديار المصرية إلا مجرد
اسم لخلافة. ثم لم يرض ناصر الدولة بذلك، ولا اقتصر عليه، ولا قنع به إلى أن حصر
المستنصر في قصره، وجرى له معه وقائع، نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبار المستنصر
بالله، ونذكر هناك أيضاً مقتل ناصر الدولة هذا. وكان مقتله في شهر رجب من شهور
خمس وستين وأربعمائة بداره بمصر، وهي الدار المعروفة بمنازل العز التي هي الآن مدرسة
لطائفة الفقهاء الشافعية، ولم يذكر بعد ناصر الدولة هذا أحد من آل حمدان بولاية فنذكره.
فهذا الفخذ الأول. والفخذ الثاني منها: في سيف الدولة أبي الحسن علي وبنيه، وقد تقدم
ذكرهم رحمهم الله تعالى.
انتهت أخبار الدولة الحمدانية بعون الله تعالى. فلنذكر أخبار الدولة الديلمية البويهية.
الدولة الديلمية البويهية
وابتداء أمر بويه، ونسبه، وكيف تنقلت به وببنيه الحال إلى أن استولوا على الأقاليم
والممالك.
وسياقة أخبارهم إلى أن انقضت دولتهم
ابتداء حال بويه، ونسبه، وما كان من أمره
هو أبو شجاع بويه بن فنَّاخسرو بن تمام بن كوهى بن شيرزيل الأصغر بن شير كنده بن
شبيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سنان بن شيش فيروز بن شيروزيل بن
شيسناد ابن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور ذي الأكتاف فهم من الفرس،
وإنما نسبوا إلى الديلم لطول مقامهم ببلادهم، ولذلك لم نذكرهم عند ذكرنا لأخبار الدولة
الديلمية الجيلية.
وأما ابتداء حال بويه فقد نقل جماعة من المؤرخين أنه كان صيّاداً يعيش من صيد
السمك، ثم تنقلت به الحال إلى أن خدم جندياً، وخرج مع الناصر للحق الحسن بن علي

العلوي، وكان يلحظه بعين التقدّم لشجاعته، وكان له خمسة أولاد المشهور منهم ثلاثة، وهم:
عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعزّ الدولة أبو الحسين أحمد،
فهؤلاء الذين ملكوا البلاد على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وكان له ابنان غير هؤلاء،
وهما: محمد، وإبراهيم قتل أحدهما مع الناصر للحق، والآخر مع الحسن بن القاسم
الداعي.
وحكى ابن الأثير في تاريخه الكامل:
أن زوجة بويه ماتت، وخلفت له ثلاثة بنين، فاشتد حزنه عليها، فحكى شهريار رستم
الديلمي قال: كنت صديقاً لأبي شجاع بويه، فدخلت إليه يوماً، فعذلته على كثرة حزنه،
وقلت له: أنت رجل تحتمل الحزن، وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن، وسليته جهدي،
وأخذته ففرحته، وأدخلته، ومعه أولاده إلى منزلي، فأكلوا طعاماً، وشغلته عن حزنه،
فبينهما هم كذلك إذ اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه: إنه منجم، ومعزم، ومعبر للمنامات،
ويكتب الرّقى والطلّسمات، وغير ذلك، فأحضره أبو شجاع ، وقال له: رأيت في منامي كأني
أبول، فخرج من ذكرى نار عظيمة استطالت، وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفرجت،
فصارت ثلاث شعب، وتولّد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاءت الدنيا بتلك النيران،
فرأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران، فقال المنجم: هذا منام عظيم لا أفسره إلا
بخلعة وفرس وركب، فقال أبو شجاع: والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي، فإن
أخذتها بقيت عرياناً، قال المنجم: فعشرة دنانير قال: والله لا أملك ديناراً، فكيف عشرة،
فأعطاه شيئاً، فقال المنجم: إعلم إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها، ويعلو
ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولدهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك
الشعب، فقال أبو شجاع: أما تستحي؟ تسخر بنا؟ أنا رجل فقير، وهؤلاء أولادي فقراء
مساكين كفيف يصيرون ملوكا؟ فقال له المنجم: أخبرني عن وقت ميلادهم، فأخبره، فجعل
يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها، وقال هذا والله الذي يملك البلاد، ثم

هذا من بعده. ثم قبض على يد أخيه أبى علي الحسن، فاغتاط منه أبو شجاع، وقال
لأولاده: اصفعوا هذا الحكيم، فقد أفرط في السخرية بنا فصفعوه، وهو يستغيث،ونحن
نضحك منه، ثم أمسكوه، فقال: اذكروا لي هذا إذا قصدتكم، وأنتم ملوك، فضحكنا منه
وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم. ثم اتفق خروج جماعة من الديلم لملك البلاد. منهم: ما
كان بن كالى، وليلى بن النعمان، وأسفار بن شيرويه. ومرداويج بن زياد، وخرج مع كل
واحد منهم خلق كثير من الديلم، وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج مع ماكان بن
كالى. فلما استولى مرداويج على ما كان بيد ماكان من طبرستان وجرجان، وضعف ما
كان، وعجز، قال له عماد الدولة، وركن الدولة: نحن في جماعة، وقد صرنا ثقلاً عليك
وعيالاً، وأنت مضيَّق عليك، والأصلح لك أن نفارقك؛ لنخف عليك مئونتنا، فإذا صلح
أمرك عدنا إليك، فأذن لهما. فسار إلى مرداويج، واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان،
وتبعوهما، فلما صاروا إليه قبلهم أحسن قبول، وخلع على ابني بويه، وأكرمهما، وقلد كلَّ
قائد من قواد ما كان الواصلين إليه ناحية من نواحي الجبل، فقلد على بن بويه الكرج.

أخبار عماد الدولة

أبي الحسن علي بن بويه وابتداء الدولة البويهية

كان عماد الدولة قد خرج مع أبيه في جيش الناصر للحق، ثم تنقلت به أمور في خدمة
الملوك، ودخل إلى خراسان كرَّتين، صار من أصحاب ما كان، ثم فارقه إلى مرداويج بن
زيار، ومعه أخواه، فولاه مرداويج الكرج، وقلد جماعة القواد المستأمنة الأعمال، وكتب لهم
العهود، وساروا إلى الري، وبها وشمكير بن زيار أخو المرداويج، ومعه الحسين بن محمد
الملقب بالعميد، وهو والد أبي الفضل الذي وزر لركن الدولة بن بويه، فلما وصل عماد
الدولة إلى الريّ عرض بغلة للبيع، فبلغت ألفي وثمانمائة درهم فعرضت على العميد،
فاستجادها، وقصد أن يبتاعها، فخلف عماد الدولة أنه لا يأخذ لها مناً، وتابع بعد ذلك
مواصلة العميد وبره، فبلغ عنده مبلغاً عظيماً، وتمكن منه.

قال: وكان مرداويج قد تعقب رأيه في تولية عماد الدولة الكرج، وفي تولية القواد المستأمنة
إليه لقرب عهدهم بصحبة ما كان، فكتب إلى أخيه، وإلى العميد: بأن يمنعا عماد الدولة
من النفوذ إلى الكرج إلا أن يكون قد فات، وكان الرسم جارياً أن يقرأ العميد الكتب، ثم
يوقف وشمكير عليها بعد ذلك، فلما قرأها بعث إلى عماد الدولة يأمره أن يبادر بالخروج إلى
عمله، فسارع إلى ذلك، ثم رض العميد الكتب على وشمكير، فعول من الولاة من لم يمض
إلى عمله، وأبقى عماد الدولة. قال: وتسلم عماد لدولة الكرج، وأخذ في الإفضال على
الرجال، وعلى عمل البلد، فكانت كتب العامل تمضي إلى الرئّ يشكره، ثم فتح قلاعاً كانت
باقية في أيدي الخرّمية، وأخذ منها أموالاً جمة، وغنائم كثيرة، وصرف أكثرها في جمع
الرجال عليه واستجلابهم.
خروج عماد الدولة بن بويه عن طاعة مرداويج، ومخالفته له، وملكه أصفهان
كان سبب ذلك أن عماد الدولة لما تحقق قدم مرداويج على ولايته احتاط لنفسه،وأخذ في
جمع الرجال، والإنعام عليهم، وهو في ذلك يظهر طاعة مرداويج، واتفق أن مرداويج سبب
لبعض قواده على الكرج بمال، فأنعم عماد الدولة على أولئك القواد، واستمالهم، فمالوا إليه،
وباطنوه، فلما وثق منهم أعلن بخلع مرداويج، وبايعه الواد، فخرج بهم عماد الدولة من
الكرج عد أن استفى أمواله، وقصد أصفهان، وعرض أصحابه، فكانوا ثلاثمائة رجل،
لكنهم منتجبون مسنظهرون في العدة، وسار إليها، وبها أبو الفتح المظفر بن ياقوت والياً
للحرب، وأبو علي رستم والياً للخراج، وهما من قبل الخليفة، وكاتبهما عماد الدولة أن
يدخل معهما في خدمة لسلطان، فامتنعا من ذلك، اتفق فيغضون ذلك، وفاة رستم، فنزل
عماد الدولة بجوزنجان، وهي قرية على ثلاث فراسخ من أصفهان، وبرز إليه أبو لفتح بن
ياقوت في ألوف من الرجال من جملتهم ستمائة ديلمى، فاستأمن إلى عماد الدولة منهم
أربعمائة رجل، وانفصل المائتان الأخر لاحقين بما كان، وهو يومئذ بكرمان، وانهزم ابن ياقوت

بعد حرب شديدة، ودخل عماد الدولة أصفهان في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من
ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وكانت أصفهان أول شيء استولى عليه عماد
الدولة بن بويه. والله أعلم.
استيلائه على أرجان وغيرها، وملك مرداويج أصفهان
قال: ولما بلغ مرداويج خبر الوقعة خاف جانب عماد الدولة، وأهمّه أمره، فشرع في إعمال
الحيلة، فراسله يعاتبه، ويستميله ويطلب منه أن يظهر طاعته ليمده بالعساكر الكثيرة، لفتح
بها البلاد، ولا يكلفه سوى الخطبة له في البلاد التي يستولي عليها، ولما سير الرسل جهز
أخاه وشمكير في عسكر ضخم ليكبسس عماد الدولة، وهو مطمئن، فنمى الخبر إلى عماد
الدولة، فارتحل عن أصبهان بعد أم أقام بها نحواً من شهر، وتوجه إلى أرَّجان وبها أبو بكر
محمد بن ياقوت، فانهزم أبو بكر عنها إلى رامهرمز من غير حرب، ودخلها عماد الدولة،
واستخرج منها أموالاً وانفقها في جيشه، ثم وردت على بن بويه كتب من أبي طالب زيد بن
علي النوبندجاني يستدعيه إلى شيزار مدينة بلاد فارس، ويهون عليه أمر أميرها ياقوت،
وكان ياقوت في جيش كثير العدد من قبل الخليفة، فسار عماد الدولة إلى قرية تعرف
بالخوان دان، فسار إليه ياقوت، ووردت مقدمته في ألفي رجل، فوافاهم عماد الدولة بالنوبند
جان. وذلك في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، فلم يثبتوا له، وانهزموا إلى
مكان يقال له: الكركان، ووافاهم ياقوت بهذا الموضع، وأقام عماد الدولة أربعين يوماً في
ضيافة زيد بن علي النوبند جاني. وكان مبلغ ما خسر عليه في هذه المدة مائتي ألف
دينار، ثم سار بعد ذلك إلى اصطخر، وسار ياقوت وراءه يتبعه، حتى انتهى إلى قنطرة
على طريق كرمان، فسبقه ياقوت إليها، ومنعه عن عبورها واضطره إلى الحرب.
الاستيلاء على شيراز
قال: ولما بقه ياقوت إلى القنطرة اضطر إلى محاربته، وابتدأت الحر بينهما في يوم الثلاثاء لأبع
عشرة ليلة بيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، واستمرت إلى يوم

الخميس، فأحضر عماد الدولة أحابه،ووعدهم الجميل، وأنه يترجل معهم عند الحرب،
وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت، فضرب ياقوت أعناقهم،
فأيقن من بقي مع عماد الدولة بن بويه أنه لا أمان لهم عند ياقوت، فقاتلوا قتال من استقتل،
ثم قدم ياقوت أمام أصحبه رجالة كثرة يقاتلون بقوارير النفط؛ ليحرقوا أتراس الديلم، فلما
رموا النار انقلبت الريح، فصارت في وجوههم، واشتدت فعادت النار عليهم، وتعلقت في
ثيابهم ووجوهم، فاختلطوا وركبهم أصحاب بن بويه، فقتلوا أكثر الرجّالة، وخالطوا
الفرسان، فكانت الهزيمة على ياقوت وأصحابه. ولما انهزم أصحاب ياقوت صعد على نشز
مرتفع. ونادى في أصحابه الرَّجعة الرَّجعة، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس، فقال لهم
اثبتوا فإن الديلم يشتغلون بالنهب، ويتفرقون، فنأخذهم، فثبتوا معه، فلما رأى بن بويه
ثباتهم نهى أصحابه عن النهب، وقصد ياقوت، فانهزم ياقوت منه، واتبعه أصحاب بن بويه
يقتلون، ويأسرون، ويغنمون،ثم رجعوا إلى السواد، فغنموه، ووجدوا فيه برانس لبود عليها
أذيال الثعلب، ووجدوا قيوداً وأغلالاً فسألوا عنا، فقال أصحاب ياقوت: إن هذه كانت
أعدت لكم لتجعل عليكم، ويطاف بكم في البلاد، فأشار أصحاب بن بويه عليه، أن يفعل
ذلك بأصحاب ياقوت، فامتنع عماد الدولة، وقال: إنه بغى ولؤم، وقد لقى ياقوت بغيه، ثم
أحسن إلى الأساري، وأطلقهم وقال: هذه نعمة والشكر عليها يقتضي المزيد، وخيَّر
الأساري بين المقام عنده، واللحاق بياقوت، فاختاروا المقام عنده، فخلع عليهم، وأحسن
إليهم، وسار من موضع الوقعة، حتى أتى شيراز، ونادى في الناس بالأمان، وبث العدل،
وأقام رشحنة تمنع من الظلم، واستولى على تلك البلاد.

واقعة غيبة

اتفقت لعماد الدولة كانت سبب ثبات ملكه وقيام دولته
قال: ولما دخل عماد الدولة شيراز طلب الجند أرزاقهم، فلم يكن عنده ما يعطيهم، وكاد
أمره ينحل، فجلس في غرفة في دار الإمارة بشيراز، وهو يفكر في أمره فرأى حية خرجت

من موضع في سقف تلك العرفة، ودخلت في بخش هناك، فخاف أن تسقط عليه، فدعا
الفراشين، ففتحوا ذلك الموضع، فرأوا وراءه بابا، فدخلوا منه إلى غرفة أخرى، فإذا فيها
عشرة صناديق مملوءة نالا ومصاغا،فكان فيها ما قيمته خمسمائة ألف دينار، فأنفقها،وثبت
ملكه بعد أن كان قد أشرف لي الزوال.
وحكى. أنه أراد أن يفصل ثياباً، فدلوه على خياط كان لياقوت، فأحضره؛ فحضر
خائفاً،وكان أصم، فقال له عماد الدولة لا تخف، فإنما أحضرتك لتفصل لنا ثياباً، فلم يفهم
الخياط ما قال، فابتدأ وحلف بالطلاق والبراءة من دين الإسلام أن الصناديق التي عنده
لياقوت ما فتحها، ولا علم ما فيها،فعجب عماد الدولة من هذا الاتفاق، وأمره
بإحضارها،فأحضر ثمانية صناديق فيها أموال وثياب، قيمة ما فيها ثلاثمائة ألف دينار، ثم
ظهر له من ودائع ياقوت، وخائر عمرو، ويعقوب ابني الليث جملة كبيرة، فامتلأت خزائنه،
وثبت ملكه.

تولية عماد الدولة
من قبل الخليفة

قال: ولما تمكّن عماد الدولة من شيراز، وبت ملك ببلاد فارس، كتب إلى الخليفة الراضي
بالله، وإلى وزيره أبى علي بن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة، ويطلب أن يقاطع على ما بيده
من البلاد، وبذل ألف ألف درهم، فأجيب إلى ذلك، وتقدّمت إليه لخلع، وشرطوا على
الرسول ألاَّ يسلم إليه لخلع إلا بعد قبض المال. فلما وصل الرسول خرج عماد الدولة إلى
لقائه، وطلب منها الخلع واللواء، فذكر له ما اشترط علي،فأخذها منه قهراً، ولبسها، ونشر
اللواء، ودخل البلد، وغالط الرسول بالمال، فمات الرسول عنده في سنة ثلاث وعشرين
وثلاثمائة. وقال: ولما سمع مرداويج ما حصل لعماد الدولة ابن بويه قام لذلك وقعد، فسار
إلى أصفهان للتدبير عليه، وعزم على الخروج إليه بنفسه، فبلغ عماد الدولة ذلك، فبادر
بمكاتبته، وسأله إقراره على بلاد فارس على أن يقيم له الدعوة، ويضرب باسمه السِّكة،
وينفذ إليه أخاه ركن الدولة بن بويه رهينة، فقل ذلك منه، واعتقل ركن الدولة، فلما صار في

اعتقاله لم يكن بأسرع أن اتفق قتل مرداويج على ما قدمنا ذلك في أخبار مرداويج، فهرب
ركن الدولة بمواطأة من سجانه، وخرج إلى الصحراء ليفك قيوده، فأقبلت بغالٌ عليها تبن،
ومعها بعض أصحابه وغلمانه، فلما رأوه ألقوا التبن، فكسروا قيوده، وحملوه إلى أخيه عماد
الدولة بفارس وفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة تسمى عماد الدولة شاهنشاه، ولبس تاجاً
من الذهب مرصعاً بالجواهر، وجلس على السرير.
وفاة عماد الدولة
بن بويه وملك بن أخيه عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه
كانت وفاته في جمادى الآخرة، وقيل توفى لأربع عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة تسع
وثلاثين، وكانت علته قرحة في كلاه طالت به، وتوالت عليه الأسقام والأمراض، ولما حس
بالموت أنفذ إلى أخيه ركن الدولة أن ينفذ إليه عضد الدولة فناخسروا ولده ليجعله وليَّ
عهده، ووارث ملكه بفارس؛ لأن عماد الدولة لم يكن له ولد ذكر، فأنفذه ركن الدولة، فوصل
قل وفاته بسنة، فخرج عماد الدولة إلى لقائه في جميع عساكره، وأجلسه على سرير، ووقف
عماد الدولة بين يديه، وأمر الناس بطاعته، والانقياد إليه، وقبض على من كان يخاف منه
من القواد ثم توفي عماد الدولة بعد ذلك بسنة، فكانت مدة مملكته لبلاد فارس سنة وعشرة
أشهر وعشرين يوماً، وكان عمره ما بين ثمانية وخمسين سنة إلى تسع وخمسين، وقيل سبعة
وخمسين ودفن بدار المملكة بشيراز، وكان شجاعاً عاقلاً كريماً مجرباً حسن السياسة
عظيم القدر، ووزر له في ابتداء أمره أبو سعيد إسرائيل بن موسى النصراني إلى أن قتل، ثم
وزر أبو العباس أحمد بن محمد إلى أن مات عماد الدولة.
وحجابه: خطلخ إلى أن قتل، ثم سباسى حتى توف، ثم بارس إلى أن توفى عماد
الدولة،ولما مات عماد الدولة استقر عضد الدولة في الملك بعده ببلاد فارس، ثم كان من
أمرهما نذكره إن شاء الله تعالى في الطبقة الثانية من بني بويه، وكان عماد الدولة هو الأسن
الأكبر من بني بويه. والمشار إليه بينهم،فلما مات صار أخوه ركن الدولة أمر الأمراء. وكان
معز لدولة هو المستولي على العراق، وهو كالنائب عنهما.
أخبار ركن الدولة

أبى لي الحسن بن بويه
كان ركن الدولة في خدمة أخيه عماد الدولة يندبه في مهماته وأشغله، وجهزه وهو في
حرب ياقوت في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة إلى كازرون، وغيرها من أعمال فارس،
فاستخرج منها أموالاً جليلة، فأنفذ ياقوت عسكراً إليه لمنعه من ذلك، فقاتلهم وهزمهم،
وهو في نفر يسير، وعاد إلى أخيه بالغنائم والأموال، ثم جهزه عماد الدولة رهينة عند
مرداويج في سنة ثلاث وعشرين كما ذكرناه، فلما خلص بعد مقتل مرداويج، والتحق بأخيه
عماد الدولة جهزه بالعساكر إلى أصفهان، فاستولى عليها،وأزال عنها وعن عدة من بلاد
الجبال نواب وشمكير،وجهز العساكر نحوه، فبقيا يتنازعان ملك تلك البلاد، وهي أصفهان،
وهمدان، وقم، وقاجان، وكرج، والرىّ، وكنكور، وقزوين، وغيرها، ثم استولى ركن الدولة
على أصفهان، وملكها فيسنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وملك الرى في سنة ثلاثين.
ملك ركن الدولة
بن بويه طبرستان وجرجان
وفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة في شهر ربيع الأول اجتمع ركن الدولة، والحسن بن فيرزان،
وقصدا بلاد وشمكير، فالتقيا به؛ فانهزم وشمكير، وملك ركنالدولة طبرتان،وار منها إلى
جرجان، فملكها، واسأمن إليه من قواد وشمكير مائة وثلاثة عشر قائداً، فأقام الحسن بن
الفيرزان بجرجان، ومضى وشمكير إلى خراسان يستنجد بالسامانية، واتفقت وفاة الأمير
عماد الدولة، فسار ركن الدولة لتقرير أمر والده عضد الدولة بفارس، فسار منصور ابن
قراتكين صاحب جيش الأمير نوح بن نر الساماني إلى الرى، ودخلها، وأخرج نائب ركن
الدولة منها، وورد سجل منالخليفة المطيع لله بتقليد ركن الدولة إمرة الأمراء موضع عماد
الدولة،فقبله، وانصرف إلى الرىّ، ففارقها نصور بن قراتكين قبل وصول ركن الدولة إليها،
وسار إلى أصفهان، ثم رحل منها، فنزل طرف مفازة بها على النهر المعروف بور برورديم،
ثم رحل عنه، والتقى مع ركن الدولة على الروذبار، والنهر يحجز بينهما؛ لكنه نهر يخاض،

فأقامت الحرب بينهما سبعة أيام، م عر منصور النهر بجيوش، والتقوا من وقت العصر إلى
صدر من الليل، ثم سار منصور في بقية من الليل إلى الرىّ، وقدم ركن الدولة مقدمته نحو
قاجان، فلما وصل إليها بلغه وفاة منصور بالرى، فسار إليها، ودخلها إليها، ودخلها بغير
قتال وتجهز منها لحرب وشمكير لأنه الذي أغرى بينه، وبين صاحب خراسان، فالتقيا على
باب الرى بجبل طبرك، وتواصلوا أربعة أشهر حتى سقط الثلج،فرجع وشمكير، ثم اتفقت
وفاته، وقيام والده بهسيتون في الملك بعده، فدخل في طاعة ركن الدولة، فزال الخوف،
وحصل الأمن واست الأمر على ذلك إلى سنة خم وستين وثلاثمائة.
ما قرره ركن الدولة بين بنيه وما أفرده لكل منهم من الممالك
وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة سار ركن الدولة من الرى إلى أصفهان، واستدعى ولده
عضد الدولة من بلاد فارس، وجمع سائر أولاده، وحواشيهم، فقسم ركن الدولة ممالكه على
أولاده، فجع لإبنه عضد الدولة بلاد فارس، وجعله الملك على جماعة البيت بعد أن أوصاه
على إخوته، وعلى بن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة، فإن معز الدولة كان قد توفى،
وملك ابنه بختيار بهده على ما نذكره إن شاء اله تعلى، وسلم ركن الدولة إلى عضد الدولة
أخاه الأصغر خسرو فيروز، وجعل لمؤيد الدولة، وهو شقيق عضد الدولة بلاد الرى،
وأصفهان، وقم، وقزوين، وزنجان، وأبهر، وما والاها، وأفرد لفخر الدولة همذان، والدينور،
والإيغارين وما اتصل بهم، واستحلف الأخوين على طاعة عضد الدولة، واستحلف عضد
الدولة عى الوفاء لهما، وكتب الكتاب بينهم ذو الكفايتين أبو الفتح بن العميد، ومات ركن
الدولة عقيب ذلك.
وفاة ركن الدولة
بن بويه وشيء من أخباره وسيرته
كانت وفاته بالى في ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين
وثلاثمائة، وقد زاد على سبعين سنة، وقيل أقل من ذلك، وكانت مدة إمارته أربعاً وأربعين
سنة، وكان رحمه الله حليماً كريماً كير البذل للمال، حسن السياسة لرعيته وجنده، رؤوفاً

بهم عادلاً في الحكم بينهم بعيد الهمة متحرجاً من المظالم مانعاً لأصحابه من الظلم عفيفاً
عن الدماء، وكان يجرى الأرزاق على أهل البيوتات، ويصونهم عن التبذل، وكان يقصد
المساجد الجامعة في أشهر الصيام للصلاة، وينتصب لرد المظالم، ويتعهد العلويين بالأموال
الكثيرة، ويتصدق على ذو الحاجات، ويلين جانبه للخاص والعام، وحكمي عنه: أنه سار في
بعض أسفاره، ونزل في خركاة قد نصبت له قبل أصحابه، وقدم إليه الطعام، فقال لبعض
أصحابه لأي شيء قيل في المثل: خير الأشياء في القرية الإمارة، فقال: لقعودك في الخركاة،
ولهذا الطعام بين يديك، وأنا لا خركاة، ولا طعام، فضحك، وأعطاه الخركاة، والطعام.
ومن محاسن أفعاله ما فعله من نصرة بختيار بن أخيه معز الدولة على ابنه عضد الدولة
على ما نكره في أخبار عز الدولة بختيار.
وكان له من الأولاد: عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو، وفخر الدولة أبو الحسن علي،
ومؤيد الدولة أبو منصور بويه، وأبو العباس خسرو فيروز.
وزراؤه: أول من وزر له: الأستاذ أبو الفضل أحمد بن العميد إلى أن توفي في سنة تسع
وخمسين، فاستوزر بعده ولده ذا الكفايتين أبا الفتح محمد، وهو اثنتين وعشرين إلى أن توفي
ركن الدولة.
معز الدولة بن بويه
هو أبو الحسين أحمد بن بويه، ومعز الدولة أصغر إخوته سناً، وأكثرهم سعادة، وأوسعهم
ملكا، وكان في ابتداء أمره مع أخيه عماد الدولة، وحضر معه المصاف الذي بينه، وبين
ياقوت في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وهو صبي لم تنبت لحيته، وعمره تسع عشرة، وكان
في ذلك اليوم من أحسن الناس أثراً في الحرب.
مسيره إلى كرمان
وزوال يده في الحرب، وما تفق له
وفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة سار إلى معز الدولة إلى كرمان، وسبب ذلك أن أخويه:
عماد الدولة، وركن الدولة لما تمكنا من بلاد فارس، وبلاد الجبل، وبقي هو، وهو الأصغر
بغير ولاية يستبد بها رأيا أن يسيراه إلى كرمان، فسار إليها في عسكر ضخم، فلما بلغ

السيرجان استولى عليها، وجبي أموالها، وأنفقها في عسكره، وكانت عساكر نصر بن أحمد
الساماني صاحب خراسان تحاصر محمد بن إلياس بن اليسع بقلعة هناك، فلما بلغهم إقبال
معز الدولة، ساروا عن كرمان إلى خراسان، فتخلص محمد بن إلياس من القلعة، وسار إلى
مدينة قم، وهي على أطراف المفازة بين كرمان، وسجستان، فسار إليه معز والدولة، فرحل
عن مكانه إلى سجستان بغير قتال، فسار ابن بويه إلى جيرفت وهي قصبة كرمان،
واستخلف ثم بعض أصحابه، فلما قارب جيرفت أتاه رسول على الديحي المعروف بعلي
كلويه، وهو رئيس القفص البلوص، وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الناحية إلا أنهم
يجاملون كل سلطان يرد البلاد، ويطيعونه، ويحملون إليه مالاً معلوما ولا يطئون بساطه، فبذل
لابن بويه ذلك المال، فامتنع من قبوله إلا بعد دخول جيرفت، فتأخر علي كلوية نحو عشرة
فراسخ، ونزل بمكان صعب المسلك، ودخل ابن بويه جيرفت، وصالح علي كلويه، وأخذ
رهائنه، وحطب له، فلما استقر الصلح بينهما أشار بعض أصحاب ابن بويه عليه بقصد
علي والغدر به، وهون عليه أمره، وأطعمه في أمواله، وقال له: إنه قد ترك الاحتراس،
وسكن إلى الصلح، فأجابه إلى ذلك، وركب نحوه جريدة، وكان علي متحرزاً قد وضع
العيون على ابن بويه، فعندما تحرك للمسير بلغه ذلك، فجمع أصحابه، وكمنهم بمضيق على
الطريق، وأسروا، ولم يلفت إلا اليسير، وجرح معز الدولة عدة جراحات، وأصابته ضربة في
يده اليسرى، فقطعتها من نصف الذراع، وأصابت ضربة يده اليمنى ضربة أخرى، فسقط
بعض أصابعه، وسقط إلأى الأرض، وقد أثخن بالجراح، وبلغ الخبر إلى جيرفت، فهرب من
بها من أصحابها، ولما أصبح على كلويه تبع القتلى، فرأى الأمير أبا الحسين وقد أشرف
على التلف، فحمله إلى جيرفت، وأحضر له الأطباء، وبالغ في علاجه، واعتذر إليه، وأنفذ
رسله إلى عماد الدولة بالاعتذار، ويعرفه غدر أخيه، ويبذل من نفسه الطاعة، فأجابه عماد
الدولة إلى ما بذله، واستقر بينهما الصلح، وأطلق كل من عنده من الأسرى، وأحسن

إليهم، ووصل الخبر إلى محمد بن إلياس بما جرى على ابن بويه، فسار من سجستان إلى
جنَّابه، فتوجه إليه معز الدولة، وواقعه، ودامت الحرب بينهما عدة أيام، فانهزم ابن إلياس،
وعاد ابن بويه بالظفر، وسار إلى علي كلويه لينتقم منه، فلما قاربه أسرى على أصحابه
الرجّالة، فكسبوا عسكره ليلاً في ليلة شديدة المطر، فأسروا منهم، وقتلوا، ونهبوا وعادوا،
فلما أصبح ابن بويه، سار نحوهم، فقتل منهم عددا كثيرا، وانهزم عليَ، وكتب معز الدولة
إلى أخيه عماد الدولة بما جرى له معه، ومع ابن إلياس، فأمره أخوه بالوقوف مكانه، ولا
يتجاوزه، وأنفذ إليه قائدا من قواده يأمره بالعود إليه إلى فارس، ويلزمه بذلك، فعاد إلى
أخيه، وأقام عنده باصطخر إلى أن قصدهم أبو عبد الله البريدي منهزماً من ابن رائق
وبجكم، وأطمع عماد الدولة في العراق، فسير معه معز الدولة كما قدمنا ذكر ذلك في أخبار
الدولة العباسية في أيام الراضي بالله.

استيلاء معز الدولة على الأهواز

كان مسير معز الدولة بن بويه إلى الأهواز في سنة ست وعشرين وثلاثمائة للسبب الذي
قدمناه، فسار إليه، ومعه أبو عبد الله البيدي، وكان بها بجكم الرائقي، فسار لحربهم،
وقاتلهم بأرجان، فانهزم منهم إلى الأهواز، وأقام بها ثلاثة عشر يوما، ثم انهزم إلى تستر،
وسار إلى واسطن واستولى معز الدولة والبريدي على الأهواز، وأقلعا بها خمسة وثلاثين
يوما، ثم هرب البريدي خوفا على نفسه من معز الدولة، فكاتبه يعيب عليه ذلك، ويعته،
فاعتذر البريدي إليه أنه خاف على نفسه، وطلب من معز الدولة أن يفرج عن الأهواز؛
ليتمكن من ضمانه، وطلب من معز الدولة أن يفرج على الأهواز؛ ليتمكن من ضمانه، فإنه
كان قد ضمن الأهواز، والبصرة من عماد الدولة في سنة بثمانية عشر ألف درهم، فرحل
عنها إلى عسكر مكرم خوفا من أخيه لئلا يقول له: كسرت المال، ثم أنفذ إليه البريدي ثانيا
يذكر خوفه منه، ويطلب منه أن ينتقل إلى السوس ليبعد عنه، ويأمن هو الأهواز، فحذره
أصحابه، وخوفوه غدر البريديّ، فامتنع من إجابته إلى ذلك، وكتب إلى أخيه عماد الدولة،

فأنفذ إليه جيشا، فقوي بهم، واستولى على الأهواز، وهرب البريدي إلى البصرة، وأقام معز
الدولة بالأهواز، وقصد البصرة وواسط، وعاد عنهما، ولم يزل كذلك إلى أن استولى على
بغداد.
استيلائه على بغداد
وتلقيبه وتلقيب اخوته من ديوان الخلافة
كان استيلاء معز الدولة على بغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة في خلافة المستكفي
بالله، وسبب ذلك أن ابن شيرزاد لما استولى على إمرة الأمراء ببغداد بعد وفاة توزون،
على ما قدمناه في أخبار الدولة العباسية في أيام المستكفي بالله، استعمل ينال كوشه على
واسط، فكاتب معز الدولة، وهو بالأهواز، ودخل في طاعته، واستقدمه، فسار إليه،
وقصد بغداد، فلما فارقها استتر المستكفي بالله وابن شيرزاد، وخرج الأتراك من بغداد
إلى الموصل، فلما أبعدوا ظهر المستكفي بالله، وقدم معز الدولة أبا محمد الحسن ابن محمد
المهلبي إلى بغداد، فاجتمع بالخليفة، فأظهر السرور بمقدم ابن بويه، وأعلمه أنه إنما استتر
ليتفرق الأتراك، ويحصل الأمر لمعز الدولة بغير قتال، ووصل معز الدولة إلى بغداد في حادي
عشر جمادى الأولى من السنة، ونزل بباب الشمّاسيه، ودخل من الغد إلى الخليفة، وبايعه،
وحلف له، ولقبه الخليفة بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن عليّاً عماد الدولة، ولقب أبا
علي الحسن ركن الدولة، وأمر بضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم، وخلع الخليفة
على معز الدولة، وطوّقه، وسوّره، وفوض غليه ما وراء بابه، وعقد له لواء، وأمر بالخطبة له
على المنابر، وسأل معز الدولة الخليفة أن يأذن لابن شيرزاد في الظهور، وأن يأذن له أن
يستكتبه، فأجابه إلى ذلك، فظهر ابن شيرزاد، ولقي معز الدولة، فولاه أمر الخراج، وجباية
الأموال، ونزل معز الدولة بدار مؤنس، ونزل أصحابه في دور الناس، فلحق الناس لذلك شدة
عظيمة، وصار رسما عليهم، وهو أول من فعله ببغداد، ولم يعرف بها قبله، وأخذ معز
الدولة في مضايقة الخليفة، والحجر علي، حتى في نفقته، ورتب له في كل يوم خمسة آلاف

درهم، فكانت ربما تأخرت عنه، فأفرد له ضياعا، وسلمت إليه فولاها من قبله، ولم يبق
حكم في غيرها، ثم خلعه معزُّ الدولة على ما ذكرناه لثمان بقين من جمادى الآخرة. وبايع
المطيع بالله.
الحرب بين معز الدولة، وناصر الدولة بن حمدان
وفي شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة سيَّر معز الدولة عسكرا مقدمهم ينال كوشه
وموسى قيادة على مقدمته نحو الموصل، فلما نزلوا عكبرا أوقع ينال كوشه بموسى، ومضى
هو ومن معه إلى ناصر الدولة، وكان قد خرج من الموصل يريد العراق، فوصل إلى سامرا في
شعبان، ووقعت الحرب بينه وبين أصحاب معزِّ الدولة بعكبرا، فسار معز الدولة هو
والمطيع لله إلى عكبرا في شهر رمضان، فلما سار عن بغداد التحق ابن شيرزاد بناصر
الدولة، وعاد إلى بغداد مع عساكره لناصر الدولة يحارب معز الدولة، فلما كان في عاشر
رمضان، سار ناصر الدولة من سامرا إلى بغداد، وأقام بها، فسار معز الدولة إلى تكريت،
وكانت لناصر الدّولة، فنهبها، وعاد هو والخليفة إلى بغداد، ونزلا لناصر الدولة، فنهبها،
وعاد هو والخليفة إلى بغداد، ونزلا بالجانب الغربي، وناصر الدولة بالشرقي. ثم وقعت
الحرب بينهم ببغداد، وانتشرت أعراب ناصر الدولة بالجانب الغربي فمنعوا أصحاب معزِّ
الدولة من الميرة والعلف، فقلت الأسعار على الديلم، وضاق الأمر على معزِّ الدولة، حتى
عزم على الرجوع إلى الأهواز، وقال: نعمل معهم حيلة، فإن أفادت، وألا عدنا، فراتب ما
معه من المعابر بناحية التمارين، وأمر وزيره أبا جعفر الصيمري، واسفهدوست بالعبور، ثم
أخذ معه بقية العسكر، وأظهر أنه يريد قطربل، وسار ليلا، ومعه المشاعل على شاطئ
دجلة، فسار أكثر عسكر ناصر الدولة بازائه ليمنعوه من العبور، فتمكن الصيمري ومن
معه العبور، فعبروا فلما علم معز الدولة بعبور أصحابه عاد إلى مكانه: فعلموا بحيلتهن
فلقيهم ينال كوشه في جماعة من أصحاب ناصر الدولة، فهزموه واضطراب العسكر
الحمداني، وانهزموا، وتبعهم ناصر الدولة، وملك الديلم الجانب الشرقيَّ، وعاد الخليفة إلى

داره. وذلك في المحرم سنة خمس وثلاثين، ونهب الديلم أموال الناس ببغداد، وكان مقدار ما
نهبوه من أموال المعروفين دون غيرهم عشرة آلاف ألف دينار، وأمرهم معز الدولة برفع
السيف، والكف عن النهب، وأمر الناس، فلم ينتهوا، فأمر وزيره الصيمري، فركب ببغداد،
وقتل وصلب جماعة، وطاف بنفسه، فامتنعوا، واستقر معز الدولة ببغداد، وأقام ابن
حمدان بعكبران فأرسل في الصلح بغير مشورة الأتراك التوزونية، فهموا بقتله، في شهر المحرم
سنة خمس وثلاثين.

اقطاع البلاد وتخريبها

وفي سنة أربع وثلاثين أيضا شغب الجند على الأمير معز الدولة، وأسمعوه المكروه؛ بسبب
أرزاقهم، فوعدهم إلى مدة، فاضطر إلى أخذ الأموال من غير وجهها، ثم اقطع القرى
جميعها التي كانت للسلطان، وأحاب الأملاك، فبطل لذلك أكثر الدواوين، وكانت البلاد قبل
ذلك قد خربت من الاختلاف والغلاء، فأخذ القواد القرى العامرة، فازدادت ما أخذوا
خرابا، واختلت البلاد بسبب ذلك، وتعذر على معز الدولة جمع ذخيرة للنوائب، وأقطع
معز الدولة غلمانه على الأتراك، وزادهم على الديلم، فوقع بينهم بسبب ذلك الوحشة
والمنافرة، والله أعلم بالصواب.

استيلاؤه على البصرة

كان معز الدولة قد ضم البصرة وأعمالها لأبي القاسم بن البريدي في سنة أربع وثلاثين،
ووقع الاختلاف بينهما في سنة خمس وثلاثين، فأرسل إليه معز الدولة جيشا، فالتقوا
واقتتلوا، فانهزم أصحاب ابن البريدي، ثم سار معز الدولة هو، والخليفة المطيع لله إلى
البصرة في سنة ست وثلاثين لاستعادتها من ابن البريدي، وسلكوا البرية إليها، فلما وصل
الدرهمية استأمن إليه عساكر ابن البريدي، وهرب أبو القاسم في الرابع والعشرين من شهر
ربيع الآخر إلى هجر، والتجأ إلى القرامطة، وملك معز الدولة البصرة، وسار منها إلى
الأهواز، وأقام الخليفة، والصيمري بالبصرة، والتقى معز الدولة بأخيه عماد الدولة بأرجان
في شعبان، فنزل معز الدولة، وقبل الأرض بين يديه، وكان يقف قائما، فيأمره بالجلوس، فلا

يفعل، ثم عاد إلى بغداد.
ملك معز الدولة الموصل
وعوده منها بعد الصلح
وفي سنة سبع وثلاثين، سار معز الدولة إلى الموصل، ففارقها ناصر الدولة إلى نصيبين،
وملك معز الدولة الموصل في شهر رمضان، وظلم أهلها، وعسفهم، وأخذ أموال الرعايا،
فكثر الدعاء عليه، وقصد الاستيلاء على جميع بلاد ناصر الدولة، فأتاه الخبر من أخيه
ركن الدولة أن عساكر خراسان قد قصدت جرجان، والري، واستمده، فاضطر إلى
مصالحة ناصر الدولة، فترددت الرسائل بينهما، واستقرت الحال على أن يؤدي ناصر الدولة
عن الموصل، وديار الجزيرة كلها، والشام، في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ويخطب في
جميع بلاده لبني بويه، وعاد معز الدولة إلى بغداد، فدخلها في ذي الحجة من السنة.
وفاة الوزير الصيمري
ووزارة المهلبي
في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة توفي أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري وزير معز الدولة
بأعمال الجامدة، واستوزر معز الدولة بعده أبا محمد الحسن محمد المهلبي في جمادى الأولى،
وكان يخلف الصيمري بحضرة معز الدولة، فعرف أموال الدولة والدواوين، وظهرت أمانته،
وكفاءته، فاستوزره، ومكنَّه من الوزارة، فأحسن السيرة وأزال كثيراً من المظالم، ثم ضربه
معز الدولة بالمقارع في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، مائة وخمسين مقرعة ووكل به
في داره، ولم يعزله من وزارته بل ضربه لأمور نقمها عليه،
وفي سنة خمس وأربعين في شهر
رجب عصى على معز الدولة روزبهان بن وندخزاشيد، وسار إلى الأهواز، وأطاعه أكثر
الديلم فسار إليه معز الدولة، ولقيه بالأتراك فقط، وعدتهم ألف فارس. وذلك قي يوم الاثنين
سلخ شهر رمضان من السنة، فهزمه معز الدولة، وأسره.
وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة استولى معز الدولة على الموصل؛ وسبب ذلك أنه كان قد
ضمنها له ناصر الدولة بن حمدان في كل سنة بألفي درهم. فلما في هذه السنة أخر حمل
المال، فسار إلى الموصل ففارقها ناصر الدولة إلى نصيبين، ودخلها معز الدولة، ثم سار منها

إلى نصيبين، ففارقها ناصر الدولة، وتوجه إلى أخي سيف الدولة بحلب، فراسله سيف
الدولة في الصلح، فامتنع من تضمين ناصر الدولة لخلفه معه مرة أخرى، فضمن سيف الدولة
البلاد منه بألفي ألف وتسعمائة ألف درهم، فضمنه، وذلك في المحرم سنة ثمان وأربعين،
وانحدر إلى بغداد، وفي سنة خمسين وثلاثمائة أمر معز الدولة ببناء داره ببغداد، فشرع في
عمارتها، فكان مبلغ الخرج عليها ثلاث عشر ألف درهم، فاحتاج بسبب ذلك إلى مصادرة
جماعة من أصحابه.

ما كتب على مساجد بغداد

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر منها كتب عامّة الشيعة ببغداد بأمر
معز الدولة على المساجد ما صورته: لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب
فاطمة رضي الله عتها فدكاً، ومن منع أن يدفع الحسين عند قبر جده عليه السلام، ومن
نفى أبا ذرٍّ الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى. فلما كان الليل محاه بعض الناس،
فأراد معز الدولة إعادته، فأشار عليه الوزير المهلبي أن يكتب مكان ما محى: لعن الله
الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يذكر أحداً في اللعن إلا معاوية، ففعل
ذلك.

وفاة الوزير المهلبي

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة سار الوزير المهلبي في جمادى الآخرة في جيش إلى عمان
ليفتحها، فلما بلغ البحر اعتل، واشتدت علته، فأعيد إلى بغداد، فمات في الطريق في شعبان
وحمل تابوته إلى بغداد، فدفن بها، وقبض معز الدولة أمواله، وذخائره، وأخذ أهله،
وأصحابه، وحواشيه، حتى ملاحه، ومن خدمه يوما واحدا، فاستعظم الناس ذلك،
واستقبحوه، فكانت مدة وزارته ثلاث عشر سنة، وثلاث أشهر، وكان كريما فاضلا ذا عقل
ومروءة، فمات بموتة الكرم. ونظر في الأمور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي.

وأبو الفرج محمد بن العباس بن فساعن من غير تسمية لأحد منهما بوزارة.

وفيها. في يوم عاشوراء أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع

والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا ثيابا عملوها من المسوح، وأن تخرج النساء
منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن، ويدرن في البلد بالنوايح، ويلطمن
وجوههن على الحسين بن علي بن أبي طالب، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنيِّة قدرة على
المنع، لكثرة الشيعة؛ ولأن السلطان منهم.
وفيها. في ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة أيضا بإظهار الزينة في البلد وإشعال
النيران بمجلس الشرطة، وفتحت الأسواق ليلا، فعل ذلك فرحا بعيد الغدير، وكان يوما
مشهودا.
وفاة معز الدولة بن بويه
كانت وفاته في ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الآخر، سنة خمس وخمسين
وثلاثمائة بعلَّة الذَّرب، وكان بواسط وقد جهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين الخارج
عليه فابتدأ به الإسهال وقوى عليه، فسار نحو بغداد، وخلف أصحابه، ووعدهم أن يعود
إليهم. فلما وصل إلى بغداد اشتد مرضه، وصار لا يثبت في معدته شيء، فلما أحس
بالموت عهد إلى ابنه بختيار، واظهر التوبة، وتصدق بأكثر ماله، واعتق ممالكيه ورد شيئا
كثيرا على أصحابه وتوفي ودفن بداره ثم نقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش، فكانت
إمارته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين. ومولده على ما حكاه أبو اسحاق
الصابي في سنة ثلاث وثلاثمائة، فيكون عمره على هذا ثلاثاً وخمسين سنة تقريباً. وكان
ملكاً شجاعاً مقداماً، قوى القلب، صليب العود، أبي النفس، إلا أنه كان في أخلاقه
شراسة، وكانت إحدى يديه مقطوعة. وقد ذكرنا سبب قطعها مما تقدم، وقيل في قطعها
غير ذلك. ومعز الدولة هذا هو الذي أحدث السُّعاة، ورتب لهم الجرايات الكثيرة لأنه أراد
أن يصل خبره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً، فنشأ في أيامه فضل، مرعوش، وفاقا جميع
السعاة، وكان الواحد منهم يسير في اليوم الواحد نيفاً وأربعين فرسخا، وكان أحدهما
ساعي السنُّية، والآخر ساعي الشيعة.
أولاده: عز الدولة أبو منصور بختيار مشيد الدولة أبو حرب حبشي. عمدة الدولة أبو

اسحق إبراهيم أبو طاهر محمد.
وزراءه: أول من وَزَرَ له أبو الحسن أحمد بن محمد الرازي، وكان يخاطب بالأستاذية إلى أن
توفي بالأهوز في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة. فاستوزر أبا جعفر محمد بن أحمد بن يعلى
الصيمري. وكان شجاعاً حسن الآثار إلى أن توفي في ليلة الإثنين لست خلون من جمادى
الأولى سنة تسع وثلاثين، فاستوزر أبا محمد الحسن ينت محمد المهلبي من ولد قبيصة بن
المهلب، وخوطب بالأستاذية مدة، ثم خوطب بالوزارة إلى أن توفي سنة اثنتين وخمسين، فلم
يستوزر بعده أحداً.
حجابه: مكلى التركي إلى أن قتل في وقعة ناصر الدولة، فاستحجب ينال كوشه التركي، ثم
قبض عليه، واستحجب الحاجب الكبير سبكتكيز التركي، فطالت يده، وتجاوز حدَّ
الحجَّاب إلى حد الأولاد، وقاد جميع جيوشه ، ونعت بالاسفهسلارية، وكانت إقطاعاته في
كل سنة عشرة آلاف ألف درهم، فأقام إلى أن توفي معز الدولة، فهذه الطبقة الأولى من بني
بويه قد كرناها.
فنذكر الطبقة الثانية منهم.
ذكر أخبار عز الدولة بختيار
هو أبو منصور بختيار تن معز الدولة بن بويه. كان والدة معز الدولة قد عقد له الأمر من
بعده في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وبايع له الأجناد،
ولقبه المطيع في يوم الإثنين لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين. ثم جلس في
السلطنة بعد وفاة أبيه في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة
ست وخمسين وثلاثمائة. والله أعلم بالصواب.
ذكر أخبار عز الدولة بختيار
هو أبو منصور بختيار بن معز الدولة بن بويه. كان والده معز الدولة قد عقد له الأمر من
بعده في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وبايع له الأجناد،
ولقبه المطيع في يوم الإثنين لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين. ثم جلس في
السلطنة بعد وفاة أبيه في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة
ست وخمسين وثلاثمائة. واللَّه أعلم بالصواب.

الحوادث أيام عز الدولة بختيار
كان أبوه قد أوصاه بطاعة عمَّه ركن الدولة، واستشارته في جميع ما يفعله، وأوصاه أيضاً
بطاعة عضد الدولة بن عمه لأنه أكبر منه سناً، وأقوم بالسياسة، ووصاه بتقرير كاتبيه أبي
الفضل العباس ابن الحسن، وأبي الفرج محمد بن العباس، وبالحاجب سُبُكتكين، فخالف
جميع وصاياه، واشتغل باللعب واللهو، وعشرة النساء، والمساخر، والمغنِّين، وشرع في
إيحاش كاتبيه، والحاجب، فاستوحشوا، وانقطع الحاجب عنه، ولم يحضر داره، ونفي أكابر
الديلم عن مملكته شرها في إقطاعاتهم وأموالهم، وأبعد المتصلين بهم، فاتفق أصاغرهم،
وطلبوا الزيادات، فاضطر إلى مرضاتهم، واقتدى بهم الأتراك، وخرج الديلم إلى الصحراء،
وطالبوا بختيار بإعادة من أسقطه منهم، فاضطر إلى إجابتهم لتغير الحاجب سُبكتكين
عليه، وفعل الأتراك مثل فعلهم، واتصل خبر وفاة معز الدولة بكاتبه أبي الفرج محمد بن
العباس، وهو يتولَّى أمر عمان، فسلمها لنواب عضد الدولة، وسار نحو بغداد، وإنما فعل
ذلك لأن بختيار لما ملك بعد وفاة أبيه انفرد أبو الفضل بالنظر في الأمور، فخاف أبو الفرج
أن يستمر انفرد أبو الفضل النظر بالأمور، فخاف أبو الفرج أن يستمرانفراده عنه، فسلم
عمان إلى نواب عضد الدولة لئلا يؤمر بالقيام بها لحفظها وصلاحها، ولما وصل إلى بغداد لم
يتمكن مما أراد، وانفرد أبو الفضل بالتدبير دونه.
خروج مشيد الدولة
حبشي بن معز الدولة على أخيه عز الدولة
وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة عصي حبش على أخيه، وكان بالبصرة، فسير إليه وزيره
أبا الفضل العباس، وأمره بأخذه كيف أمكن، فسار الوزير، وأظهر أنه يريد الإنحدار إلى
الأهواز، فلما بلغ واسط أقام بها ليصلح أمرها، وكتب إلى حبشي يعده أن يسلم إليه
البصرة سلماً، ويصالحه عليها، وقال:إنني قد لزمني مال على الوزارة، ولا بد من مساعدتي.
فأنفذ إليه حبشي مائتي ألف درهم، وتيقن حصول البصرة له، وأرسل الوزير إلى الأهواز
يأمرهم بقصد الأبلة في يوم ذكره لهم، فلم يتمكن حبشي من إصلاح شأنه، فظفروا به،

وأخذوا أسيراً، وحبسوه برامهرمز، فأرسل عمه ركن الدولة، فخلصه منها، فصار إلى
عضد الدولة، فأقطعه إقطاعاً وافراً، وأقام عنده إلى أن مات في آخر سنة تسع وستين
وثلاثمائة، وأخذ الوزير أمواله بالبصرة، وكانت شيئاً كثيراً، ومن جملة ما أخذ عشرة آلاف
مجلَّد سوى الأجزاء، وما ليس له جلد.

عزل أبي الفضل
الوزير ووزارة ابن بقية

وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة عزل الوزير أبو الفضل العباس من وزارته في ذي الحجة،
واستوزر محمد بن بقية، فعجب الناس من ذلك لأنه كان وضيعاً في نفسه وهو من أهل
أوانا، وكان أبوه من الفلاحين لكنه كان قريباً من بختيار، وكان يتولى مطبخه، ويقدم إليه
الطعام، ومنديل الخوان على كتفه إلى أن استوزره، وحُبِس الوزير أبو الفضل، فمات عن
قريب، واستقامت أمور ابن بقية، ومشت الأحوال بين يديه بما أخذه من أموال أبي الفضل
وأصحابه، فلما فني ذلك ظلم الرعية، فخربت، وزاد الاختلاف بين الأتراك، وبختيار،
فشرع ابن بقية في إصلاح الحال بين بختيار، وسُبُكتكين، فاصطلحا، وركب سبكتكين إلى
بختيار، ومعه الأتراك، ثم عاد الحال إلى ما كان عليه من الفساد.

وسبب ذلك أن ديلمّيًا
اجتاز بدار سبكتكين، وهو سكران، فرمى الروشن بزوبين في يده، فأثبته، فصاح
سبكتكين بغلمانه،فأخذوه، وظن أنه وضع على قتله، فقرره، فلم يعترف، فأنفذه إلى بختيار،
فأمر بقتله، فلما قوى ظن سُبكتكين أنه كان وضعه عليه، وأنه إنما قتله لئلا يذكر ذلك إذا
قرره.

الفتنة بين بختيار وأصحابه

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ابتدأت بين الأتراك والديلم بالأهواز حتى عمت العراق
جميعه، واشتدت، وسبب ذلك أن عز الدولة قلت الأموال عنده، وكثر إدلال جنده عليه،
واطراحهم لجانبه، وشغبوا عليه مرة بعد مرة، فتعذر عليه الفرار، ولم يجد وزيره جهة يحتال
منها، فتوجَّه إلى الموصل في هذه السنة، ليستولي عليها من أبي تغلب بن حمدان، فلم يفتح

عليه بطائل، ولم يحصل له من المال ما يسد به الخلة، فرجع، وقصد الأهواز ليتعرض إلى
واليها بختكين أزاذرويه، ويعمل له حجة يأخذ منه مالاً ومن غيره، فسار بختيار، وتخلف
عنه سبكتكين ببغداد، فلما وصل إلى الأهواز خدم واليها بختيارا، وبذل من نفسه الطاعة،
وحمل إليه أموالاً حليلة، وبختيار، وتخلف عنه سبكتكين ببغداد، فلما وصل إلى الاهواز
خدم واليها بختيارا، وبذل من نفسه الطاعة، وحمل إليه أموالاً جليلة، وبختيار مع هذا يفكر
في طريق يأخذه بها،فاتفقت فتنة الأتراك والديلم، وكان سببها أن بعض الديلم نزل دارا
بالأهواز، ونزل بعض الأتراك بالقرب منه، وكان هناك لبن موضوع، فأراد غلام الديلمي، أن
يبني به معلفاً للدواب، فمنعه غلام التركي، فتضاربا، وخرج كل من الدَّيلمي، أن يبني به
معلفاً للدواب، فمنعه غلام التركي، فتضاربا، وخرج كل من الدَّيلمي والتركي لنصرة غلامه،
فضعف التركي عنه، فركب، واستنصر بالأتراك، فركبوا، وركب الديلم، وأخذوا السلاح،
فقتل بعض قواد الأتراك، فطلب الأتراك بثأر صاحبهم، وقتلوا من الديلم قائداً، وخرجوا
ظاهر البلد، واجتهد بختيار في تسكين الفتنة، فعجز عن ذلك، فجمع الديلم، واستشارهم
فيما يفعله، وكان أذناً، فأشاروا عليه بقبض رؤساء الأتراك، فأحضر أزاذرويه، وكاتبه سهل
بن بشر، وسباشي الخوارزمي، وبكتيجور، وكان حموا لسبكتكين، فقيدهم، وأطلق أيدي
الديلم في الأتراك، فنهبوا أموالهم ودوابهم، وقتل بينهم قتلى، فهرب الأتراك، وأخذ بختيار
أقطاع سبكتكين، وأمر فنودي في البصرة بإباحة دم الأتراك.
واللّه أعلم بالصواب.
حيلة لبختيار
عادت عليه
كان بختيار قد واطأ والدته، وإخوته أنه إذا كتب إليهم بالقبض على الأتراك يظهرون أن
بختيارا قد مات، ويجلسون للعزاء، فإذا حضر سُبكتكين عندهم قبضوا عليه، فلما قبض
على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور بذلك، عندها أوقفوا الصراخ في داره،
وأشاعوا موته ظناً منهم أن سُبُكتكين يحضى إلى عندهم ساعة يصل إليه الخبر، فلما سمع

الصراخ أرسل يتعرف الخبر، فأعلموه، فأرسل يسأل عن الذي أخبرهم، وكيف أتاهم الخبر،
فلم يجد نقلاً يتق القلب به، فارتاب لذلك، ثم وصلت رسل الأتراك بما جرى عليهم، فعلم
أن ذلك مكيدة، ودعاه الأتراك إلى أن يأتمر عليهم فتوفق، وأرسل إلى أبي إسحاق إبراهيم
بن معز الدولة يعلمه أن الحال قد فسد بينه، وبين أخيه، فلا يرجى صلاحه، وأنه لا يرى
العدول عن طاعة والدته، فمنعته منه، فركب سبكتكين في الأتراك، وحصر ديار بختيار
يومين، ثم أحرقها ودخلها، وأخذ أبا إسحاق وأبا طاهر محمد، ووالدتهما، ومن كان
معهما، فسألوه أن يمكنهم من الانحدار إلى واسط، ففعل، وانحدروا في الماء، ومعهم المطيع
للّه، فأعاده سبكتكين، وذلك في تاسع ذي القعدة سنة ثلاث وستين، واستولى سبكتكين
على جميع ما كان لبختيار ببغداد، ونزل الأتراك في دور الديلم، وتتبعوا أموالهم، وثارت
العامّة من السنَّة لنصرة سبكتكين، فأحسن إليهم، وجعل لهم العرفاء، والقواد، فثاروا
بالشيعة، وحاربوهم، وسفكت بينهم الدماء، وأحرق الكرخ، وظهرت السنة، ثم خلع
سبكتكين المطيع، وبايع لإبنه الطائع، على ما ذكرناه في أخبار الدولة العباسية.
ذكر ما اتفق لبختيار بعد قبضه على الأتراك، ووفاة سبكتكين وقيام الفتكين
قال: ولما قبض بختيار على الأتراك كما ذكرناه، ورأى ما فعله سبكتكين، وأن بعض
الأتراك بواد الأهواز قد عصوا عليه، أتاه مشايخ الأتراك من البصرة فعاتبوه على ما فعل
بأصحابهم، وقال له الديلم: إنا لا نستغني عن الأتراك في الحرب يدفعون عنا بالنَّشاب،
فاضطرب رأيه، ثم أطلق آزاذرويه، وجعله صاحب الجيش مكان سبكتكين، وظن أن
الأتراك يأنسون به، وأطلق المعتقلين منهم، وسار إلى واسط، وكتب إلى عمه ركن الدولة،
وإلى ابن عمه عضد الدولة يسألهما أن ينجداه، ويكشفا ما نزل به، وكتب إلى أبي تغلب بن
حمدان يطلب منه أن يساعده بنفسه، وأنه يسقط عنه المال الذي عليه، وأرسل إلى عمران
بن شاهين بالبطيحة خلعاً، وأسقط عنه باقي المال، وطلب منه أن يسير إليه بعسكر، فأما

عمه ركن الدولة، فإنه جهر عسكراً مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وكتب إلى ابنه عضد
الدولة بإنجاد ابن عمه، فوعد بالمسير إليه، وانتظر ببختيار الدوائر ليستولي على العراق.
وأما عمران بن شاهين، فإنه أخذ الخلع، وقبل إسقاط المال، وأبى أن ينجده. وأما ابن
حمدان، فإنه أجاب، وسارع بإرسال أخيه أبي عبد الله الحسين إلى تكريت في عسكر،
وانتظر انحدار الأتراك من بغداد، فإن ظفروا ببختيار دخل بغداد مالكاً لها، فلما انحدروا
عن بغداد سار أبو تغلب بن حمدان إليهما، ودخلها ليوجب على بختيار الحجة في إسقاط
المال الذي عليه، ووصل إلى بغداد، والناس في بلاء عظيم من العيّارين، فحمى البلد، وكفَّ
أهل الفساد، وأما الأتراك، فإنهم انحدروا مع سبكتكين إلى واسط ومعهم الخليفة الطائع
والمطيع، فتوفي المطيع بدير العاقول لما قدمناه، ومرض سبكتكين، فمات، فحملا إلى بغداد،
وقدّم الأتراك عليهم الفتكين، وهو من أكابر قوادهم وموالي معز الدولة، وظن بختيار أن نظام
الأتراك قد انحل بموت سبكتكين، فلم يزدد إلا قوةً واشتدادا، وسار الأتراك إليه، وهو
بواسط، فقاتلوه، واتصلت الحرب بينهم خمسين يوماً، والظفر فيها للأتراك، وحصروه حتى
اشتد عليه الحصار وأحدقوا به، فتابع إنفاذ الرسل إلى عضد الدولة ابن عمه، وكتب عليه:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وألا فأدركني ولما أمزق

فلما رأى عضد الدولة ذلك، وأن الأمر قد بلغ ببختيار ما كان يرجوه، سار نحو العراق
نجدة لبختيار في الظاهر، وطلباً للاستيلاء في الباطن.

استيلاء عضد الدولة على العراق والقبض على بختيار

قال: وسار عضد الدولة في عساكر فارس، واجتمع بابن العميد وزير أبيه بالأهواز، وهو
بعساكر الري، وساروا إلى واسط، فلما بلغ الفتكين خبر وصولهم رجع إلى بغداد، واجتمع
بختيار بعضد الدولة، وسار عضد الدولة إلى بغداد في الجانب الشرقي، وأمر بختياراً أن
يسير في الجانب الغربي، ولما رجع الفتكين إلى بغداد فارقها ابن حمدان إلى الموصل، ووصل
الفتكين بغداد، وصار محصوراً من جميع جهاته، وذلك أن بختياراً كتب إلى ضبة بن محمود

لأسدي بالإغارة على أطراف بغداد، وقطع الميرة عنها، وكتب بمثل ذلك إلى بني شيبان،
وكان أبو تغلب بن حمدان من ناحية الموصل يمنع الميرة عنها، وينفذ سراياه، فغلت الأسعار
ببغداد، وخرج الفتكين في الأتراك للقاء عضد الدولة، فلقيه بين ديالي والمدائن، فاقتتلوا قتالاً
شديداً، فانهزم الأتراك، وقتل منهم خلق كثير، وذلك في رابع عشر جمادى الأولى، وسار
الأتراك إلى تكريت، وسار عضد الدولة إلى بغداد، وترك بدار الملكة، وأراد التغلب على
العراق، واستضعف بختياراً، وإنما خاف من أبيه ركن الدولة، فوضع جند باختيار على
أن يثوروا به، ويشغبوا عليه، ويطالبوه بالأموال،والإحسان إليهم لأجل صبرهم معه، ففعلوا
ذلك، وبالغوا، وكان بختيار لا يملك شيئاً، والبلاد خراب، فلا تصل يده إلى أخذ شيء
منها، وأشار عضد الدولة على بختيار أن لا يلتفت إليهم، وأن يغلظ لهم في الجواب، ولا
يعدهم بما لا يقدر عليه، وأن يعرفهم أنه لا يريد الإمارة عليهم والرئاسة، ووعده أنه إذا فعل
ذلك توسط بينهم على ما يريده، فظن بختيار أنه ناصحُ له، ففعل ذلك، واستعفى من
الإمارة، وأغلق باب داره، وصرف كتابه وحجّابه، وراسله عضد الدولة ظاهراً بمحضرٍ من
مقدمي الجند يشير عليه بتطييب قلوبهم، وكان قد أوصاه سرّاً أنه لا يقبل منه، فعمل
بختيار بما أوصاه به، وقال: لست أميرهم، وقد برئت منهم
وترددت الرسائل بينهم ثلاثة
أيام، هذا، وعضد الدولة يغريهم به، والشغب يزيد كل يوم، فأرسل بختيار إلى عضد الدولة
يطلب منه إنجاز ما وعد به، ففرق الجند على عدةٍ جميلة، واستدعى بختياراً وإخوته،
فقبض عليهم، ووكل بهم، وذلك لأربع بقين من جمادة الآخرة، وجمع الناس، وأعلمهم
استفعاء بختيار من الإمارة لعجزه عنها، ووعدهم الإحسان إليهم، والنظر في أمورهم،
فسكنوا إلى قوله.واللّه أعلم.

عودة بختيار إلى ملكه

قال: ولما قبض عضد الدولة على بختيار كان ولده المرزبان بالبصرة متولياً لها، فامتنع على
عضد الدولة، وكتب إلى ركن الدّولة يشكو ما جرى على أبيه وعميَّه من عضد الدولة،

ومن أبي الفتح بن العميد، ويذكر الحيلة التي تمَّت عليه، فلما سمع ركن الدولة ذلك ألقى
نفسه إلى الأرض، وتمرَّغ عليها، وامتنع من الأكل والشرب عدَّة أيام، ومرض، وكان محمد بن
بقيَّة قد خدم عضد الدولة بعد بختيار، وضمن منه مدينة واسط وأعمالها، فلما صار إليها
خلع طاعة عضد الدولة، وخالف عليه، وأظهر الإمتعاض لقبض بختيار، وكاتَب عمران بن
شاهين، وطلب مساعدته فأجابه إلى ذلك، وكان عضد الدولة قد ضمن لسهل بن بشر
وزير الفتكين بلد الأهواز، وأخرجه من حبس بختيار، فكاتبه عمه ابن بقية، واستماله
فأجابه ، وكاتب ركن الدولة من عصي على ابنه عضد الدولة، بالثبات والصبر، وأنه على
المسير إلى العراق لإخراج عضد الدولة، وإعادة بختيار، فاضطربت النواحي على عضد
الدولة، وتجاسر عليه الأعداء، وانقطعت عنه موارد فارس، ولم يبق بيده إلا قصبة بغداد،
وطمع فيه العامة، فرأى إنفاذ أبي الفتح بن العميد برسالة إلى أبيه يعرفه ما جرى له، وما
فرق من الأموال، وضعف بختيار عن حفظ البلاد، وأنه إن أعيد خرجت المملكة وتدبير
الخلافة عنهم، وكان في ذلك، بوارهم، وسأله ترك نصرة بختيار، وقال لأبي الفتح: فإن أجاب
إلى ما تريد، وإلا فقل له: إني أضمن منك أعمال العراق، وأحمل إليك في كل سنة ثلاثين
ألف درهم، وأبعث بختياراً وإخوته إليك، لنجعلهم بالخيار بين الإقامة عندك، أو بعض بلاد
فارس، وإن أحببت إلى الري، وأعود أنا إلى فارس، فالأمر إليك، وقال لإبن العميد: فإن
أجاب إلى ذلك، وإلا فقل له: أيها السيد الوالد أنت مقبول الحكم والقول، ولكن لا سبيل إلى
إطلاق هؤلاء القوم بعد مكاشفتهم، وإظهار العداوة، وسيقاتلونني بغاية ما يقدرون عليه،
فتنتشر الكلمة، ويختلف أهل هذا البيت أبداَ فإن قبلت ما ذكرته، فأنا العبد الطائع، وإن
أبيت وحكمت بانصرافي، فإنني سأقتل بختياراً وإخوته، وأقبض على كلِّ من اتهمه بالميل
إليهم، وأخرج عن العراق، وأترك البلاد سايبةً ليدبَّرها من اتفقت له، فخاف ابن العميد أن
يسير بهذه الرسالة، وأشار أن يسير غيره بها، ويسير هو بعده، ويكون كالمشير على ركن

الدولة بأجابته إلى ما طلب، فأرسل عضد الدولة رسولاً غيره، وسير بعده ابن العميد على
الجمَّازات، فلما حضر الرسول عند ركن الدولة، وذكر بعض الرسالة، ووثب إليه ليقتله،
فهرب من بين يديه، ثم ردَّه بعد أن سكن غضبه، وقال: قل لفلان يعني عضد الدولة وسماه
بغير اسمه، وشتمه: خرجت إلى نصرة ابن أخي، أو الطمع في ملكه؟ أما عرفت أني
نصرت الحسن بن الفيرزان، وهو غريب مني، مراراً كثيرة أخاطر فيها بملكي ونفسي، فإذا
ظفرت أعدت له بلاده، ولم أقبل منه ما قيمته درهم واحد، كلَّ طلباً لحسن الذكر، ومحافظة
على الفتوة، تريد أن تمنَّ على بدرهمين أنفقتهما على، وعلى أولاد أخي، ثم تطمع في
ممالكهم، وتهددني بقتلهم؟ فعاد الرسول، ووصل ابن العميد، فحجبه ركن الدولة، وتهدَّده
بقتلهم؟ فعاد الرسول، ووصل ابن العميد، فحجبه ركن الدولة، وتهدَّده بالهلاك، وأنفذ إليه
يقول: واللّه لا تركتك وذلك الفاعل يعني عضد الدولة تجتهدان جهدكما، ثم لا أخرج إليكما
إلا في ثلثمائة جمَّازة، وعليها الرجال، ثم أثبتوا إن شئتم، فواللّه لا أقاتلكما إلا بأقرب الناس
إليكما، وكان ركن الدولة يقول: يا أخي هكذا، أضمنت لي أن تحفظ في ولدي، ثم أن
الناس سعوا لإبن العميد هذه الرسالة ليجعلها طريقاً إلى الخلاص من عضد الدولة،
والوصول إليك لتأمر بما نراه، فأذن له في الحضور عنده، واجتمع به وضمن إعاده بختيار
عضد الدولة إلى فارس، وتقريربختيار، فردّه إلى عضد الدولة فعرّفه جليَّة الحال، فأجاب
عضد الدولة إلى العود إلى فارس، وأعاد بختيار، وخلع عليه، وشرط عليه أن يكون نائباً
عنه بالعراق، ويخطب له، وجعل أخاه أبا إسحاق أمير الجيش، وردَّ عليهم جميع ما كان
لهم، وسار إلى فارس في شوال من السنة، وأمر أبا الفتح بن العميد وزير أبيه أن يلحقه بعد
ثلاثة أيام، فلما سار عضد الدولة أقام ابن العميد عند بختيار، وتشاغلا باللذات، واتفقا في
الباطن أنه إذا مات ركن الدولة سار إليه ووزر له، فاتصل ذلك بعضد الدولة، وكان سبب
هلاك ابن العميد، واستقر بختيار ببغداد، ولم يف لعضد الدولة، ولما ثبت ملك بختيار أنفذ

ابن بقية من خلفه له، وحضر عنده، وأكد الوحشة بينه وبين عضد الدولة، واستمال ابن
بقية الأجناد إليه، وجبى كثيراً من الأموال إلى خزائنه، وقوى أمره. هذا ما كان من أمر
بختيار.
وأما ما كان من أمر الفتكين فإنه سار إلى التتار، واستولى على دمشق، وأخذها من ريان
خادم المعزِّ لدين اللّه العلوي صاحب مصر، وخطب بها للطائع للّه في شعبان، وأقطع البلاد،
وكثر جمعه، وتوفَّرت أمواله، وكاتب المعزَّ بالانقياد إليه، فطلبه إلى الحضور عنده ليخلع
عليه، فلم يجبه، فتجهز المعزُّ وقصده، فمات، وولى بعده العزيز، فطمع الفتكين، واستولى
على بعض بلاد الساحل، فجهز إليه العزيز العساكر مع جوهر، فحصر دمشق، فاستنجد
الفتكين بالحسن بن أحمد القرمطي، فأتاه، ففارق جوهر البلد بعد أن أقام عليها سبعة
أشهر، فتبعه الفتكين والقرامطة، فأدركوه بظاهر الرملة، فاقتتلوا، ثم حصل اتفاقهم على
تخلية سبيل جوهر، فسار إلى مصر، فخرج العزيز بجموعه، وقاتل الفتكين وأسره، وأحسن
إليه، ونقله معه إلى مصر، وأنزله عند قصره، وحكمه في دولته، فتكبر على وزيره يعقوب بن
كلس، فوضع عليه من سقاه سماً، فمات. والله أعلم.

مقتل عز الدولة

بختيار بن معز الدولة وشيء من أخباره

كان مقتله في ثامن عشر شوال سنة سبع وستين وثلثمائة، وسبب ذلك أنه كان بينه، وبين
ابن عمِّه عضد الدولة بن ركن الدولة ما قدمناه، وقام عمه ركن الدولة في نصرته حتى
أعاده، فلما مات ركن الدولة في سنة ست وستين سار عضد الدولة إلى العراق وكان بينه
وبين بختيار واقعة، واصطلحا بعد ذلك، ثم سار عضد الدولة في هذه السنة، واستولى
على بغداد كما نذكره إن شاء اللَّه تعالى في أخباره، وخرج بختيار من بغداد بما زوده به
عضد الدولة، وقصد الشام، ومعه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان، فلما صارا بعكبرا
حسَّن له حمدان قصد الموصل، وأطعمه فيها، وقال: هي خير من الشام وأسهل، فسارا
نحو الموصل،وأطعمه فيها، وقال: هي خير من الشام وأسهل، فسارا نحو الموصل، وكان

عضد الدولة قد حلّفه أنه لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودة كانت بينهما، فنكث
وقصدها، فلما صار إلى تكريت أتته رسل أبي تغلب تسأله أن يقبض على أخيه حمدان،
ويسلمه إليه، وإذا فعل ذلك سار معه بنفسه وعساكره إلى العراق، وقاتل عضد الدولة،
وأعاده إلى ملك بغداد، فقبض بختيار عند ذلك على حمدان، وسلمه لرسل أخيه، وسار
بختيار إلى الحديثة، واجتمع بأبي تغلب نحواً من عشرين ألف مقاتل، وبلغ ذلك عضد
الدولة، فسار من بغداد نحوهما ، والتقوا بقصر الجصّ بنواحي تكريت، فهزمهما عضد
الدولة، وأسر بختيار، وجيء به إلى عضد الدولة، فلم يأذن له بالدخول عليه، وأمر بقتله،
واستقر ملك عضد الدولة.
وكان عمر بختيار ستاً وثلاثين سنة، ومدَّة ملكه أحد عشر سنة وستة شهور.
أولاده: إعزاز الدولة المرزبان أبو عبد اللَّه الحسن، أبو العباس سلار، أبو القاسم، أبو نصر
شاهفرون، أبو محمد سهلان.
وزراؤه: أول من وزر له: أبو الفضل العباس بن الحسين إلى أن قبض عليه في سنة تسع
وخمسين، فاستوزر أبا طاهر محمد بن بقية، وأُقام إلى أن قبض عليه بعد انهزامه من عضد
الدولة في الكَّرة الثانية، وسلمه، ثم صلبه عضد الدولة بعد أن رماه تحت أرجل الفيلة.
حجابه: إبراهيم بن إسماعيل قتل في الوقعة، وأما المرزبان ابن عز الدولة، وعماه: عمدة
الدولة إبراهيم، وأبو طاهر محمد، فإنهم وصلوا إلى دمشق والتجئوا إلى غلامهم الفتكين،
وشهدوا معه حرب القائد جوهر بعسقلان، ثم حضروا الواقعة الكائنة بين الفتكين والعزيز،
فقتل محمد، وأسر المرزبان عمه إبراهيم، والفتكين، ومن عليهم العزيز، واستخدمهم إلى أن
توفي المرزبان بمصر في سنة ست وتسعين وثلثمائة في أيام الحاكم، وتوفي إبراهيم في أيامه أيضاً
لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربعمائة بعد أن نعت بعزيز الدولة الحاكمية.
عضد الدولة
هو أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة تاج الملة شاهنشاه بن ركن الدولة أبي علي الحسن
بن بويه.

اجتمع له من الممالك ما تفرق لأبيه وعميه، وقد قدمنا أن عمه عماد الدولة بن بويه جعله
ولي عهده، وذلك لأربع عشرة بقيت من جماد الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، فأول ما
ظهر من أفعاله بعد وفاة عمه ببلاد فارس أنه استولى على حصن ابن عمارة المتوسط
لمدينة هرو، وهي مدينة على ساحل البحر الهندي من أعمال فارس قد بنيت على مصّب
الماء تجمع المراكب المنكسرة، والبضائع الغارقة، فيستعين أهلها بذلك، وأهل هذا الحصن
ينسبون إلى معدي يكرب، ثم إلى الجلندي بن كركر يتوارثونه لم ينتزع منهم، ولم تفتح عنوة،
ولا صلحا قبلها. ذكر بن جوقل في كتابه: أن صاحب هذا الحصن هو الملك المذكو وفي
القرآن في قوله تعالى: وكان وراءهم مَّلك يأخذ كلَّ سفينةٍ غصباً . ولم يباشر عضد الدولة
الحصار بنفسه، وإنما بعث علياً بن الحسين السيفي في جيش إلى الحصن، فحاصره برهة
من الدهر حتى استعزل صاحبه، وهو أبو طالب بن رضوان بن جعفر بالأمان، وتسلم
الحصن بما فيه، وفي سنة ست وخمسين وثلثمائة بعث إلى عمان عسكرا مع عسكر لعمه
معز الدولة، ففتحها، ثم بعد ذلك كرمان في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وأقطعها ولده
أبا الفوارس، وأطاعه صاحب سجستان ، ونقش السكة باسمه، وأقام له الخطبة. ثم ملك
قلعة بردسير وهي مثوى آل اليسع، ولما عاد من كرمان فتح جبال القفص، وهذه البلاد لها
جبل وسهل. فأهل السهل يعرفون: بالمنوجان وهو اسم البلاد، وأهل الجبل يعرفون:
بالقفص، والبلوص، وهم قبائل وشعوب، وبلادهم هذه في طرف كرمان مما يلي فارس، ثم
جرت لجيشه معهم بعد ذلك وقائع كان الظفر فيها لأصحاب عضد الدولة، وفي أثناء حرول
جيشه لهم حصل استيلاء عضد الدولة على هرموز، وبلاد التيز، ومكران في سنة ستين
وثلثمائة، ثم سألوا الأمان على إقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والإجتهاد في الطاعة،
واجتناب إخافة السبيل فأمنهم. قال المؤرخ: ثم سار عسكره، ومقدمة كوركير إلى أمة من
ورائهم يقال لهم الخرَّميَّة، والحاسكية فهزمهم، وقتل منهم خلقاً، وأسر مقدميهم، وجماعة

من رؤسائهم، وأنفذهم إلى شيراز، وتوطأت هذه البلاد مدة، ثم كان بينهم، وبين العسكر
العضدى وقعة لإحدى عشرة ليلة يقيت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلثمائة،
ودامت إلى غروب الشمس، فانجلى ذلك اليوم عن قتل أكثر مقاتليهم، والإحاطة بحريمهم،
وذراريهم، ولم يبق منهم إلا اليسير، ثم كان بين عضد الدولة، وبين عز الدولة بختيار ابن معز
الدولة ما قدمناه في أخبار بختيار في سنة أربع وستين وثلثمائة، فلا فائدة في إعادته، فلما
مات والده ركن الدولة في سنة ست وستين وثلاثمائة قصد العراق في تلك السنة، فخرج عز
الدولة لقتاله، والتقوا، واقتتلوا في ذي القعدة من السنة، فالتحق بعض أصحاب بختيار
بعضد الدولة، فانهزم بختيار، واحتوى عضد الدولة على ماله، ومال وزيره ابن بقية، وسير
عضد الدولة جيشاً إلى البصرة، فملكها.

القبض على ابن العميد

وفي سنة ست وستين وثلاثمائة قبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه
وسمل إحدى عينيه، وقطع أنفه، وكان سبب ذلك أنه لما فارق عضد الدولة بغداد كما
بغداد كما ذكرناه في أيام بختيار، أمر ابن العميد أن يلحقه بعد ثلاث، فخالفه، ووافق عز
الدولة، ووعده أن يلحق به إذا مات ركن الدولة، ثم صار يكاتبه بأشياء يكرهها عضد
الدولة، وكان لإبن العميد نائب يعرض كتبه على عز الدولة، وذلك النائب يكاتب عضد
الدولة بما يكتبه ابن العميد بختيار ساعة بساعة، فلما ملك عضد الدولة بعد موت أبيه
كتب إلى أخيه مؤيد الدولة بالري يأمره بالقبض على ابن العميد، وعلى أهله، وأصحابه،
ففعل ذلك، وكان أبو الفتح ليلة قبضه قد أمسى مسروراً، فأحضر ندماءه، والمغنين، وأظهر
من آلات الذهب والفضة والزجاج، وأنواع الطيب ما ليس لأحد مثله، وشربوا وعمل
شعراً، وغنى له به، وهو:

دعوت المنى ودعوت العُلى فلما أجابا دعوت القدح
وقلت لأيام شرخ الشباب: إلّى فهذا أوان الفرح
إذا بلغ المرءُ آماله فليس له بعدها مقترح

وشرب ليلته على هذا الشعر إلى أن سكر، وقام، وقال لغلمانه: اتركوا المجلس على ما هو

عليه لنصطبح غداً، وقال لندمائه بكروا غداً لنصطبح، ولا تتأخروا، فانصرف الندماء،
ودخل هو إلى بيت منامه، فلما كان وقت السحر استدعاه مؤيد الدولة، فقبض عليه،
وأرسل إلى داره، فأخذ جميع ما فيها، ومن جملته ذلك المجلس بما فيه.
استيلاء عضد الدولة على العراق
كان اسيتلاؤه على بغداد في سنة سبع وستين، وذلك أنه سار إلى العراق، وأرسل إلى عزَّ
الدولة ابن عمه يدعوه إلى طاعته، وأن يتوجَّه من العراق إلى أي جهة أحب، فأجاب إلى
ذلك، وسار عن بغداد، وكان من خبره، ومقتله ما قدمناه، ولما قدم عضد الدولة إلى بغداد
نزل بباب الشمّاسية في يوم الخميس لسبع خلون من شهر ربيع الآخر من السنة، وتلقاه
الخليفة الطائع للَّه في البحر قبل ذلك بيومين، ثم دخل إلى دار الخلافة في يوم الأحد لتسع
خلون من جمادى الأولى منها، وقبل الأرض بين يدي الخليفة الطائع لله، فخلع عليه، وتوجّه،
وطوّقة، وسوَّرة، وقلّده ما وراء داره، وعقد له لواءين: أحدهما: على المشرق، والآخر:
على المغرب، وأرخى إحدى ذؤابتيه منظومة بالجوهر، وزاد في لقبه تاج الملّة:، وكان وزن
السوادين، والطوق: ألفين وخمسمائة مثقال. قال أبو اسحاق الصباني، وكان في غرة التاج
وجوانبه من الجوهر، وأحجار الياقوت الأحمر ما يتجاوز إحصاؤها التثمين، أو يحدها
التقويم، وطرح بين يديه من نشار الذهب والورق شيء كثير على الأنطاع حتى صار
كالبيدر، وقرىء عهده بين الخليفة، ولم يجر بذلك عادة، وأخذ الخليفة الذؤابة للرخاة،
فعقدها بيده، وذلك بمسألة تقدمت من عضد الدولة، وقلَّده الخليفة سيفاً ثانياً وركب من
مراكب الخليفة بركب الذهب، وبين يديه آخر مثله، والجيش بين يديه، وخلفه مشاة إلى أن
خرج من باب الخاصة، فسار الجيش أمامه، واستقر مُلكه ببغداد، خُطب له بها، ولم
يخطب لملك قبله ببغداد، وضُرب على بابه ثلاث نوب، ولم تجر بذلك عادة، قال: ولما دخل
إلى بغداد أرسل إلى بختيار يطلب منه وزيره محمد بن بقية، فسلمه بختيار، وأنفذ إليه، فأمر

عضُد الدّولة بإلقائه بين قوائم الفيلة، فوطئته حتى مات، وصلب على رأس الجسر في شوال،
فرثاه أبو الحسن الأنباري بقوله:
علُّو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات
وقد ذكرنا الأبيات في باب المراثي، وبقي ابن بقية مصلوبا إلى أيام صمصام الدولة، فأ،زل
عن جذعه، ودفن، ولما استقر ملك عضد الدولة ببغداد، أتاه الخبر أن عزَّ الدولة بختياراً
قد نقض العهد، واجتمع هو وابن حمدان، واتفقا على حربه، فخرج إليهما، فكان من
أمرهما ما قدمناه في أخبار بختيار، وأخبار الدولة الحمداينة.
استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان
قال: ولما انهزم أبو تغلب في الحرب التي قدمناها مع عز الدولة سار إلى الموصل، فسار
عضد الدولة نحوه، فملكها في ثاني عشر ذي القعدة سنة سبع وستين، وملك ما يتصل بها،
فظن أبو تغلب أنه يفعل كما فعل غيرُه يقيم يسيراً ثم يضطر إلى المصالحة، ويعود، فكان
عضد الدولة أحزم من ذلك، وذلك أنه لما قصد الموصل حمل معه الميرة والعلوفات، وأقام
بالموصل، وبثَّ سراياه في طلب أبي تغلب، فأرسل أبو تغلب يسأل أن يضمن البلاد منه،
فلم يجبه إلى ذلك، وقال: هذه البلاد أحبُّ إلي من العراق، فسار أبو تغلب إلى نصيبين،
فسير عضد الدولة سريَّة استعمل عليها حاجبه طغان إلى جزيرة ابن عمر، وسرية في طلب
أبي تغلب، وعليها أبو طاهر محمد على طريق سنجار، فسار أبو تغلب مجداً إلى ميَّا
فارقين، ثم منها إلى بدليس، واستولى عضد الدولة علي ميَّافارقين، وديار مضر، وغيرها من
بلاد الجزيرة، وذلك في سنة ثمان وستين وثلثمائة، ثم عاد إلى بغداد في سلخ ذي القعدة من
السنة، واستخلف على أعمال أبي تغلب بن حمدان أبا الوفا طاهر محمد، وفي سنة تسع
وستين في شهر رجب جهز عضد الدولة جيشاً إلى بني شيبان، وكانوا قد أكثروا الغارات،
والفساد في البلاد، وعجز الملوك عن طلبهم، وكانوا قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهر زور
مصاهرات، وكانت شهرزور ممتنعة على الملوك، فأمر عضد الدولة عسكره بمنازلتها لتنقطع
أطماع بني شيبان عن التحصن بها، فاستولى أصحابه عليها، وملكوها فهرب بنوشيبان،

وسار العسكر في طلبهم، وأقعوا بهم وقعة عظيمة قتل فيها من بني شيبان خلق كثير،
ونهبت أموالهم، ونساؤهم، وأسر منهم ثمانمائة أسير حملوا إلى بغداد.
عمارة عضد الدولة بغداد
وما فعله من وجوه البر
وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة شرع عضُد الدولة في عمارد بغداد وكانت قد خربت لتوالي
الفتن فيها، وعمّر مساجدها، وأسواقها، وأدرَّ الأموال على الأئمة، والمؤذّنين، والفقهاء،
والغرباء، والضعفاء، وألزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارتها، وجدَّد ما دثر من الأنهار،
وأعاد حفرها، وتسويتها وأطلق مكوس الحجّاج، وأصلح الطرق من العراق إلى مكة،
وأطلق الصلات لأهل البيتوتات، والشرف، والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة، وفعل مثل
ذلك بمشهد على، والحسين، وأجرى الجرايات على الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين،
والمفسرين، والنحاة، والشعراء والأطباء، والحسَّاب، والمهندسين، وأذن لوزيره نصره بن
هارون، وكان نصرانياً بعمارة البيع، والديرة، وإطلاق الأموال لفقرائهم.
قصد عضد الدولة أخاه فخر الدولة، وأخذ بلاده
قال: وفي هذه السنة سار عضد الدولة إلى بلا الجبل، فاحتوى عليها، وسبب ذلك أن عز
الدولة بختياراً كان يكاتب فخر الدولة بعد موت ركن الدولة يدعوه إلى الإتفاق معه على
عضد الدولة، فأجابه إلى ذلك، واتفقا عليه، وعلم عضد الدولة بذلك، فكتمه إلى الآن،
فلما خلا وجهه من أعدائه كاتبه يعاتبه على ما كان منه، وستميله، فأجاب جواب المناظر
المناوىء، وكان رسول عضد الدولة إليه خواشاده؛ وهو من أكابر أصحابه، فاستمال
أصحاب فخر الدولة، وضمن لهم الإقطاعات، وأخذ عليهم العهود، فلما عاد إلى عضد
الدولة برز من بغداد، وقدم جيوشه يتلو بعضها بعضاً، فخرج إليه أصحاب فخر الدولة،
وانضموا إلى عسكره، وخرج فخر الدولة من همذان هارباً إلى جرجان، والتجأ إلى شمس
المعالي قابوس بن وشمكير، فأمنه، وأوآه، وحمل إليه فوق ما في نفسه، وشركه فيما تحت يده

من ملك وغيره، وملك عضد الدولة ما كان بيد أخيه فخر الدولة: همذان، والري، وما
بينهما من البلاد، وسلم لأخيه مؤيد الدولة وجعله نائبه في تلك النواحي، ثم عرج عضد
الدولة على ولاية حسنويه، فقصد نهاوند، والدينور ففتحهما وعدة قلاع، وأخذ ما فيها من
ذخائر حسنوية، وكانت جليلة المقدار، وأصاب عضد الدولة في هذه السفرة صرع، كان
قد حدث به وهو بالموصل، فكتمه، وصار كثير النسيان لا يذكر الشيء إلا بعد جهد
كبير، وبقي الصرع يعاوده إلى أن قتله على ما نذكر إن شاء اللَّه تعالى.

ذكر ملك عضد الدولة بلد الهكارية

وفي هذه السنة سير عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكَّارية بأعمال الموصل، فأوقع بهم،
وحصر قلاعهم، وطال مقام الجند في خصرها، وكان من بالحصون من الأكراد ينتظرون نزول
الثلج ليرحل العسكر عنهم، فقدر اللَّه تعالى أن الثلج تأخر نزوله في تلك السنة، فطلبوا
الأمان، فأجيبوا إليه، وسلَّموا القلاع ونزلوا إلى الموصل مع العسكر، فلم يفارقوا أعمالهم
غير يوم واحد حتى نزل الثلج، ثم أن مقدم الجيش غدر بالهكَّارية، وقتلهم على جانبي
الطريق من معلثايا إلى الموصل نحو خمسة فراسخ. واللَّه أعلم بالصواب.

ذكر وفاة عضد الدولة وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته ببغداد في ثامن شوال سنة اثنين وسبعين وثلثمائة، وذلك أنه اشتد به ما كان
يعتاده من الصرع، وضعفت قوته عن دفعه، فخنقه، فمات، ودفن بمشهد علي بن أبي
طالب رضي اللَّه عنه، وجلس ابنه صمصام الدّولة للعزاء، وأتاه الخليفة الطائع للَّه، فعزّاه
به، وكان عمر الدولة سبعاً وأربعين سنة، مدة سلطنته بالعراق خمس سنين وستة شهور،
وأما مدة ملكه ببلاد فارس منذ وفاة عمِّه عماد الدولة وإلى أن توفي هو: ثلاث وثلاثون
سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرون يوماً. قال: ولما حضرته الوفاة لم ينطلق لسانه بغير قول
اللَّه تعالى: ما أغنى عنِّي ماليه. هلك عنِّي سلطانية، وكان عاقلاً حسن السياسة، شديد
الهيبة، بعيد الهمة ثاقب الرأي محباً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء، مانعاً في أماكن

الحزم، ناظراً في عواقب الأمور، وكان له شعر حسن فمنه قوله وقد أرسل إليه أبو تغلب بن
حمدان يعتذر من مساعدته لبختيار، ويطلب الأمان فقال عضد الدولة:

أأفاق حين وطئت ضيق خناقة يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبنَّ عزيمةً عضديةً تاجية تدع الأنوف رواغما

وقال أبياتا، فمنها بيت لم يفلح بعده، وهي:

ليس شرب الكاس إلا في المطر وغناءٍ من جوار في السحر
غانياتٍ ساليباتٍ للنهي ناعماتٍ في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر.

ومن أخباره أنه كان في قصره جماعة من الغلمان يحمل إليهم مشاهراتهم من الخزانة، فأمر
أبا نصر خواشاذه أن يتقدم بصرف جوامكهم إلى نقيبهم في شهر، وقد بقي منه ثلاثة أيام،
قال أبو النصر: فأنسيت ذلك أربعة أيام، سألني عضد الدولة عن ذلك، فاعتذرت بالنسيان،
فأغلظ لي، فقلت: أمس استهل الشهر، والساعة يحمل المال، وما هذا مما يوجب شغل
القلب، فقال: المصيبة بما لا نعلم من الغلط أكبر منها في التفريط، أما تعلم أنا إذا أطلقنا لهم
ما لهم قبل محلّه كان الفضل لنا عليهم، وإذا أخرَّنا عنهم ذلك حتى استهلَّ الآخر حضروا
عند عارضهم، وطالبوه، فيعدهم، ثم يحضرون في اليوم الثاني، فيعدهم، ثم يحضرون في
اليوم الثاني، فيعدهم، ثم يحضرون في اليوم الثالث، ويبسطون ألسنتهم، فتضيع المنّة،
وتحصل الجرأة، وتكون إلى الخسارة أقرب منا إلى الربح، وكان لا يعوَّل في الأمور إلا على
الكفاءة، ولا نجعل للشفاعات طريقاً إلى معارضة ما ليس من جنس الشافع، ولا فيما يتعلق
به.

حكى أن مقدم جيشه أسفاربن كردويه شفع في بعض أنباء العدول ليتقدَّم عند القاضي
بسماع البينَّة بتزكيته، وتعديله، فقال له: ليس هذا من أشغالك، إنما الذي يتعلق بك
الخطاب في زيادة قائد، ونقل رتبة جندي، وما يتعلق بهم، وأما الشهادة وقبولها، فهي إلى
القاضي وليس لنا، ولا لك الكلام فيه، ومتى عرف القضاة من إنسان ما تجوز معه قبول

شهادته، فعلوا ذلك بغير شفاعة، وكان رحمه اللَّه يخرج كل سنة أموالاً كثيرة للصدقة، والبر
في سائر البلاد، ويأمر بتسليم ذلك إلى القضاة، ووجوه الناس ليصرفوه إلى مستحقه، وكان
يوصل إلى العمال المتعطلين ما يقوم بهم، ويحاسبهم به إذا عملوا، وكان محباً للعلوم وأهلها،
مقَّربا لهم، محسناً إليهم وكان يجلس معهم، ويعارضهم في المسائل، فقصده العلماء من كل
بلد، وصنفوا له الكتب منها: الإيضاح في النحو، ومنها الحجَّة في القراآت، ومنها الملكي في
الطلب، والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك، وعمل المصالح العامة في سائر البلاد كالبمارستان
والقناطر، فمن جملة ما عمره: المدينة التي سماها كرد فناخسرو، وهي على دون الفرسخ
من شيراز، وساق إليها الماء من عين كانت على أربع فراسخ منها، وبدأ بالعمارة في يوم
الأحد لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلثمائة، قال الصابي: بلغت النفقة
عليها عشرين ألف ألف درهم، من غريب عمائره : السكر الذي أنشأه على النهر المعروف
بالكر. اصطخر، وحرمه على عشرة فراسخ من قصبة شيراز، وهو شادروان عظيم،
ينحط الماء من رؤوس الجبال ويجتمع عليه، وينحط إلى أغوار كانت فقارا ومهامه، فلما تم
له ذلك بني في تلك الأراضي ثلثمائة قرية، ونقل إليها الفلاحين، وسماها رستاق فناخسرو،
وصار في مقدار خراج بلاد فارس. قال الصابي: وانتهت النفقة عليه ألفي ألف دينار،
واجتمع لعضد الدولة من المماليك سجستان، وكرمان، وجرجان، وطبرستان، والري
وأصفهان، وهمذان، وسائر بلاد أذربيجان، وبلاد فارس، وعمان، والعراق، والموصل، وديار
مصر، وديار بكر، والجزيرة، وكان مع ما فعله من الخير والبر أحدث في آخر أيامه رسوماً
جائرة في المساحة، والضرائب، وكان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق، وكان يرفع إليه من
الأعمال في كل سنة بعد ما رتَّبه من الصلات، والإدارات، وجهات البر إثنان وثلاثون ألف
ألف دينار.
أولاده: شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل، صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان، بها الدولة

أبو نصر خسرو فيروز، وقيل فيروزشاه، تاج الدولة أبو الحسين أحمد، وهو أديب آل بويه،
أبو طاهر فيروزشاه، أبو دلف سهلان توفي في حياته.
وزراؤه: الأستاذ الجليل أبو القاسم المطهر بن عبد اللّه إلى أن قتل نفسه في سنة تسع
وستين، وهو يحاصر البطيحة، وبهاء الحسن بن عمران بن شاهين، فاستوزر الأستاذ أبا
منصور نصر بن هارون النصراني الشيرازي المشهور بعلو الطبقة في الحساب.
حجابه: أبو على اليتمى، أبو حرب طغان، أبو الفتح الظفر ابن محمود، أبو القاسم سعد بن
محمد الشاسي وغيرهم. فلنذكر بقية من في طبقة عضد الدولة.
مؤيد الدولة أبي منصور بويه ابن ركن الدولة بن بويه
كان مؤيد الدولة شقيقاً لعضد الدولة، وأمهما جارية تركية، وكان نائباً عن أبيه بأصفهان
عند خروج عضد الدولة منها إلى بلاد فارس، فلما توفي والده مضى إلى الري، وأصفهان،
وكان لا يبرم أمراً إلا برأي أخيه عضد الدولة، ولما وقع بين عضد الدولة وبين أخيه فخر
الدولة ما ذكرناه، وأخذ بلاده من يده سلمها لمؤيد الدولة نيابة عنه، وندبه إلى المسير إلى
طبرستان، وجرجان لإنتزاعهما من يد قابوس بن وشمكير، فسار إليهما، وانتزعهما منه، ثم
اتفقت وفاة عضد الدولة، وأقام مؤيد الدولة بعده في البلاد إلى أن توفي بجرجان في شعبان
سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة، فكانت مدة ملكه بعد وفاة أبيه سبع سنين، وستة أشهر،
وأياماً.
ولده: أبو النصر.
وزراؤه: ذو الكفايتين أبو الفتح بن العميد إلى أن قبض عليه بأمر أخيه عضد الدولة كما
ذكرناه، وقطع يده، وأنفه، ثم قتله بعد مصادرته، واستوزره بعده الصاحب الجليل أبا القاسم
إسماعيل بن عباد، وكان يلبس القباء استخفافاً بالوزارة، وانتسابا إلى الجندية، وإنما عرف
ابن عباد بالصاحب لصحبته لإبن العميد.
فخر الدولة
وفلك الأمة أبي الحسن على بن ركن الدولة بن بويه
وفخر الدولة هذا هو أوسط أولاد ركن الدولة يلي عضد الدولة في السن، وأمه ابنهة

الحسن بن الفيرزان أحد ملوك الديلم، فجمع المملكة من الطرفين، وكان والده ركن الدولة قد
جعل له همذان، والدينور، والأيغارين، ونهاوند، وما والى ذلك من بلاد الجبل. ولما وقع بينه
وبين أخيه عضد الدولة ما ذكرناه من ميله مع ابن عمه عز الدولة بختيار على أخيه عضد
الدولة، أرسل عضد الدولة جيشاً مع أبي الفتح المظفر الحاجب، وتلاه بجيش آخر. ثم
عززهما بجيش ثالث، ثم سار هو بنفسه، فالتحق به بعض أصحاب فخر الدولة، وكاتبه
عبيد اللّه بن محمد حمدويه، فعلم فخر الدولة أنه لا قبل له بما دهمه، ففارق بلاده، وسار في
خواص غلمانه إلى هوسم من بلاد الجبل، والتحق بعلي بن الحسين العلوي، ثم انتقل من
هوسم إلى جرجان، والتجأ إلى قابوس بن وشمكير، وكان عنده مكرماً إلى أن توفي عضد
الدولة، ثم توفي مؤيد الدولة بجرجان، فضبطها الصاحب بن عباد بالعساكر، وجمع القواد
واستشارهم، وقرر الأمر لفخر الدولة، ثم خاف افتراق الأجناد، فأجلس أبا العباس
خسرو فيروز على سرير المملكة، وكاتب فخر الدولة سراً يستدعيه، فسار عن نيسابور
إلى جرجان، فدخل الصاحب على خسرو فيروز، وقال له: هذا أخوك، وأكبر منك قد
وصل، وميل الأجناد إليه أكثر من ميلهم لك، وحسنَّ له الخروج للقائه، فخرج إليه، وتلقّاه،
وتسلّم فخر الدولة الملك، وبالغ في إكرام الصاحب، وعرف له حقَّ جميله، وحسن تدبيره،
ونعته بكافي الكفاءة، مضافاً إلى الصاحب الجليل، واحتوى فخر الدولة على ممالكه التي
كانت بيده، وما كان بيد أخيه مؤيد الدولة، ومملكة قابوس بن وشمكير، ودخل أخوه
خسروفيروز في طاعته، ثم سأل فخر الدولة الخليفة الطائع للّه أن يضيف إلى نعته نعتاً آخر،
فنعته بفلَك الأمّة، واستمر في المالك إلى أن توفي في شعبان سنة سبع وثمانية وثلثمائة،
فكانت مدة ملكه الأول منذ وفاة والده إلى أن انهزم من أخيه عضد الدولة ثلاث سنين
وشهوراً، ومملته الثانية من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين إلى شعبان سنة سبع وثمانين
أربعة عشر سنة تقريباً، وكان شاعراً بارعاً، فمن شعره ما ذكره الثعالبي:

أدر الكأس علينا أيها الساقي لنشرب
من شمول مثل شمس في فم الندمان تغرب
شربت منها فحالت قمرا يلثم كوكب
ورد خديها جنّى لكن الناطور عقرب
فإذا ما لذعت فال بريق درياق مجرّب
وكان له من الأولاد: مجد الدولة أبو طالب رستم. شمس الدولة أبو طاهر صاحب
همذان. عين الدولة أبو شجاع بويه. أبو منصور صاحب أصفها.
وزراؤه: أبو عمر سيد بن المرزبان إلى أن نكبه، واستوزر عبيد اللّه بن محمد بن حمدويه
إلى أن استأمن إلى عضد الدولة، ثم استوزر الصاحب الجليل كافي الكفاة أبا القاسم بن
عياد إلى أن توفي صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة، ولم ير أحد سعد بن وفاته كما كان في
حياته غيره، وذلك أنه لما توفي غلَّقت له مدينة الري، واجتمع الناس على باب قصره، حضر
فخر الدولة، وسائر القواد مشاة مغيّري الزيّ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس
بأجمعهم صيحة واحدة، وقبّلوا كلهم الأرض، ومشي فخر الدولة فيها، وجلس العزاء أياماً،
واستوزر بعده أبا على حموله.
هذه الطبقة الثانية من بني بويه، فلنذكر الطبقة الثالثة:
ذكر أخبار مجد الدولة، وكنف الأمة أبي طالب رستم بن فخر الدولة بن ركن الدولة
بن بويه
لما توفي والده فخر الدولة اجتمع الأجناد على تولية ولده المذكور، ونعته القادر باللّه بهذين
النعتين، وكان عمره عند وفاة أبيه أربع سنين، فدبّرت والدته ابنة المرزبان المعروف بالسلار
الأمر، ثم بلغ مبلغ الرجال، فلم يكن له من اللذات غير التمتع بالنساء، والنظر في الدفاتر،
والإشتغال بالعلوم، ثم توفيت أمه، فورد محمود بن سبكتكين، فقبض عليه، ثم استولى بعد
ذلك ابنه أبو كالنجار على الري إلى أن أتته الغزّ في سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة، فاستولوا
على الري وتحصن هو بقلعة طبرك، ثم استنزل منها، وأما شمس الدولة أبو طاهر بن فخر
الدولة، فإنه كان على أيام أخيه بهمذان، ثم استولى على الجبل، وتوفي في سنة ثلاث عشرة
وأربعمائة، وقام بعده ابنه سماء الدولةز
ولنرجع لأخبار عضد الدولة ونجعل التراجم لمن ملك العراق وخدم الخلفاء، ونورد في

أخبار وقائع من سواه:
أخبار صمصام الدولة
وهو أبو كالنجار المرزبان بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه.
ولما توفي عضد الدولة اجتمع القوّاد والأمراء على ولده أبي كالنجار المرزبان، فبايعوه،
وولّوه الإمارة، وركب الخليفة الطائع للَّه، وعزاه، ولقبه، وقال له: نضر اللّه وجه الماضي،
وجعلك الخلف الباقي، وصيّر التعزية بعده لك لابك، والخَلَف عليك لا منك. قال: ولما
رجع خلع على أخويه أبي الحسين أحمد، وأبي طاهر فيروز شاه وأُطعهما فارس، وأمرهما
بالجد في المسير ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرذيل إلى شيراز، وكان عند
وفاة أبيه بكرمان، فلما وصلا إلى أرّجان أتاهما الخبر بوصول شرف الدولة إلى شيراز،
فعاد إلى الأهواز، وملك شرف الدولة بلاد فارس، وقبض على نصربن هارون النصراني
وزير أبيه، وقتله لأ،ه كان يسيء صحبته أيام أبيه، وخطب صمصام الدولة، وأظهر
مشافقته، وفرَّق الأموال، وجمع الرجال، وملك البصرة، وأقطعهما أخاه أبا الحسين، فلما
اتّصل ذلك بصمصام الدولة سيَّرجيشاً، واستعمل عليهم الأمير أبا الحسن على بن ونقش
حاجب عضد الدولة، فجهز تاج الدولة عسكراً، واستعمل عليهم أبا الأعز دبيس بن
عفيف الأسدي، فالتقيا بظاهر قُرقوب، واقتتلوا، فانهزم عسكر صمصام الدولة، وأسر ابن
ونقش مقدم الجيش، فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الأهواز، ورامهرمز
وطمع في الملك، وكانت هذه الواقعة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين، وفي سنة خمس
وسبعين وثلثمائة ملك شرف الدولة الأهواز من أخيه أبي الحسين، وملك البصرة من أخيه
أبي طاهر، وقبض عليه، فراسله أخوه صمصام الدولة، فاستقر الأمر على أن يخطب
لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة، وفي خلال مسير الرسل وعودهم ملك شرف
الدولة واسط، وغيرها، وكاتبه القواد، فرجع عن الصلح، وعزم على قصد بغداد. واللّه
أعلم.

ذكر ملك شرف الدولة أبي الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة العراق
والقبض على صمصام الدولة
وفي سنة ست وسبعين وثلثمائة سار شرف الدولة من الأهواز إلى واسط، وملكها،
فاستشار صمصام الدولة أصحابه في قصد أخيه شرف الدولة، فنهوه عن ذلك، وحذروه
منه، فلم يرجع إليهم، وسار في طيار إليه، فلما وصل إليه لقيه شرف الدولة، وأكرمه،
وطيب قلبه، ثم قبض عليه بعد قيامه من عنده، وأرسل إلى بغداد من احتاط على دار
الملكة، وسار فوصل إلى بغداد في شهر رمضان، ونزل بالشقيقى، ومعه صمصام الدولة، ثم
سيره إلى بلاد فارس، واعتقله بقلعة هناك، فكانت إمارة صمصام الدولة بالعراق ثلاث
سنين وأحد عشر شهراً. وكان صمصام الدولة كريم النفس ندَّى الكف إلا أنه كثرت في
أيامه الخوارج، وعنم الغلاء، فاستنفذ ذلك أمواله، ولم يتعدَّ أمره العراق.
وزراؤه: أول من وزر له. أبو عبد اللَّه الحسين بن أحمد بن سعدان ثماينة عشر شهراً،
فاعتقله، ثم اشترك في الوزارة بين أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبي الحسن بن
برمويه، وكان قد أخصاه بعد أولاده إلياس بن كرمان، فأقاما شهرين، ويومين بعد أن انفرد
عبد العزيز بالوزارة ثلاثة أشهر، واتفقت فتنة، فانهزم عبد العزيز إلى الأهواز، وقتل ابن
برمويه، وفيها يقول بشير بن هارون:

وزارة قد أثخنت كل عين مقسومة الرتبة في ساقطين
هذا بلا ذقن ولا عارض وذا بلا رأى ولا خصيتين
ومن أعاجيب أحاديثنا ما ذكره قد شاع في الخافقين
أنا نرى الخصى بلا لحية والناقص المجبوب ذا لحيتين

ثم استوزر بعدهما الأستاذ أبا الريان أحمد بن محمد سبعة أشهر، وتسعة أيام، وقبض
عليه، وقتله، ثم استوزر أبا عبد اللَّه بن الهيثم، وأبا الفتح محمد بن فارس شركة، فأقاما
بقية أيامه إلى أن ملك شرف الدولة، فقبض على أبي الفتح، وصادره، وإعاد بن الهيثم إلى
ديوان النفقات. واللّه أعلم بالصواب.
سمل صمصام الدولة
وفي سنة تسع وسبعين وثلثمائة سُمل صمصمام الدولة، وكان سببُ ذلك أن نحريراً الخادم،

كان يشير على أخيه شرف الدولة بقتله، وهو يعرض عن ذلك، فاتفق أنَّ شرف الدولة
اعتَّل، فقال له نحرير: إن الدّولة مع صمصام الدولة على خطر، وإذا لم نقتله، فاسمُله، فأرسل
في ذلك محمداً الشيرازي الفرّاش، فمات شرف الدولة قبل وصوله إلى صمصام الدولة، فلما
وصل الفرّاش إلى القلعة لم يُقدم على سمله فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر
هناك، فأشار بسمله، فسمله، فكان صمصام الدولة يقول: ما أعماني إلا العلاء، فإنه أمضى
في حكم سلطان قد مات، ثم كان لصمصام الدّولة دولة بعد دولة. سنذكرها إن شاء اللّه
تعالى، ولم يمنعه العمى مما قدر له.

سمل صمصام الدولة

وفي سنة تسع وسبعين وثلثمائة سُمل صمصام الدولة، وكان سبب ذلك أن نحريراً الخادم،
كان يشير على أخيه شرف الدولة بقتله، وهو يعرض عن ذلك، فاتفق أنَّ شرف الدولة
اعتَّل، فقال له نحرير: إن الدّولة مع صمصام الدولة على خطر، وإذا لم نقتله، فاسمله، فأرسل
في ذلك محمداً الشيرازي الفرّاش، فمات شرف الدولة قبل وصوله إلى صمصام الدولة، فلما
وصل الفرّاش إلى القلعة لم يقدم على سمله فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر
هناك، فأشار بسمله، فسمله، فكان صمصام الدولة يقول: ما أعماني إلا العلاء، فإنه أمضى
في حكم سلطان قد مات، ثم كان لصمصام الدّولة دولة بعد دولة لم يمنعه العمى مما قدر له.

وفاة شرف الدولة

وشيء من أخباره

كانت وفاته ببغداد في مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة، وقيل في ثانية،
وكانت علته الأستسقاء وحمل إلى مشهد على ابن أبي طالب رضي اللّه عنه، فدفن به،
فكانت إمارته ست سنين ، وسبعة أشهر ملك فيها بغداد سنتين، وثمانية أشهر، وكان
عمره ثمانياً وعشرين سنة، وخمسة أشهر، ونفذ أمره بين خراسان، والموصل،وديار بكر،
والعراق، وخوزستان، وفارس، وكرمان، وسراة عمان من غير إراقة دم، ولا إنفاق مال،
وكان يُحب الخير، وينفر من الشر، وأزال عن الناس التأويلات، والمصادرات، وكان كريماً

سخيَّاً يحب الشعر ويثيب عليه، قال أبو اسحاق الصابي: وكانت جماله في سفره ثلاثة
عشر ألف رأس، وكان له من المماليك الأتراك ألفان، ومائتا مملوك، وكان له من الخدم
ستمائة، ولما اشتدَّت علّته أرسل ولده أبا علي إلى بلاد فارس، وأصحبه الخزائن، والعدد،
وجماعته كثيرة من الأتراك. قال: ولما أيس أصحاب شرف الدّولة منه اجتمع عليه
أعيانهم، وسألوه أن يسند الملك إلى من يراه، فقال: أنا في شغل عما تدعونني إليه، ثم مات.
ولده: الأمير أبو علي.
وزرآؤه: أبو القاسم العلاء بن الحسن، ثم اعتقله مدة وأطلقه وستنبابه ببلا فارس.
واستوزر أبا محمد علّي بن العباس، واستوزر بعده أبا منصور محمد بن الحسن بن صالحان
إلى أن توفي رحمه الله.
ملك بهاء الدولة وضياء الملة
هو أبو نصر خسرو فيروزبن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ملك بعد وفاة أخيه
شرف الدّولة في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة، وكان سبب ملكه أنه لما
مرض شرف الدّولة أشير عليه أن يستنيبه إلى أن يشفى من مرضه، فاستنابه، فقبل النيابة
بعد امتناع منه، فلما مات شرف الدولة جلس بهاء الدولة للعزاء، وركب الطائع إليه،
وعزاه، وخلع عليه السلطنة، وأقر أبا منصور الحسن بن صالحان على وزارته.
قيام صمصام الدولة ببلاد فارس
قد ذكرنا ما كان من أمره، والقبض عليه، وسمله، فلما مات شرف الدولة إضطرب أمر
الديلم، ووقع بينهم وبين الأتراك، فأنزلوا صمصام الدولة من قلعة شيراز، وحمله غلامه
سعادة على كتفه، وبايعه الديلم، وانقادوال لأمره، فعند ذلك بايع الأتراك أبا على بن شرف
الدولة، ولقبوه شمس الدولة، وقمر الملة.
مسير أبي على بن شرف الدولة إلى بلاد فارس،
وما كان بينه وبين عمه صمصام الدولة، وعودة إلى بهاء الدولة، وقتله
قد ذكرنا أن شرف الدولة لما اشتدت علته جهز ابنه أبا علي إلى فارس، ومعه والدته،
وجواريه، وسيَّر معه الأموال، والجواهر، والسلاح، فلما بلغ البصرة أناة الخبر بوفاة أبيه،

فسيَّر ما معه في البحر إلى أرجَّان، وسار مجدَّاً حتى وصل إليها، واجتمع معه من بها من
الأتراك، وسار مجداً نحو شيراز، وكاتبهم متولّيها، وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن
بالوصول إليها ليسلمها إليهم، وكان صمصام الدولة، ومن معه قد ساروا إلى سيراف،
ووقعت الفتنة بها بين الأتراك، والديلم، فخرج الأمير أبو على إلى معسكر الأتراك ونزل
معهم، فاجتمع الديلم، وقصدوا داره ليأخذوه، ويسلموه إلى صمصام الدولة، فرأوه قد انتقل
إلى الأتراك، فكشفوا القناع، وجرى بينهم قتال، ثم سار أبو على والأتراك إلى فسا،
فاستولوا عليها وأخذوا ما بها من الأموال، وقتلوا من بها من الديلم، وسار أبو على إلى
أرّجان، وعاد الأتراك إلى شيراز، فقاتلوا من بها من الديلم الذين مع صمصام الدولة، ونهبوا
البلد، وعادوا إلى أبي على بأرَّجان وأقاموا معه مديده، ثم وصل رسول من بهاء الدولة إلى
أبي علي، وطيب قلبه، وأرسل إلى الأتراك الذين معه سراً واستمالهم إلى نفسه وأطعمهم،
فحسنوا لأبي على المسير إلى بهاء الدولة، فسار إليه، فلقيه بواسط في منتصف جمادى
الآخرة سنة ثمانين وثلثمائة، فأكرمه، ثم قبض عليه بعد ذلك وقتله، وتجهز بهاء الدولة
للمسير إلى الأهواز لقصد بلاد فارس.

مسير بهاء بهاء الدولة إلى الأهواز، والصلح بينه وبين صمصام الدولة

قال: وسار بهاء الدّولة إلى خوزستان، فأتاه نعى أخيه أبي طاهر، وكان مع صمصام
الدولة، فجلس للعزاء، ورحل إلى أرَّجان، واستولى عليها، وأخذ ما فيها من الأموال التي
جمعها صمصام الدولة بقلعتها، وكانت ألف ألف دينار فاشانية، وثمانية آلاف ألف درهم
عدليه، ومن الجواهر، والثياب ما لا يحصى قيمته، ففرّق ذلك على الجند، ولم يبق منه إلا
القليل، ثم سارت مقدمته، وعليها العلاء بن الفضل إلى النوبندجان، وبها عسكر صمصام
الدولة عسكراً، وعليهم فولاذ ابن ما بدار، فواقعهم، فانهزم أصحاب بهاء الدولة، وعادوا
إليه، ثم ترددت الرسائل بين صمصام الدولة، وبهاء الدولة في الصلح، فاستقر على أن يكون

لصمصام الدولة فارس، وأرجان، ولأخيه بهاء الدولة خوزستان، والعراق، وأن يكون لككل
واحد منهما إقطاع في ملك الآخر، وحلفا على ذلك، وعاد بهاء الدولة إلى الأهواز، ثم إلى
بغداد، وفي سنة ثماني وثلثمائة أيضاً قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان،
واستوزر أبا نصر سابور بن أردشر، وكان المدبّر لدولة بهاء الدولة أبا الحسن بن المعلم،
وأبيه الحكم، وفي سنة إحدى وثمانين قبض بهاءُ الدولة على الخليفة الطائع لله، وبايع القادر
بالله كما ذكرناه في أخبار الدولة العبّاسية، وفيها قبض على وزيره أبي نصر سابور،
واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف وقبض على أبي نصر خواشاذه، وأبي عبد الله
بن طاهر، وفي سنة اثنتين وثمانين قبض بهاء الدّولة على أبي الحسن بن المعلم، وكان قد
استولى على الأمور كلها، وخدمه الناس كلُّهم حتى الوزراء، فأساء السيرة، فشغب الجند،
وشكوا منه، وطلبوا تسليمه إليهم، فراجعهم بهاء الدولة، ووعدهم أنه يكف يده، فلم
يقبلوا ذلك، فقبض عليه، وعلى جميع بهاء الدولة، ووعدهم أنه يكف يده، فلم يقبلوا ذلك،
فقبض عليه، وعلى جميع أصحابه، فلم يرجع الجند، فسلَّمه إليهم، فسقوه السمَّ مرتين، فلم
يؤذه، فخنقوه، ودفنوه، وقبض على وزيره أبي القاسم لأنه اتهم بمباطنة الجند في أمر ابن
المعلم، واستوزر أبا نصر سابور، وأبا منصور بن صالح جميعاً، وفي سنة ثلاث وثمانين
شغب الجند على بهاء الدولة، ونهبوا دار الوزير سابور، واختفى منهم، واستعفى ابن
صالحان من الأنفراد بالوزارة، فأعفى، واستوزر أبا القاسم على بن أحمد، ثم هرب إلى
البطيحة، وعاد سابور إلى الوزارة بعد أن أصلح الديلم.

ظهور أولاد بختيار
واعتقالهم، وقتل بعضهم

وفي سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ظهر أولاد عز الدولة بختيار بن معز الدولة من محبسهم،
واستولوا على القلعة التي كانوا معتقلين بها، وكان سبب اعتقالهم أن شرف الدولة كان
أحسن إليهم بعد وفاة والده عضد الدولة، وأطلقهم. وأنزلهم بشيراذ، وأقطعهم، فلما مات

شرف الدولة حبسوا في قلعة ببلاد فارس، فاستمالوا مستحفظها، ومن معه من الديلم،
فأخرجوا عنهم، فأنفذوا إلى أهل تلك النواحي، فاجتمعوا تحت القلعة، فبلغ ذلك صمصام
الدولة، فسيّر إلى القلعة جيشاً، فتقرق ذلك الجمع، وحصر جيشه القلعة، وراسل مقدم
الجيش وجوه الدّيلم سراً، واستمالهم، ففتحوا القلعة، فملكها أصحاب صمصام الدولة،
وأخذوا أولاد بختيار، وكانوا ستة، فأمر صمصام الدولة بقتل اثنين، وحبس أربعة.

مقتل صمصام الدولة

كان مقتله في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وثلثمائة، وسبب ذلك أن جماعة كثيرةً من الدَّيلم
استوحشوا منه لأنه أمر بعرضهم، وإسقاط من ليس بصحيح النسب، فأسقط منهم ألف
رجل، واتفق أن أبا القاسم، وأبا نصر ابني عز الدولة خدعا الموكَّلين بالقلعة، فأخرجوا
عنهما، فجمعها لفيفاً من الأكراد، واتصل بهما الذين أسقطوا من الخدمة من رجال الديلم،
وقصدوا أرَّجَّان، فاجتمعت عليها العساكر، فتجهز صمصام الدولة ولم يكن عنده من
يدبره، فأسار عليه أصحابه بالصّعود إليها، فمنعه مستحفظها، فأشار بعض أصحابه عليه
بقصد الأكراد ، والتقوا بهم، فخرج بخزائنه، وأمواله، فنهبه أصحابه، وأرادوا قتله، فهرب
وسار إلى الدودمان على مرحلتين من شيراز، فقبض عليه رئيسها طاهر، وبلغ أبو نصر
الخبر، فبادر إلى شيراز، فدخلها وأخذ صمصام الدولة ابن طاهر، فقتله، وقال: هذه سنة
سنها أبوك يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار، وكان عمر صمصام الدولة يوم قتل
خمساً وثلاثين أشهر، وكان كريماً حليماً، وسلمت والدته لبعض قواد الديلم، فقتلها، وبنى
عليها دكّة في داره، فلما ملك بهاء الدولة فارس أخرجها، ودفنها في تربة بني بوية.

وزراؤه في مملكته الثانية: العلاء بن الحسن، ثم قبض عليه، واستوزر أبا القاسم المعمر بن
الحسين الزنجي نحواً من سنة، ثم قبض عليه، واعتقله، وأعاد العلاء، ثم بعثه إلى الأهواز،
فمات، فاستوزر أبا الطيَّب الفرحان بن شيراز، وأنفذ إلى الأهواز، فأقام إلى أن قتل
صمصام الدولة.

ملك بهاء الدولة فارس
وخوذستان وكرمان
قال: ولما قتل صمصام الدولة، استولة ابنا بختيار على بلاد
فارس وكاتبا أبا علي بن أستاذ
هرمز وهو بالأهواز يأمرانه بأخذ البيعة لهما، واليمين، فخافهما
أبو علي، ثم راسله بهاء
الدّولة بستميله، ويعدُ الدَّيلم الخير والإحسان، فأجابوه إلى
الدخول في طاعته، وأنفذوا
جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة، واستوثقوا منه، وكتبوا إلى
أصحابهم المقيمين بالسوس
بصورة الحال رجاء أن يخرجوا إلى طاعته، فخرجوا بالسلاح،
وقاتلوه قتالاً شديداً، فضاق
بذلك درعاً، فقيل له: إن عادة الدَّيلم أن يشتد قتالهم عند الصلح
لئلا يظن بهم العجز، ثم
كفوا عن القتال، وأرسلوا من يحلفه لهم، ونزلوا إلى خدمته،
واختلط العسكران، وساروا
إلى الأهواز، فقرر أبو علي ابن اسماعيل أمورها، وقسم
الإقطاعات بين الأتراك والديلم، ثم
ساروا إلى رامهرمز، فاستولوا عليها، وعلى أرّجان، وغيرها من
بلاد خوزستان، وسار أبو
علي إلى شيراز، فنزل بظاهرها، فحاربه ابنا بختيار، فلمَّا
اشتدت الحرب مال بعض
أصحابهما إليه، ودخل بعض أصحابه البلد، ونادوا بشعار بهاء
الدولة فهرب ابنا بختيار،
فأما أبو نصر فإنه لحق ببلاد الدَّيلم، وأما أبو القاسم، فلحق ببدر
بن حسنويه الكردي، ثم
قصد البطيحة، ولما ملك أبو على بشيراز كتب إلى بهاء الدولة
بالفتح فسار إليهما، وأمر
بنهب قرية الدودمان، وإحراقها، وقتل من كان بها من أهلها،
وأخرج أخاه صمصام الدولة،
وجدّد أكفانه ودفنه،ثم سيَّر عسكراً مع أبي الفتح أستاذ هرمز
إلى كرمان، ففتحها، وأقام
نائباً عن بهاء الدولة، وذلك في سنة تسع وثمانين.
وفاة عميد الجيوش
وولاية فخر الملك العراق
وفي سنة إحدى وأربعمائة توفي عميد الجيوش أبو علي أستاذ
هرمز ببغداد، وكانت ولايته
بها ثماني سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً، وكان من
حجاب عضد الدولة وجعله في
خدمة ابن صمصام الدولة، فلما قتل اتصل بخدمة بهاء الدولة،
فجعله نائبة ببغداد، ولما

مات استعمل بهاء الدولة مكانه فخر الملك أبا غالب، فوصل إلى بغداد في ذي الحجة من
ذي السنة.
ذكر وفاة بهاء الدولة
كانت وفاته بأرَّجان في عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة، وكان مرضه تتابع
الصرع مثل مرض أبيه، وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، ودفن عند
قبر أبيه عضد الدولة، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصف شهر، ومدة
ملكه أربعاً وعشرين سنة، وأياماً.
أولاده: سلطان الدولة أبو شجاع فنَّاخسروا. مشرق الدولة أبو علي. جلال الدولة أبو
طاهر. قوام الدولة أبو الفوارس.
وزراؤه: أبو منصور بن صالحان أحد وزراء أخيه شرف الدولة وزرله عشر شهر، ثم
قبض عليه في سنة ثمانين، واستوزر أبا القاسم عبد العزيز ين يوسف، وأبا القاسم علي بن
أحمد الأبرهوني، ثم قبضه، وأعاد سابور، ثم أشرك بينه وبين ابن صالحا، ثم استوزر أبا
العباس عيسى ستة يوماً. واستوزر الموفق عبد الملك أبا على الحسن بن محمد بن
إسماعيل سنتين وشهرين، وقلد بعده عميد الجيوش الصاحب، واستوزر بعده فخر الملك
وزير الوزراء الكامل ذا الجلالين أبا الغالب محمد بن خلف، وهو أعظم من وزر للديلم على
الإطلاق، بعد أبي الفضل بن العميد، وابن عباد.
ملك سلطان الدولة
هو أبو شجاع فاخسرو بن بهاء الدولة بن عضد بن ركن الدولة بن بويه. كانت ولايته بعد
وفاة أبيه، في عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة، ولما ولى سار من أرَّجان إلى
شيراز، وولّى أخاه جلال الدولة البصرة، وأخاه أبا الفوارس كرمان، وكان القادر باللّه قد
ولاه العهد بسؤال أبيه، فلما مات والده قام مقامه، ودخل بغداد، ودخل بغداد، وأعطى كلَّ
غلام من أشرافها سبعين ديناراً ودست ثياب، فأكثروا عليه بالمطالبات، فضجر، وفارق
بغداد، وتوجَّه إلى الأهواز.
قتل فخر الملك
ووزارة ابن سهلان

وفي سنة ست وأربعمائة قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب، وقتله في سلخ شهر ربيع الأول، فكانت نيابته بالعراق خمس سنين وأربعة أشهر واثني عشر يوماً، وكان حسن الولاية والآثار، ووجد له ألف ألف دينار عيناً، سوى ما نهب، وقيمة العروض، وكان القبض عليه بالأهواز.

حكي ابن علمكان، وكان من أكابر القوّاد قال: قتل إنسان ببغداد، فكانت زوجته تكتب إلى فخر الملك تتظلم وتتشكي، وهو لا يلتفت إليها، فلقيته يوماً فقالت له: تلك الرقاع التي كنت أكتبها إليك صرت أكتبها إليك صرت أكتبها إلى اللَّه تعالى، فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قبض هو وابن علمكان، فقال له فخر الملك: قد برز جواب رقاع تلك المرأة.

ولما قبض على فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمد الحسن ابن سهلان، ولقب عميد أصحاب الجيوش، وفي ثمان وأربعمائة ضعف أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامة، فانحدروا إلى واسط، فخرج عليهم عامّتها وأتراكها فقاتلوهم، فدفع الديلم عن أنفسهم، وقتلوا من أتراك واسط، وعامتّها جماعة كثيرة، وعظم أمر العَّيارين ببغداد فأفسدوا، ونهبوا.